السلسلة الجديدة من مطبوعات دائرة المعارف العثمانية ٣/١٣/٩



كتاب الالمام

بالإعلام فيما جرت به الأحكام و الأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية

لمحمد بن قاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى

(المتوفى بعد سنة ٧٧٥ ھ / ١٣٧٢ م)

الجزء الثالث

تحقيق

الدكتور عزيز سوريال عطية

من مخطوطة برلين و بانكى پور

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محامد على العباسى مدير دائرة المعارف العثمانية



١٣٩٠ ھ = ١٩٧٠ م



محتويات الجزء الثالث
من
كتاب الإلمام

موضوع	صفحة

موضوع	صفحة

موضوع	صفحة

مقدمة

الجزئين الثالث و الرابع

إنه لمن دواعى غبطتنا أن نتقدم اليوم من جديد إلى قراء العربية بالجزئين الثالث و الرابع من «كتاب الإلمام» لأبى القاسم بن محمد النويرى الإسكندرانى . و بتمام نشر هذين الجزئين نختتم النص الكامل لمخطوطة برلين ، و نبتدئ مرحلة جديدة شاقة تشتمل على القسم الأخير من مخطوطة بانكى بور ، و يليها النص الكامل المطول لمخطوطة القاهرة التى لا بد من تقييم محتوياتها عن كثب لمعرفة صلاحية نشرها فى مجلدين آخرين على وجه التقريب .

و يلاحظ من الاطلاع على نص الجزئين الحاضرين طبيعة الاستمرار فى مادتهما مع الجزئين السابقين . و قد كان فى نيتنا طبع الجزئين الثالث و الرابع فى مجلد واحد ، إلا أن طول النص بالإضافات التى أخذناها عن مخطوطة بانكى بور جعل ذلك أمرا صعب المنال مما حدا بنا إلى تقسيمهما . و سيجد القارئ أن موضوع حملة القبارصة على الإسكندرية سنة ١٣٦٥ لا زال يشغل النويرى فى تعليقاته على بقية مرثاة ابن أبى حجلة ، و كذلك فى عدد من الحكايات التى سردها عن مغامرات بعض الأسرى من أهل الإسكندرية - من عاد منهم و من لم يعد ممن قرر البقاء فى أرض النصرانية كقصة البنت المرتدة .

هذا و قد تصدى المؤلف أيضا فى هذين المجلدين إلى عدد من الشئون التى يمكن الإلمام بها من جدول محتويات الكتاب . و قد أخذنا هذه فى كل من الجزئين عن رءوس موضوعات الأبواب المختلفة التى اضطررنا إلى صياغتها من عندياتنا بين قوسين و أدخلناها فى صلب الكتاب لتيسير مطالعته على القارى و الباحث ، إذ أن المؤلف كتبه فى أسلوب مرسل دون تبويب أو ترتيب ، فأصبح نشر النص على غرار الأصل جملة واحدة غير مستساغ .

و تتضح طبيعة المتفرقات التى جمع النويرى شتاتها إلى جانب تاريخ الإسكندرية من نظرة عابرة على أبواب الكتاب ، من ذلك البيانات الجغرافية عن الجزر و الأنهار و المدن فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، و قد حاولنا تحقيق بعضها و لم نحاول تحقيق البعض الآخر مما لم يرد فى كتب الجغرافيا عند العرب ، و هى مادة جديدة تركناها لعلماء الجغرافيا التاريخية من المستشرقين . و منها أيضا لمع فى الأفلاك و كروية الأرض و الأهوية و فلسفة الروح و النفس و العقل و وظائف أعضاء الجسم البشرى و الأغذية و غير ذلك . ثم إنه وصل فى معرض الكلام إلى الشرق الأقصى و مملكة المهراج و بلاد القمار ، و يقال إنها بمنطقة اندونيسيا فى عصرنا هذا .

و لكن صلب المتن بقى قائما على موضوعين رئيسيين آخرين : أحدهما الأدب بما فيه الأدب الرفيع و الأدب الشعبى الذى لم يتورع

الكاتب فيه من ذكر حكايات قد يمجها الذوق الحاضر لرقاعتها و لكنها بدون شك ناحية من نواحي الأدب التي أقبل الذوق الوسيط عليها . و الشق الثاني هو التاريخي ، و ربما كان أهم ما جاء فيه يتعلق ببعض حروب المسلمين في الأندلس و المغرب ، كما خصص المؤلف قسما من جهده لتاريخ مصر الإسلامية و لا سيما الجزء المعاصر لحياته النويري و فيه نبذ لها قيمتها الخاصة ، خذ مثلا عهد الناصر محمد من سلاطين المماليك، و قد أورد فيه المؤلف المرسوم السلطاني الفريد الذي نقله المؤلف برمته في كتابه .

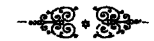
و في كل هذه الحالات قمنا بمقارنة دقيقة بين مخطوطتي برلين و بانكي بور ، يرى القارئ ثمرتها بجلاء في الحواشي الضافية ، كما أننا ملأنا الثغرات التي سقط منها الكلام في مخطوطة برلين و وردت في بانكي بور و العكس بالعكس حتى يكتمل النص الأصلي بقدر الاستطاعة . و قد حاولنا الاحتفاظ بأسلوب المؤلف في جملته مع الاكتفاء بتصحيح الأغلاط النحوية الظاهرة و هجاء الكلمات حتى تصبح صيغة الكتاب مقبولة ، و لكننا أثبتنا في الحواشي جميع تلك المفارقات كاملة . كذلك أدمجنا بالحواشي ما أمكن تحقيقه من الأماكن و تواريخ الخلفاء و السلاطين و الملوك و مكان الآيات القرآنية في سورها من المصحف .

و رجاؤنا أن نكون بذلك قد قمنا بواجبنا الأدبي في صدد نشر « كتاب الإلمام » لأول مرة بكل ما حوى من الموضوعات

المتفرقة فى مختلف فنون الأدب و التاريخ و العلوم و القصص و غير ذلك بما جمعه مؤلفه من بطون الأصول الخطية العديـــدة التى كان ينسخها لأغنياء تجار الإسكندرية ، مضافا إليها المعلومات الفريدة التى سردها عن الإسكندرية كشاهد عيان فى القرن الرابع عشر الميلادى .

عزيز سوريال عطيه
أستاذ التاريخ و اللغات بجامعة يوتا
بالولايات المتحدة الأمريكية

حيدرآباد الدكن بالهند
٣ نوفمبر سنة ١٩٧٠



بسم الله الرحمن الرحيم

[تكملة مرثاة ابن أبي حجلة[١]]

[١٥٤ : الف] [٢]نعود إلى مرثية ابن أبي حجلة المتقدم أبياتها فى وقعة[٢] الإسكندرية :

و حقك هذا من ذنوب تقدّمتْ   و قرع كؤوس الخمر فى الثغر بالثغر

فى هذا البيت توبيخ و تقريع لأهل الإسكندرية ، و تعريض لذكر عيوبهم ، كأنه يقول : ما جرى عليهم الذى جرى من القتل و النهب و الأسر إلا بذنوبهم التى اقترفوها فيما تقدم من الفساد و شرب الخمر و غيرهما . و من أين علم ابن أبي حجلة أن لكل أهل الإسكندرية ذنوبا و عيوبا[٣] ؟ بل لا تخلو[٤] الإسكندرية من الصالحين المتقين السليمين مما

---

(١) هذا العنوان غير موجود فى الأصل ، و أضفناه كما أضفنا غيره من عناوين الفصول المختلفة أيضا بين قوسين فيما يلى من هذا الكتاب ، و ذلك لتيسير متابعة محتوياته حيث أن الأصول وردت مرسلة فى الجملة بغير تبويب .

(٢-٢) الجملة فى بن [١٠٣ : ب] : فلنرجع إلى ما قاله ابن حجلة فى مرثيته لأهل .

(٣) فى الأصل و بن : ذنوب و عيوب . و قد صححت بقلم آخر فى بر .

(٤) فى بن : لا يخلو .

ذكره فى هذا البيت . قال الله تعالى فى خطابه لإبليس اللعين[1] : " إن عبادى ليس لك عليهم سلطن إلا من اتبعك من الغوين[2] " . فعباده [3]الصالحون المتقون المخلصون[3] عافاهم الله من الذنوب لحفظه لهم . و كان ينبغى لابن أبى حجلة الصمت و السكوت[4] عن هذا البيت سترا على المسلمين الموحدين . فالمبتلى بها أمره راجع[5] إلى الله تعالى ، و الله تعالى يعفو أو يغفر ، إن ربك واسع [6]المغفرة . ولو قدرنا أن لهم ذنوبا كما ذكر[6] فلسان حالهم يقول :

إن يكن[5] هذا الذنب سابقا[7] قد جرى منا بجهل[8] و غرر
أو يكن منا إساءة[9] بدت فاله العرش أولى من غفر

---

(١) قرآن كريم : ١٥ : ٤٢ .
(٢) فى الأصل : الغاوين . و هى صحيحة فى بن .
(٣-٣) فى الأصل و بن : الصالحين المتقين المخلصين .
(٤) من بن ، و فى الأصل : السكون .
(٥) ساقطة من بن .
(٦-٦) فى بن مطموسة فى ترميم الورقة .
(٧) فى الأصلين : سابق .
(٨) من بن ، و هى فى الأصل : و جهل .
(٩) فى الأصل و بن : اساءت ـ بالتاء المفتوحة ، و الكلمة مصدر بالتاء المربوطة .

 فكان

فكان ينبغى له الصمت عن [١] ذكر هذا البيت [١] :

[٢] فى الصمت إلا فى الخير [٢]

كن صامتا حتى يقال كأنما ... زر الحديد على لسانك [٣] سُمِّرتْ
فاذا دعتك إلى الكلام ضرورة ... فانطق [٤] بما خير الأمور تيسَّرت

و كان ينبغى لابن أبى حجلة سد خلل أهل الإسكندرية ، لأن سد خلل المسلمين أحسن من إظهار عيوبهم . قال الحريرى [٥] فى ملحة الإعراب [٥] :

و إن تجد عيبا فسد الخللا ... فجلّ من لا عيب فيه و علا

و قال غيره :

[٦] لا تكشفن من عيوب الناس ما ستروا ... فيكشف الله سترا من مساويكا
فاذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... و لا تعب أحدا منهم بما فيكا

و قال غيره :

المرء إن كان عاقلا ورعا ... يمنعه عن عيوبنا ورعه
كالعليل السقيم يشغله ... عن وجع الناس كلهم وجعه [٦]

(١ - ١) فى بن [١٠٤ : الف] : ذلك . و بهامش بر : فى الصمت .
(٢ - ٢) فى بن : قال بعضهم فى لزوم الصمت إلا فى خير .
(٣) فى بن : لسانه . و هى جائزة .
(٤) ساقطة من بن .
(٥ - ٥) واردة فى بن ، و ساقطة من بر .
(٦ - ٦) الأبيات كلها ساقطة من بر و واردة فى بن و قد أخذناها عن الأخيرة .

و قال غيره :

إن كانت الأعضاء خالفت الذى   أُمِرتْ به فى سالف الأزمان
فسلوا الفؤاد عن الذى أودعتموا[1]   فيه من التوحيد و الإيمان
تجدوه قد أدّى الأمانة فيهما   فهبوا له ما حلّ فى الأركان

ذكر[2] الأستاذ أبو القاسم[3] القشيرى فى شرح الأسماء الحسنى له عن ابن المنكدر قال : قلت فى الطواف: اللهم اعصمنى ، و أقسمت على الله طويلا ، فرأيت فى المنام كأن قائلا يقول لى : أنت الذى قلت : اعصمنى ؟ قلت : نعم ، فقال[4] : إنه [١٥٤ : ب] لا يفعل . فقلت : لِمَ ؟ قال : يريد أن يُعصَى حتى يغفر .

و قال إبراهيم بن أدهم الكبير المقدار ، صاحب المقامات و الأنوار : طُفت ذات ليلة بالبيت الحرام ، و كانت ليلة مطرة كثيرة الظلمة ، و قد خلى الطواف و طابت نفسى فوقفت عند الملتزم و قلت : اللهم اعصمنى حتى لا أعصيك ؛ فهتف بى هاتف فقال : يا إبراهيم ! أنت سألتنى أعصمك و كل عبادى يسألنى[5] العصمة ، فاذا عصمتهم فعلى من أفضل و لمن أغفر ؟

---

(١) فى بن : اودعتهم .
(٢) فى بن : و ذكر .
(٣) فى بن : القسم .
(٤) فى بن : قال .
(٥) فى بن : يسلنى .

وذكر أبو طالب المكى فى كتاب قوت القلوب له عن سهل بن عبد الله التسترى أنـه كان يقول: العبد لا بد له من مولاه على كل حال، وأحسن حاله أن يرجع إليه فى كل شيء، إذا عصى يقول: يا رب استر على، فاذا فرغ من معصيته قال: يا رب تب علىّ، فاذا تاب قال: يا رب ارزقنى العصمة. فاذا عمل قال: يا رب تقبّل منى.

وقال الجزولى فى شرح رسالة ابن أبى زيد فى الفقـه: ينبغى للانسان[1] أن يتأول لأخيه المسلم ولا يسىء به الظن. قال الله تعالى: "ان بعض الظن اثم[2]". [3]وقد قال[3] النبى صلى الله عليه وسلم: «إياكم وسوء الظن فانه أكذب الحديث[4]». واعلم أن الإنسان مشتق من الظهور لقوله تعالى: "فان آنستم منهم رشدا[5]". أى فان ظهر لكم منهم، كما سمى الجن جنا لاستتاره. وكما يقال يضرب على يد اليتيم حتى يستقيم. وقيل سمى الإنسان إنسانا لإنسانيته، كما سمى الوحش وحشا لتوحشه. وقيل مشتق من النسيان لأنه ينسى؛ وهذه المعانى كلها موجودة فى الإنسان – انتهى.

نعود إلى ما جاء فى فضل التستّر على المؤمن. قال النبى صلى الله

(١) فى بن: للانسا. وربما كانت النون مطموسة فى ترميم الورقة.
(٢) قرآن كريم: ٤٩: ١٢.
(٣–٣) فى بن: وقال.
(٤) الكلمة ساقطة من بن.
(٥) قرآن كريم: ٤: ٦.

عليه و سلم: «من ستر عورة أخيه، ستر الله عورته يوم القيامة[1]». و قال عمر رضى الله عنه: «لا تظن بأخيك سوءا و أنت تجد له فى الخير[2] مسلكا». و قال عليه السلام: «لا تعجل[3] على أخيك و أنت تجد له وجها تدفع[4] به عنه». و إياكم و التعنيف و أنتم تجدون سبيلا إلى التخفيف، فان الله عز و جل قد أعذر إلى خلقه[5] و بالغ فى العذر[6]. و قال بعض [7]أهل الصلاح: لا ينبغى للمؤمن أن يسىء[7] الظن بأخيه حتى يلتمس له سبعين مخرجا. و قيل لبعضهم: رأيت الذى يشهد فيه بالصلاح على باب الخانة واقفا. فقال[8]: لعله وقف لأمر معروف و نهى عن منكر. فقيل له ليس هو ممن نُصب لذلك. فقال: و لعل له غريما تحصن بها. فقيل له: ليس هو ممن يداين الناس. فقال[9]: لو كان يداينهم لما اشتد طلبه، و إنما تجددت عليه المداينة فندم عليها فجدّ فى طلب الغريم.

(١) فى بن: القيمة.
(٢) ساقطة من بن.
(٣) فى بن: لا لا تجعل.
(٤) فى بن: قد وقع.
(٥) فى بن: خالقه.
(٦) زيد فى بن: و قال أبو الحسن المغربى: ارحم خليلى عباد الله فالصحبة و النظر إليهم بعين اللطف و الشفقة... و ارحم صغيرهم و راع فى كل خلق الله من خلقه.
(٧-٧) الجملة مطموسة فى بن فى الترميم.
(٨) فى بن [١٠٤: ب]: فقل.
(٩) فى بن: و قال.

قيل

و قيل [١٥٥ : الف] لبعضهم فلانٌ[1] الذى يُشْهَد فيه بالصلاح رأيته اليوم يقبّل امرأة فى الطريق، فقال: و لعلها من ذوات محارمه. فقيل له: [2]و هل لا[2] أمهلها حتى يجمعهما ساتر؟ فقال له: و لعله حلف لا يجمعهما ساتر. و قيل لآخر مثله فقال: و لعلها زوجته. فقيل له: [2]و هل لا[2] كان فى سترة؟ فقال: [3]و لعل السفر[3] أعجله عن ذلك[4]. قال بعض الأشياخ: فاذا كان الستر مسنونا و فعله مشروعا و مندوبا معمولا به عند العلماء[5] خاصة، فى حق المسلمين عامة، فانه يتأكد فى أهل الفضل المشهود لهم بالخير فى الأصل. و لقد أحسن القائل فى وصف أحوال الإخوان:

فمن كان ذا عذر قبلت اعتذاره   و من لا له عذر فعندى له عذر

عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يا معشر من أسلم بلسانه و لم يفض الإيمان إلى قلبه! لا تعيّروا المسلمين و لا تسبوهم و لا تتبعوا عوراتهم[6]، و من يتبع الله عورته يفضحه[7] و لو فى

(١) من بن، و فى بر: فلانا.
(٢-٢) كذا فى الأصل، و ربما كان الأصوب قراءتها: و هلّا.
(٣-٣) فى بن: و لعله للسفر ثم.
(٤) زيد فى بن: قيل له: ليس هو ممن يداين الناس. فقال: لو كان يداينهم لما اشتد طلبه و إنما تجددت عليه المداينة. فندم بجد فى طلب الغريم، و قيل لبعضهم فلان الذى يشهد فيه با .... و الجملة مكررة و مشطوبة.
(٥) فى بن: الفقها.
(٦) زيد هنا فى بن: فان من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته.
(٧) فى بن: يفضح.

جوف بيته » . و قال أبو سعيد الخراز : استسرارك لعيوب[١] الناس ذل لك لأن الله عز و جل ستر عباده بستره الجميل ، فمن تعرض لهتك ستره أذله الله فى الدنيا و مقته فى الآخرة .

و اعلم أن الشفقة على خلق الله تعظيم[٢] لأمر الله[٣] ، و الستر عليهم يرتجى به[٤] من الله[٣] ، لأن من سَتَرَ سُتِرَ و من قَهَرَ قُهِر . و قال صلى الله عليه و سلم : « لا يستر عبدٌ عبدا إلا ستره الله يوم القيامة » . و قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « كان فى[٥] بنى إسرائيل رجلان متآخيان[٦] أحدهما مجتهد و الآخر مذنب ، فكان المجتهد يقول للمذنب : اقصر ، فيقول المذنب : خلّنى و ربى ! فوجده المجتهد يوما على عظمة ، فقال : اقصر ، فقال المذنب : خلى و ربى أَ بُعِثْتَ علىّ رقيبا ؟ فقال : و الله لا يدخلنّك[٧] الله الجنة ! فبعث الله ملك الموت فقبض أرواحهما . فقال الله عز و جل للمذنب : ادخل الجنة برحمتى[٨] ، و قال للمجتهد : أ كنت قادرا على ما فى يدى ؟ أ تستطيع أن تمنع عبدى رحمتى ؟ أدخلوه النار .

---

(١) فى بن . بعيوب
(٢) فى بن : تعظيما .
(٣) زيد فى بن : تعالى .
(٤) زيد فى بن : الستر .
(٥) فى هامش بر : نكتة .
(٦) فى الأصلين · متواخيان .
(٧) فى بن : يدخلك .
(٨) ساقطة من بن .

ثم قال النبي صلى الله عليه و سلم: « لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه و آخرته » ذكره البزاز في سننه .

قال الشيخ أبو العباس المرسي في قوله سبحانه[1]: " يوم تشقق السماء بالغمام و نزل الملآئكة تنزيلا ، الملك يومئذ الحق للرحمن[2] " . و لم يقل: للقهار و لا للعزيز، فلو قال: للقهار أو العزيز، لم يطق ذلك العذاب[3] و انفطرت قلوبهم فرفق بهم أن قال: " الملك يومئذ الحق للرحمن " . و هكذا قوله: " يوم نحشر المتقين الى الرحمن [١٥٥ : ب] وفدا[4] "، و لم يقل : للقهار و لا للعزيز، لأن الحشر و هول المطلع شديد فلاطفهم [5]في رحمانيته[5] في ظهور سلطان قهره[6] . و قال أبو الحسن الشاذلي: من آمن بالله أمن من كل شيء، و من أسلم لله قل ما يعصيه ، و إن عصاه اعتذر إليه ، و إن اعتذر إليه قَبِل عذره . و قال ابن عمر[7]: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول « إن الله يدني المؤمن فيضع كنفه عليه و ستره . فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب ! حتى يقرره بذنوبه و رأى نفسه أنه

(١) زيد في بن: و تعالى . قرآن كريم: ٢٥ : ٢٥ و ٢٦ .
(٢) « للرحمن » ساقطة من بن .
(٣) في بن : العباد .
(٤) قرآن كريم: ١٩ : ٨٥ .
(٥ – ٥) في بن : برحمانيته .
(٦) في بن : قدرته .
(٧) زيد هنا في بن : رضي الله تعالى عنهما .

هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، و أنا أغفرها لك اليوم» و قال النبي صلى الله عليه و سلم: «لا يستر عبد[1] عبدا إلا ستره الله يوم القيامة[2]».

قال بعضهم: كنا قعودا[3] ببغداد عند[4] معروف الكرخي على الدجلة إذ مر بنا قوم أحداث في زورق يضربون بالدفوف و يشربون و يلعبون، فقالوا -[5] لمعروف: ما تراهم يعصون الله مجاهرين؟ فهل لا دعوت عليهم؟ فرفع يده و قال: إلٰهي! كما فرّحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة. فقالوا: أيها الشيخ! سألناك أن تدعو عليهم فدعوت لهم. قال[6]: إذا فرّحهم[7] في الآخرة تاب عليهم.

قال: بعض العارفين: إذا كان الحق سبحانه حرس السماء بالكواكب و الشهب كيلا يسترق[8] السمع منها، فقلب المؤمن أولى بذلك [9]لقول الله[9] سبحانه[10] فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم: لم تسعني[11] أرضي

---

(١) ساقطة من بر و واردة في بن.
(٢) في بن [١٠٥ : الف]: القيمة.
(٣) في الأصلين: قعود.
(٤) في بن: مع.
(٥) في بن [١٠٥ : الف]: فقيل.
(٦) في بن: فقال.
(٧) في بر: فرحوا.
(٨) في بن: يسترقوا.
(٩ - ٩) في بن: لقوله.
(١٠) زيد في بن: و تعالى.
(١١) في الأصل: لم يسعني.

و لا سمائى ، و يسعنى قلب عبدى المؤمن . فانظر رحمك الله هذا الأمر الأكبر الذى أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه المرتبة أهلا . و لقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى: لو كشف عن[1] نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء و الارض، فما ظنك بنور المؤمن المطيع؟ قال بعض المريدين: صليت خلف شيخى صلاة، فشهدت ما أبهر عقلى، و ذلك أنى شهدت[2] بدن الشيخ و الأنوار قد ملأته ، و أنبثت الأنوار من وجوده حتى لم أستطع النظر إليه . فلو كشف الحق عن مشرفات أنوار قلوب[3] أوليائه لانطوى نور الشمس و القمر من أنوارهم، الشمس يطرى[4] عليها الكسوف و الغروب ، و أنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها و لا غروب . و لذلك قال قائلهم:

إن شمس النهار تغرب فى الليـل و شمس القلوب ليس تغيب

و كان كل خليفة ولى الخلافة ببغداد يرفع إليه حُرّاس الدروب فى كل صبيحة يوم ما يكون عندهم من أحوال الناس الصالحة و الطالحة . فلما ولى الظاهر[5] الخلافة أمر[6] بتعطيل ذلك[6] ، و قال : أى فائدة فى كشف أحوال الناس و إظهار أسرارهم؟ [١٥٦ : الف] فقيل له: إن ترك ذلك

(١) فى بن: من .
(٢) فى بن : وجدت .
(٣) فى بن : قلبى .
(٤) يطرى فى الأصل بمعنى يطرأ و هى كذلك فى بن .
(٥) الخليفة العباسى وحكمه ٦٢٢ – ٦٢٣ هـ / ١٢٢٥ – ١٢٢٦ م .
(٦ – ٦) فى بن: بتبطيل ذلك كله .

يفسد الرعية ، فقال : نحن[١] ندعو[٢] الله لهم أن يصلحهم . و أرسل إلى القاضي عماد الدين عبد القادر الحنبلي بعشرة آلاف دينار يقضي بها ديون من في سجونه الذين لا يجدون وفاء ، و فرّق في العلماء بقية المائة ألف دينار . و لامه بعض الناس في هذه الأفعال فقال : نحن فتحنا الدكان بعد العصر فذروني[٣] أعمل صالحا ، فكم مقدار ما بقيت أعيش . و كان بويع بالخلافة وعمره يومئذ اثنان و خمسون عاما[٤] فلم يَلِ[٥] الخلافة من بني العباس أسنّ منه . و لم تزل سيرته محمودة حتى توفي رحمه الله تعالى ، و رخصت الأسعار في أيامه بعد غلاء كبير[٦] ، أكلت الناس فيه الكلاب ببلاد الجزيرة و الموصل[٧] ، فزال ذلك عن الناس بخلافته . فانظر إلى حسن خُلُق هذا الخليفة كيف كان يحسن إلى الناس و يسترهم ! يرجو بذلك الشفقة على عباد الله و الرحمة لهم ، لأن من رحم العباد رحمه [٨]رب العباد[٨] . قال النبي صلى الله عليه و سلم : « الراحمون

(١) في بن : ان نحن .

(٢) في الأصل « ندع » مصححة بقلم آخر إلى « ندعو » و هو الصواب ، و في بن : ندعوا .

(٣) في بن : فدعوني .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) في الأصلين : يلي .

(٦) في بن : كثير .

(٧) في بن : و بالموصل .

(٨-٨) في بن : الله تعالى .

يرحمهم الرحمن[1] . قال عامر الدوسي : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ أقبل رجل عليه كساء و في يده شيء قد التف عليه فقال: يا رسول[2] الله! مررت بغيضة شجر فسمعت أصوات أفراخ، فأخذتهن فوضعتهن في كسائي، فجاءت أمهنّ فاستدارت على رأسي، فكشفت لها عنهنّ، فوقعت عليهنّ، فلففتهنّ في كسائي فهم هؤلاء معي . فقال: ضَعْهنّ . فوضعتهنّ و أبتَ أمهنّ إلا لزومهن . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أتعجبون لرحمة أم الأفراخ بفراخها ؟ قالوا : نعم ! قال: و الذي نفسي بيده [3]الله أرحم بعباده[3] من أم الأفراخ بأفراخها[4]، ارجع حتى تضعهن من حيث أخذتهن و أمهن معهن . فرجع بهنّ كما أمره . ذكره أبو داود في سننه . فانظر إلى شفقة النبي صلى الله عليه و سلم في قوله : ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن .

و من علامات خلق النبي صلى الله عليه و سلم إشفاقه أيضا على أهل الكبائر من أمته و أمره إياهم بالتستر . فقال : من بُلي بهذه القاذورة فليتستر ـ يعني المحرمات . و عتب النبي صلى الله عليه و سلم على ماعز لما حرضه على إشهار نفسه عنده باقراره بالزنا ، فأمر النبي صلى الله عليه و سلم برجمه بعد أن قال له : أبك جنون ؟ قال : لا . و لا خلاف

(١) زيد في بن: تبارك و تعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.
(٢) في الأصلين: يرسول.
(٣-٣) في بن: لله بعباده أرحم.
(٤) في بن: نفراخها . و بقية الجملة مطموسة في ترميم الورقة.

بين العلماء فى إلزام المقرّ ما أقرّ به ما لم يمنع من ذلك مانع . و لما قيل للنبى صلى الله عليه و سلم : إن ماعزا فرّ من الرحم فتبعناد إلى أن قتلناه بالحجارة ، فقال : [1]هل لا[1] أتيتمونى به ؟ و أمر أمته أن [١٥٦ : ب] يستغفروا للحدود و يترحموا عليه لما حنقوا عليه و سبوه و لعنوه[2] . فقال : قولوا : اللهم اغفر له و ارحمه ! و قال لهم فى رجل كان[3] كثيرا ما يؤتى به سكرانا بعد تحريم الخمر ، فلعنوه مرة ، فقال : لا تلعنوه فانه يحب الله و رسوله . فأظهر لهم خبيئة قلبه لما رصوه بظاهر فعله لأن حبّة من مواجيد القلوب خير من قراريط من أحوال النفوس ، و حبّة من أحوال النفوس تنشأ عن أصل معرفة من القلوب خير من قراريط من أعمال الأبدان ، و إنما ينظر الله إلى القلوب ، و خبّأ رسول الله صلى الله عليه و سلم دعوته ليبقى له عمل يعمل به يوم القيامة لم يبق[4] لآدمى سواه . فقال : اختبأتُ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة .

[السبع الموبقات[5]]

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات[6] . قيل : يا رسول[7] الله ! و ما هن ؟ قال : الشرك بالله

(١–١) لعله « هلا » .
(٢) ساقطة من بن .
(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤) فى الأصلين : لم يبقى .
(٥) العنوان غير وارد بالنص و قد أخذناه عن الهامش .
(٦) فى الهامش : السبع الموبقات .
(٧) فى الأصلين : يرسول .

و السحر

و السحر و قتل النفس التى حرّم الله إلا بالحق و أكل مال اليتيم و أكل الربا و التولى يوم الزحف و قذف[1] المحصنات ـ خرّجه مسلم . و عن النبى صلى الله عليه و سلم فى الكبائر قال : الشرك بالله و عقوق الوالدين و قتل النفس و قول الزور .

عن عبد الله[2] بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن من الكبائر شتم الرجل والديه . قالوا : يا رسول[3] الله ! هل يشتم الرجل والديه . قال : نعم ، يسبّ أبا الرجل فيسب أباه و يسب أمه فيسبّ أمه . و سيأتى ما قيل فى الكبائر و الصغائر إن شاء الله تعالى .

و قال[4] النبى صلى الله عليه و سلم : شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى .

يحكى[5] أن أعرابيا أتى مسجد[6] النبى صلى الله عليه و سلم[6] فأناخ راحلته بباب المسجد و جاء بين يدى قبر النبى صلى الله عليه و سلم[6] ، فقال منشدا :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم

---

(١) فى الأصل : و قتل . صححت إلى « و قذف » و فى الهامش : صواب « و قذف » . و هى كذا فى بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى الأصلين : برسول .

(٤) فى بن : قال .

(٥) فى بن : حكى .

(٦-٦) الجملة مكررة فى بن .

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

ثم التفت الأعرابي لقبر[1] النبي صلى الله عليه و سلم فقال : بأبي أنت و أمي يا رسول[2] الله ! خصك الله يا رسول[2] الله و أنزل عليك كتابا جمع لك فيه خير الأولين و الآخرين ، قُلتَ عن الله فسمعنا قولك ، و وَعَيْتَ عن الله فوعينا عنك ، وكان مما أنزل عليك "و لو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما[3]" و قد أتيتك تائبا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي ! فنودي من القبر أن الله قد غفر لك .

قال المؤلف [4]غفر الله له و لوالديه و للأقربين إليه و لجميع المسلمين[4]: وقفت على أبيات فيها زيادة على بيتي الاعرابي [١٥٧ : الف] فأحببت ذكرها هنا -[5] و هي .

أقول و الدمع من عيني منسجم   لما رأيت جدار القبر يُستَلم
و الناس من حوله باك و منقطع   من المهابة أو داع فمُلتزَم
[6]فما تمالكت أن ناديت من حُرَق[6]   [7]في الصدر[7] كادت بها[8] الأجساد تضطرم

(١) في بن : إلى قبر .
(٢) في الأصلين : يرسول .
(٣) قرآن كريم : ٤ : ٦٤ .
(٤-٤) في بن : رحمه الله .
(٥) ساقطة من بن .
(٦-٦) مطموس في الترميم .
(٧-٧) في بن : و الصدر .
(٨) في بن : به .

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع و الأكم
أنت النبي الذى ترجى شفاعته   عند الصراط إذا ما زلّت القدم
[1]لو لاك ما خلقت شمس و لا قمر   و لا نجوم و لا لوح و لا قلم[1]
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف و فيه الجود و الكرم
و فيه شمس التقى[2] والدين قد غربت   من بعد ما أشرقت من نوره الظلم
حاشا[3] لوجهك أن يبلى و قد هديت   فى الشرق و الغرب من أنواره الأمم
لئن رأيناه قبرا إن باطنه   لروضة من رياض الخلد[4] تبتسم
طافت به من حوالى[5] ملائكة   تغشاه فى كل ما[6] يوم و تزدحم
لو كنت أبصرته حيا لقلت له   لا تمش[7] إلا على خدى لك القدم
لقيت ربك و الإسلام صارمه   ماض و قد كاد[8] جيش الكفر يصطدم
[1]فقمت فيه مقام المرسلين إلى   أن عزّ فهو على الأيادى يحتكم[1]

(١–١) هذا البيت ساقط من بر و وارد فى بن [١٠٦ :الف]
(٢) فى بن : التقا .
(٣) فى بن : حاشى .
(٤) فى بر : الخلد . و صححته فى بن .
(٥) فى الأصلين : حواليه . و لا يستقيم بها الوزن .
(٦) ساقطة من بن .
(٧) فى الأصل : لا يمشى – كذا .
(٨) فى بن : كان .

او يروى أن أعرابيا سمع ابن عباس و هو يقرأ "و كنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها[2]" . فقال الأعرابى[3] : و الله ما أنقذهم[4] منها و هو يريد أن يعيدهم فيها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه - انتهى .

٥ (الستر على العباد)

نعود إلى ذكر فضل الله و كرمه و ستره على عباده المؤمنين فله

(١) زيد هنا فى بن : و اعلم أن الله تعالى أمر محمدا صلى الله عليه و سلم بالاستغفار للذنبين "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنٰت" (قران كريم : ٤٧ : ١٩) والفاسق مؤمن بدليل قوله تعالى "وإن طائفتٰن من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احدٰهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى" (قرآن كريم : ٤٩ : ٩) سماه مؤمنا حال كونه باغيا وقال "يايها الذين اٰمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى" (قرآن كريم : ٢ : ١٧٨) سماه مؤمنا حال ما قتل الناس بغير الحق فثبت بهذا أن الله تعالى أمر محمدا أن يستغفر للفاسق فاذا طلب محمد صلى الله عليه و سلم المغفرة للفاسق فلا بد أن يريد ألا يرده الله عن مطلوبه بل يقبل شفاعته و إذا ثبت أن محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ذلك وجب أن يرضيه الله تعالى بذلك كقوله تعالى "و لسوف يعطيك ربك فترضى" (قرآن كريم : ٩٣ : ٥) و يلزم من مجموع ذلك أن الله سبحانه و تعالى يقبل شفاعة محمد صلى الله عليه و سلم فى حق الفسّاق .

(٢) قرآن كريم : ٣ : ١٠٣ .

(٣) فى بن : للاعرابى .

(٤) فى بن : نقذهم .

الحمد و الشكر دائما على إنعامه[1] ا اعلم أن معنى[2] الحمد فى اللغة الثناء على المحمود بجميل صفاته و أفعاله[3] و الشكر و الثناء[2] على[4] إنعامه . فكل شكر حمد و لا ينعكس . و قيل إن كل واحد منهما عام من وجه ، خاص من وجه ، لأن الحمد لا يكون إلا باللسان ، والشكر يكون[2] باللسان و غيره . قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة   يدى و لسانى و الضمير المحجبا

و الحمد و المدح معناهما واحد و إن افترقا من جهة أن الحمد خاص بأولى العلم ، و المدح يكون لأولى العلم و غيرهم[5] - انتهى[2] .

نعود إلى ذكر كرم الله و ستره على عباده . ورد فى الحديث

---

(١) زيد هنا فى بن : فلنذكر ما قيل فى الحمد و الشكر .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : و فعاله .

(٤) كذا فى بن و فى الأصل : عليه .

(٥) زيد فى بن : قال بعض العلما فى صدر كتابه : الحمد لله بلا ابتدا الأخير بلا انتها ، أحمده على حلمه بعد علمه ، و على عفوه بعد قدرته ، و صلى الله على محمد النبى المكرم و الشافع المقرب ، الذى بعث آخرا و اصطفى أولا ، و جعلنا من أهل طاعته و عتقنا بشفاعته .

عن أنس بن مالك[1] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم و أتى بقوم يذنبون و يستغفرون فيغفر لهم». و خرج مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [١٥٧ : ب] «و الذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم و لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم». و قال صلى الله عليه و سلم: «ما أصرّ من استغفر و لو عاد فى اليوم سبعين مرة». و قال صلى الله عليه و سلم: «من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غُفِر له و إن لم يستغفر». و قال على بن أبى طالب [2]رضى الله عنه[2]: العجب ممن يهلك و معه النجاة. قيل: و ما هو؟ قال: الاستغفار. و قال الفضيل بن عياض: قول العبد: أستغفر الله - يعنى أقلنى[3]. و لما[4] دخلوا إخوة يوسف عليه و هو قاعد على سرير ملكه و على وجهه البرقع المكلل بأنواع الجواهر[5] فعرفهم

(١) زيد فى بن: رضى الله عنه.

(٢-٢) ساقطة من بن.

(٣) تلى الجملة هنا فى بن زيادة من ٤٦ سطرا [١٠٦: ب-١٠٧: الف] كلماتها الأولى مطموسة فى الترميم و البقية تتكون من عبارات فيها ما هو مفهوم و ما هو غير مفهوم، و الظاهر أن ناسخ بر تجاوز عنها و أسقطها لهذا السبب و لقلة فائدتها فى خدمة النص، و قد اقتفينا أثره فى ذلك فرفعناها من هذا الهامش.

(٤) فى بن الواو ساقطة من «و لما».

(٥) فى بن: اللؤلؤ و الجواهر.

و لم يعرفوه نقر صواعه الذهب[1] و أدناه إلى أذنه ليسمع طنينه ، فقال لهم : إن هذا الصواع يخبرنى أنكم طرحتم أخاكم فى البئر ثم أخرجتموه و بعتموه بثمن بخس . فأنكروه و قالوا : لم نفعل ، لعل الملك قد[2] سمع غلطا . فأخرج الكتاب الذى كتبوه يوم بيعه لمالك بن دعر و فيه خطوطهم ، فقال : هذا الكتاب وجدته فى خزائنى و هو مكتوب بالعبرانية ، فاقرأوه[3] و فسروه لنا . قال فأخذه يهودا و نظر فيه ، ثم قال لأخيه روبيل : أ تعرف خطك ؟ فلما نظر إليه روبيل داخلهم الجزع و بهتت أبصارهم و خرست ألسنتهم ، فقال لهم يوسف : ما لكم صمتم ؟ فقالوا : [4]أيها الملك نعم[4] هذا كتاب كتبناه[2] لعبد بعناه كان لنا . قال : فأخبرونى ما فيه . فقرأه عليه روبيل . فقال يوسف : ويحكم ! لقد جئتم بما لا يليق بكم ، فلو كنتم كما تقولون ما ارتكبتم مع[5] [6]صغيركم ما ارتكبتم . ثم نقر الصواع[6] و أصغى بأذنه إليه و قال : إن الصواع

(١) زيد فى بن : الذى يكيل به البر فى زمن الغلا فأدناه .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى الأصلين : فاقروه .

(٤-٤) فى بن : نعم أيها الملك .

(٥) فى الأصلين : من .

(٦-٦) الجملة مطموسة بالترميم فى بن .

أخبرني[١] أن أخاكم الذى تزعمون موته حى[٢] و أنه سيرجع فيخبر الناس بصنيعكم معه . ثم نقر الصواع و قال: يقول هذا إنكم أذنبتم هذا الذنب و ما زلتم مصرّين لم تتوبوا و لم تستغفروا الله لأصيّرنّكم نكالا للعالمين ، و لأذيقنّكم وبال أمركم ، عليّ بالحدادين[٣] حتى أقطع أيديكم و أرجلكم . فلما سمعوا ذلك ضاق ذرعهم و أسالوا دموعهم و خضعوا . فقال لهم يهودا : ما حذرتكم منه يوم فعلتم بأخيكم ما فعلتم و قلت لكم إن الله عز و جل بالمرصاد لا يترك ظلم العباد ، فكيف يكون حال ذلك الشيخ الضعيف يعقوب إذا وصله فَقْد أولاده جميعا و قد أصابه ما أصابه لفقد واحد ، فتوبوا إلى الله و اعترفوا بين يديه و أشهدوا هذا الملك الجليل قدره على أنفسكم بالتوبة ، فلعل الله تعالى أن يجعل لكم فى قلبه شفقة و رحمة ، فان الله أرحم الراحمين . قال : فبكوا جميعا و قالوا : اعترفنا بذنوبنا و تبنا مما كسبت أيدينا ، و لئن منّ الله [١٥٨ : الف] علينا برجوع [٤] أخينا يوسف[٤] إلينا لنكونن ترابا لقدميه ، و لنقبلنّ رأسه و يديه . فلما سمع يوسف مقالتهم و توبتهم و رأى حالهم فاضت عيناه بالدموع و قال : إلى كم أقلق[٥] قلوب إخوتى ؟ إنما كان حرصى على توبتهم

(١) فى بن [١٠٧ : ب] : يخبرنى .
(٢) فى الأصلين : حيا . و هى مصححة فى بر بقلم آخر .
(٣) فى بن : بالجرادين .
(٤-٤) فى بن : يوسف أخينا .
(٥) فى : اقلقك .

و زوال الإصرار من قلوبهم ، فأمر أن يخلى سبيلهم و ينصرفوا[1] لأبيهم . [2]فلنذكر الآن أدعيـة المذنبين المتضرعين لرب العالمين[2] ، و كان بعضهم يقول فى دعائه : اللهم ارحم من هتك الستور ، و عانق الفجور ، و لم يراقبك[3] يا غفور . و [4]قال بعضهم[4] فى المعنى :

و كم زللت و لم[5] أذكرك فى زللى   و أنت يا سيدى فى الغيب تذكرنى
و أكشف الستر جهلا عند معصيتى   و أنت يا سيدى بالغيب تسترنى

[6]قال النبى صلى الله عليه و سلم : « لا يرينّ أحدكم من أخيه عورة فيسترها إلا دخل الجنة » . و قال صلى الله عليه و سلم : « أمتى هذه أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة » . و قال عقبة بن عامر : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : « من وجد مسلما على عورة فستره فكأنما أحيي موؤدة من قبرها ، و من ستر مسلما ستره الله[6] » .

فائدة [فى الذنوب -[7]]

تشتمل على أنس لقلوب المؤمنين المذنبين ، و هى أن زليخا لما[8]

(١) فى بن : ينصرفون
(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن و يكتمل بها السياق .
(٣) فى بن : يراعيك .
(٤-٤) فى بن : و كان بعضهم يقول .
(٥) فى بن : فلم
(٦-٦) ساقطة من بن .
(٧) ما بين الحاجزين فى العنوان غير وارد بالأصل و أضفناه .
(٨) ساقطة من بن .

علمت أن النسوة يلمنها فى حبها ليوسف عليه السلام احتالت لعذرها ، فابتلى بها إياهن لما كان منها حتى صبرن[1] لسان الملامة لسان العذر و السلامة . فكذلك الله عز و جل لما لامت الملائكة بنى آدم بالمعاصى و ترك الأمر و ارتكاب النهى[2] ، و ركب فيهما الشهوات و إنهاء زمام الآفات ، فرجعوا عن لسان الملامة إلى لسان الاستغفار . قال الله [3]عز وجل[3] فى صفتهم[4] : « يسبحون بحمد ربهم و يؤمنون به و يستغفرون للذين آمنوا[5] » . و قال النبى صلى الله عليه و سلم فيما يروى عن الله عز و جل[6] : « يا عبادى ! إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم » .

[7]عن أبى هريرة[7] عن النبى صلى الله عليه و سلم فيما يحكى عن ربه عز و جل أنه قال : أذنب عبد[8] ذنبا فقال : أى رب اغفر لى ذنبى . فقال الله تعالى : « أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب[9] و يأخذ

(١) فى الأصلين : صرن .
(٢) فى بن : المنهى .
(٣ - ٣) ساقطة من بن .
(٤) فى بن : وصفهم .
(٥) قرآن كريم : ٤٠ : ٧ و يلاحظ أن « و يؤمنون به » ساقطة من الآية فى الأصلين .
(٦) فى الهامش : فوائد فى الذنوب . و هى بقلم غير قلم المخطوط .
(٧ - ٧) فى بن : روى عن ابى هريرة رضى الله عنه .
(٨) فى بن : عبدى .
(٩) فى بن : الذنوب .

بالذنب[١] . ثم أذنب فقال مثل ذلك ، ثم أذنب فقال مثل ذلك ، ثم أذنب فقال مثل ذلك . فقال الله تعالى : « اعمل ما شئت فقد غفرت لك » ـ أخرجه البخارى و مسلم .

قال الشيخ أبو العباس المرسى هذا الحديث عظيم الموقع فى الدين ، كثير النور و البركات ، فتح باب الرجاء بسبيل الخيرات ، شرح الله تعالى بنوره الصدور ، و يسّر بوجوده الأمور ، وسكن به قلوب الخائفين ، [١٥٨ : ب] و جبر به كسر المذنبين ، و سهّل به الأسباب ، و فتح به بواسع فضله و عظيم مغفرته كل باب ، فله الحمد على ما وفق و هدى ، و منح و أعطى .

اعلم أن هذا العبد صار قلبه لا يألف الذنب و لا يقر عليه ، بل كل [٢]ما قوى قلبه بنار المعصية[٢] و عاود التوبة و لم ينعقد أصلا فى قلبه عقدة[٣] إصرار ، و هذا حال من أحوال التوبة شريف ، و سلوك لأهل الأذواق لطيف ، و هو حال حسن للتائبين ، و منزل معلوم للسالكين . فلما علم الله تعالى أن هذا عبد ليس له على ذنب قرار بل كل ما لم يذنب عاود[٤] التوبة و الاستغفار ، قيل له : اعمل ما شئت [٥]إذا ، فانك إن قضى[٥] عليك

---

(١) فى بن : الذنوب .
(٢-٢) مطموسة فى بن فى الترميم .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) فى بن [١٠٨ : الف] : عاد .
(٥-٥) فى بن : فانى لن أقضى .

بذنب تبت إلينا، و عاودت أبواب كرمنا، و نحن أيضا أجرينا عوائد[1] كرمنا أن من تاب إلينا قبلناه، و إن عاود[2] فى كل يوم مائة مرة جبرناه، فأنت كلما وقعت فى الذنوب و العصيان، و راجعت التوبة فتحنا لك باب العفو و الغفران، يا عبادى! إنكم تخطئون بالليل و النهار، و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم، فاعمل ما شئت! فانك بتوفيقنا يُفتح لك باب المتاب، و أنا بسابق كرمى وعظيم إحسانى أغفر لمن تاب و أناب.

و قال أنس بن مالك[3]: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول «قال الله تعالى: يا ابن آدم! إنك ما دعوتنى و رجوتنى إلا[4] غفرت لك على ما كان منك، و لا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء [5] ثم استعمرتنى[5] غفرت لك يا ابن آدم! لو أتيتنى بتراب الأرض خطايا [5] ثم لقيتنى[5] لا تشرك بى شيئا لأتيتك بترابها مغفرة. [6] قال الشيخ محيي الدين النووى[6] معناه ما يقارب ملأها.

قال أنس بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قاعدا متفكرا فى ذنوب أمته و خطاياهم فأشفق لذلك. فبينما هو كذلك إذا

(١) ساقطة من بن.
(٢) فى بن: عاد.
(٣) زيد فى بن: رضى الله عنه.
(٤) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٥-٥) ساقطة من بن.
(٦-٦) ساقطة من بر و واردة فى بن.

بطائر منظوم بالدر و الياقوت من أحسن الطير خلقا قد وقع بين يديه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يعجب من حسنه و صورته ، ثم أن الطائر طار حتى أتى البحر و كشف الله عن بصره حتى رآه ، فأتى[1] جزيرة من الرمل فصار يأخذ بمنقاره من الرمل و يرمى فى البحر زمانا ، ثم طار حتى وقف بين يديه و قال: السلام عليك يا رسول الله! قال: وعليك السلام أيها الطائر! فقال: ألا تسألنى: من أين جئت ؟ و لِمَ فعلت ما فعلت ؟ قال: رأيتك قد[2] وصلت البحر و رأيتك تأخذ الرمل بمنقارك و ترميه فى البحر . قال: نعم، أردت أن أرد جرى ماء البحر و أطمس أمواجه بما أخذته من الرمل ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه و سلم . فقال: ما [أضحكك - ٣]؟ أضحك الله سنك! قال: عجبت من حسن عقلك وكيف تقدر [١٥٩: الف] أن ترد ماء البحر عما تأخذه بمنقارك من الرمل . فقال: إن الله عز و جل ضربنى لك مثلا حين علم ما خطر ببالك ، و الذى بعثك بالحق! ما ذنوب أمتك فى سعة عفوه إلا كما يأخذ الطائر بمنقاره و يجعله فى البحر - ذكره صاحب كتاب الغرائب و إظهار العجائب .

و قال الفضيل بن عياض: يقول الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة « بشر المذنبين أنهم إن تابوا قبلت توبتهم ، و حذّر الصديقين إن وضعت

---

(١) فى بن: اتى .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد من بن ، و قد سقط من ر .

عليهم عدلى عذّبتهم . قال[١] عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : من ذكر خطيئة ألمّ[٢] بها فوجل منها قلبه مُحِيَتْ عنه فى أم الكتاب . قال الله تعالى : " و إنى لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى[٣] " . قال الشيخ أحمد بن الجُلّا : لو أن رجلا عصى الله[٤] [٥]عز و جل[٥] بين يدى بمعصية ثم استتر عنى بهذا العمود - و كان مستندا إلى عمود - لم يسعنى فيما بينى و بين الله[٤] أن أعتقد فيه مارأيته عليه لأنه يمكن أن يكون تاب حين استتر عنى . و التوبة رجوع إلى الله[٤] بعد الفرار منه . و يروى أن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة ، فأنظره إلى يوم القيامة[٦] ، فقال : لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح ،[٧] فقال الله سبحانه و تعالى : « و عزتى

(١) فى بن : و قال .

(٢) فى بن : اثم .

(٣) قرآن كريم ٢٠ : ٨٢ .

(٤) زيد فى بن : تعالى .

(٥-٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : القيمة .

(٧) وردت العبارة من هنا إلى « فلايزال » فى بن مع بعض الزيادة على الوجه التالى : و قال : فبعزتك لاغوينهم اجمعين ، استثنى المخلصين عن إغوائه و إضلاله فوسوسة إبليس وصلت إلى المخلصين و ابراهيم و إسحاق و يعقوب كانوا من المخلصين . قال الله تعالى « إنا اخلصنٰهم بخالصة ذكرى الدار » [قرآن كريم ٣٨ : ٤٦ - و فى الأصل بياض] . و قال فى حق يوسف إنه من عبادنا المخلصين . فالذين =

و جلالى لا . . . .[١]عنه التوبة ما لم يغرغر . و قال ابن الجون[٢]: إن الرجل ليُحدث الذنب فلا يزال نادما حتى يموت فيدخل الجنة ، فيقول إبليس: يا ليتني لم أوقعه فيه! و قال [٣]سفيان بن عيينة : لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله قداستجاب دعاء شر الخلق و هو إبليس ، قال: رب فانظرنى الى يوم يبعثون ، قال: فانك من المنظرين ، و قال سفيان ٥
ابن عيينة أيضا : يستحب للرجل[٣] أن يقول فى دعائه: اللهم استرنى بسترك الجميل . و معنى الستر الجميل[٤] أنه يستر على عبده فى الدنيا و يستر عليه فى الآخرة من قبل أن يوبخه عليه . و قيل الصبر[٥] الجميل الذى لا جزع فيه

= لم يتبعوا ابليس هم الأنبياء عليهم السلام [هنا كلمات مطموسة بالترميم فى آخر ١٠٨ : الف ثم يستأنف الكلام بعد ثد فى ١٠٨ : ب] فدل هذا على أن الأنبياء ما أذنبوا البتة وأجمعت الأمة على أنهم معصومون من الكفر والبدعة . قال ابن الجوزى: ليحدث الذنب لا يزال – الخ .

(١) بياض بالأصل (بر) و لعل العبارة كما فى بن (انظر الحاشية السابقة) .

(٢) و لعل صحته كما فى بن « ابن الجوزى » (انظر حاشية سابقة) .

(٣–٣) وردت العبارة فى بن كما يلى : و قال سفين بن عنينة (!) لا يمنع أحدكم الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله قد استجاب من شر خلقه وهو ابليس . قال رب فانظرنى ان يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . و قال سفين ابن عنينة (!) أيضا للرجل أن يقول – الخ .

(٤) فى الهامش بالأصل (بر) : الستر الجميل .

(٥) فى بن : الستر .

و لا شكوى لأحد من المخلوقين١ . و قال الله تعالى : " إن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين٢ " . معناه إذا تاب عليـــه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية و إن كثرت ، كما لا يضره٣ الكفر٤ بعد الإيمان . و قال النبى صلى الله عليه و سلم : « إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب ، و التائب من الذنب كمن لا ذنب له » . و قال عليه السلام : « الشاب التائب حبيب الله ، و الشيخ التائب عتيق الله ، و يكون من الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات٥ » .

(١) زيد فى بن : و قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا يرين أحدكم من أخيه عورة فيسترها إلا دخل الجنة . و قال صلى الله عليه وسلم : هذه أمة مرحومة لا عذاب عليها فى الآخرة . و قال ابن الجوزى : يا أربـاب القلوب القاسـ . . . . روح الله يا أهل الخوف من عواقب الذنوب ، طيبوا قلوبكم إنه من عمل منكم شرا . . . . . له ثم تاب من بعده و أصلح فانه غفور رحيم ، حلوا عقدة ، الإصرار بظل خيط القبول (كذا) قلوبكم على أصل الطهارة ، و أنما تشبث به أنجاس المعاصى فأصابها رشاش فاغسلوها بيسير من مياه العيون و قد طهرت ــ انتهى . قوله تعالى : انه يحب التوابين ــ الخ .

(٢) قرآن كريم : ٢ : ٢٢٢ .

(٣) فى بن : يضر .

(٤) فى الأصل (بر) كلمة « قيل » زائدة ولا وجود لها فى بن وهو الصواب .

(٥) زيد فى بن ، قال الأصمعى : سمعت أعرابيا و هو يطوف بالبيت يقول : اللهم اغفر لى ما سلف من ذنوبى فان عدت لشىء منها فعـد علىّ برحمتك فانك أهل ذاك يا إلهى .

و اعلم

و اعلم أن التوبة فرض على جميع المؤمنين لقوله تعالى : "و توبوا إلى الله جميعا ايها المؤمنون[١]" . [١٥٩ : ب] و قوله تعالى : "و من لم يتب فاولئك هم الظلمون[٢]". و فى صحيح مسلم عن الأغر المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « يا ايها الناس ! توبوا إلى الله[٣] فانى أتوب إلى الله فى اليوم مائة مرة » . و فيه أيضا عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل فى أرض دونه[٤] مهلكة معه راحلته عليها طعامه و شرابه فنام فاستيقظ و قد ذهبت[٥] فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال : أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام فيه حتى أموت ، فوضع رأسه[٦] على ساعده ليموت فاستيقظ و عنده راحلته عليها زاده و طعامه و شرابه ؛ فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته » . و فى البخارى عن أبى هريرة[٧] قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : « إنى لأستغفر الله

(١) قرآن كريم : ٢٤ : ٣١ .

(٢) قرآن كريم : ٤٩ : ١١ .

(٣) زيد فى بن : جميعا .

(٤) فى بن : دونه .

(٥) فى الأصل (بر) : ذهب . و صوابها فى بن كذا .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد فى بن : رضى الله تعالى عنه .

و أتوب إليه [1]فى اليوم[1] أكثر من سبعين مرة » . لا يقال : إن كثرة استغفار النبى صلى الله عليه و سلم و توبته كان بسبب[2] ذنب ، فان عصمته من ذلك لا شك فيها و لا ريب . و قد اختلف المحققون من العلماء الأخيار فى سبب كثرة الاستغفار ، فقال بعضهم : سببه فترات و غفلات[3] عن الذكر الذى كان دأبه ، فكان[3] يستغفر الله تعالى من تلك الغفلات . [4]هذا ضعيف ، و إنما كان صلى الله عليه و سلم يترقى فى كل يوم فيجد [1]مضى تقصيرا .... [4] منه و ليس ذلك تقصيرا [1]منه صلى الله عليه و سلم[1] . و قيل كان سببه[5] ما اطلع عليه من أحوال أمته و ما يكون بعده ، فكان يستغفر الله تعالى لهم . و قيل كانت دعواته و تعويذاته[6] و تضرعاته و استغفاره قياما[7] بحق وظيفة[8] العبودية و اعترافا بحق الربوبية لتقتدى به أمته صلى الله عليه و سلم ، فتستجاب دعوتهم و تقبل توبتهم . و قيل كان ذلك لمعنى لطيف أشار إليه بعض الفضلاء و هو استدعاء محبة الله تعالى .

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) فى بر : سبب . وصوابه كذا فى بن .

(٣) ساقطة من بن .

(٤ - ٤) العبارة ساقطة من بن ، و يتلوها بياض فى الأصل (بر) .

(٥) فى الأصل (بر) : سبب . و صحته فى بن .

(٦) فى بن : و التعوذ .

(٧) فى بن : قايما .

(٨) فى بن : وضيعة .

قال الله تعالى: "إن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين[1]"[2]. قال بعض المشايخ: غفلتك عن التوبة لذنب ارتكبته شر من ارتكابه، و من اخترمته المنية قبل التوبة فأمره إلى الله، فان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم. [3]و قيل التوبة تأتى[3] ما لم يبلغ الروح الحلقوم، فاذا مات [4]غلق عليه[4] باب التوبة، حينئذ لا ينفع نفسا[5] إيمانها[6] لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها [7]خيرا. و قال الفضيل[7] بن عياض: لما عاين قوم يونس العذاب قام رجل منهم فقال: اللهم! إن ذنوبنا قد عظمت و جلّت و أنت أعظم منها و أجلّ فافعل بنا ما أنت أهله و لا تعمل بنا ما نحن أهله. فكشف الله [١٦٠: الف] عنهم العذاب. قال الله تعالى: «الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيٰوة الدنيا و متعنهم إلى حين[8]». قال ابن عطاء الله فى كتاب لطائف المنن إن الفضيل بن عياض كان يقطع الطريق فخرج ذات يوم و إذا هو بقوم سفارة و معهم ملح فسمع بعضهم يقول: جدوا السير لئلا يلقانا الفضيل

(١) قرآن كريم: ٢: ٢٢٢.
(٢) فى بن: لأن الله تعالى يحب المتطهرين.
(٣-٣) فى بن: و وقت التوبة يأتى.
(٤-٤) فى بن: اغلق.
(٥) فى الأصلين: نفس.
(٦) الكاتب هنا يقتبس من القرآن الكريم: ٦: ١٥٨.
(٧-٧) مطموسة فى بن.
(٨) قرآن كريم: ١٠: ٩٨.

ابن عياض فيأخذ ما معنا ، فاغتمّ الفضيل لذلك و تفكّر و قال : تخافني الخلق بهذا الخوف العظيم ! فتقدم إليهم و سلم عليهم و قال لهم و هم لا يعرفونه : تكونون[١] الليلة عندى و أنتم آمنون من الفضيل . قال : ففرحوا و استبشروا و ذهبوا معه ، فأنزلهم و خرج يطلب علفا فسمع قارئا يقرأ "الم يان للذين اٰمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق[٢]" . فصاح الفضيل و خرق ثيابه و قال : بلى قد آن قد آن ! و كان هذا أصل توبته . و صار من الفضيل ما صار من العلم و الزهد و الورع و الأخذ منه ، و مناقبه مشهورة . و سأذكر[٣] شرح حاله فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

و يروى عن عبد الله بن سلام قال : لا[٤] أحدثكم بشيء إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل[٥] . إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين . و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « إذا أذنب العبد ذنبا فعلم أن له[٦] ربا يأخذ بالذنب و يغفر الذنب يقول الله تعالى : يا عبدى ! اعمل ما شئت فقد غفرت لك » .

---

(١) ف بن : تكونوا .
(٢) قرآن كريم ٥٧ : ١٦ .
(٣) ف بن : و سيأتى .
(٤) ف بن : ألا .
(٥) ساقطة من بن .
(٦) من بن ، و هى ساقطة من ير .

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ما أصر من استغفر و لو عاد في اليوم سبعين مرة». و في سنن أبي داود و ابن ماجه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق[1] فرجا و من كل هم[2] مخرجا و رزقه من حيث لا يحتسب[3]».

(١) في بن: هم.

(٢) في بن: ضيق.

(٣) زيد في بن: [١٠٩: الف - ب]: وقال الله تعالى: «و من يعمل سوء او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما * و من يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه» (قرآن كريم ٤: ١١١) و الاستغفار طلب المغفرة و طلب المغفرة ليس نفس التوبة فصرح سبحانه و تعالى في تلك الآية بأنه سواء تاب أو لم يتب فاذا استغفر غفرله و لم يقل في جانب المعصية و من يكسب اثما فانه يجد الله معذبا معاقبا بل قال فانما يكسبه على نفسه، فدلت هذه التنبيهات على أن جانب الحسنة راجح عند الله تعالى .... (كلمات مطموسة بالترميم) .... احسنتم لانفسكم و ان اساتم فلها فكأنه تعالى بالغ في إظهار أعماله الحسنة .... (ترميم بآخر الصفحة انطمس به آخر السطور ثم تلاه في ١٠٩: ب ما يلي) إساءته لم يذكرها إلا مرة واحدة و كل ذلك يدل على أن جانب الحسنات راجح و قوله تعالى: "من جاء بالحسنة فله عشر امثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها" (قرآن كريم ٦: ١٦٠) ثم إنه تعالى زاد على العشرة فقال: "كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة" ثم زاد عليه "والله يضاعف لمن يشاء". و أما جانب السيئة فقال: "من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها" و هذا تنبيه على أن جانب الحسنة راجح على جانب السيئة.

و كان بعضهم يقول فى دعائه : اللهم ! لا تجعلنى من أشقياء خلقك المـدنبين عدك ، و لا آخيَب الراجين إليك ، و لا آحرَم الآملين لوحتك . [١]قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : الناس على ثلاثة أقسام : قوم غلبت حسناتهم سيئاتهم فهم فى الجنة قطعا ، و قوم تساوت حسناتهم و سيئاتهم فلا يدخلون النار قطعـا . و قوم غلبت سيئاتهـم حسناتهم فلا يخلدون فى النار قطعا[١] . قال الشيخ أبو محمد المرجانى : يحشر الناس يوم القيامة على قسمين : مؤمن و كافر ، الكافر إلى النار ، و المؤمن ينقسم قسمين : مُصرّ و غير مُصرّ . فالغير مصر إلى الجنـة ، و المصر ينقسم قسمين : مصر على الصغائر ، و مصر على الكبائر ؛ فالمصر على [١٦٠ : ب] الصغائر إلى الجنة ، و المصر على الكبائر ينقسـم على قسمين : فاعل بها نادم عليها إلى الجنة ، و الغير نادم عليها أمره إلى الله تعالى يفعل به ما يشاء و هو أرحم الراحمين .

[الكبائر و الصغائر – [٢]]

و سأذكر[٣] أيضا ما قيل فى الكبائر و الصغائر [٤]إن شاء الله تعالى[٤] .

اعلم أن الكبائر الشرك بالله تعالى و الإلحاد و البدعة و قتل النفس بغير

(١–١) ساقطة من بن .

(٢) العنوان غير وارد بالنص على ما دكرنـاه فى الحاشية الأولى من هذا الجزء و أحدناه عن الهامش .

(٣) فى الهامش : مطلب فى معرفة الكبائر وعددهم . و فى بن : فلنذكر الآن ما قيل – الخ .

(٤–٤) ساقطة من بن .

حق و الزنا و اللواط و قذف المحصنات و المحصنين بالزنا و عقوق الوالدين المسلمين بقول أو فعل و الفرار من الزحف رجل من رجلين فى الحروب و أكل[1] مال اليتيم ظلما و شهادة الزور و أكل شهر[2] رمضان عامدا و مقاطعة الرَّحِم و اليمين الفاجرة و أخذ أموال الناس[3] من أى جهة كان و من سرق فى ميزان أو نقص فى كيل[4] أو ميزان[5] و تقديم الصلاة بغير أوقاتها و ضرب المسلم بغير حق[6] و شتم أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم متعمدا[7] و تقديم على بن أبي طالب على أبي بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم و من كذب على النبى صلى الله عليه و سلم متعمدا و كتمان الشهادة من غير عذر و أخذ الرشوة و القيادة[8] بين الرجال و النساء و السعاية عند الظالم و السحر و منع الزكاة و ترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مع القدرة و الوقيعة فى أهل العلم و إحراق الحيوان بالنار و امتناع المرأة من زوجها بلا سبب و الكذب و الغيبة و النميمة و الكبر

(١) فى بن : و أكله .

(٢) فى بن : ايام .

(٣) زيد فى بن : ظلما .

(٤) فى بن : مكيال .

(٥) «أو ميزان» ساقطة من بن .

(٦) فى بن : الحق .

(٧) فى بن : معتمدا .

(٨) من بن ، و فى بر: القياد .

و العجب و الحقد[1] و الحسد و الغل و البغى و السرقة و الهزؤ و الربا و شرب الخمر . و قد قيل[2] ليس فى المعاصى الفرعية معصية هى أشد من معصية الربا . روى أن رجلا رأى سكرانا ينط فى ضياء القمر و يقول: آخذك يا قمر آخذك يا قمر - يكررها ، فحلف الرجل حين رآه على هذه الحالة أنه لا معصية أشد من شرب الخمر ، ثم أتى مالكا[3] فسأله عن يمينه التى حلفها ، فقال له مالك : أرى أن تحنث فانى لم أجد فى كتاب الله عن رجل أعظم إثما من آكل الربا[4] . قال الله تعالى "فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله و رسوله[5]" ولم يقل ذلك فى غيره . عن أنس ابن مالك قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر الربا و عظّم شأنه و قال : «إن الدرهم يصيبه[6] الرجل من الربا أعظم عند الله عز و جل فى الخطيئة من ست[7] و ثلاثين زنية يزنيها الرجل . و أربا الربا عِرْض الرجل المسلم» . و أما الزنا فقال ابن جريج : أخبرنى أبو الزبير أن عبد الرحمن بن الصامت أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول: جاء الأسلمى إلى نبى الله صلى الله عليه و سلم فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما ،

(١) ساقطة من بن .

(٢) زيد فى بن : انه .

(٣) زيد فى بن : رضى الله عنه .

(٤) فى هامش الأصل : الربا .

(٥) قرآن كريم ٢ : ٢٧٩ .

(٦) فى بن : يصيب .

(٧) من بن ، وهى فى ر : ستة .

[١٦١ : الف] قال ذلك أربع مرات، كل ذلك يُعرض عنه النبى صلى الله عليه و سلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : أ نِكْتَها ؟ قال: نعم، قال: حتى غاب ذلك منك فى ذلك كما يغيب المرود فى المكحلة أو الرشا فى البئر ؟ قال: نعم، قال: و هل تدرى ما الزنا ؟ قال: نعم، أتيت منها حراما ما يأتى الرجل من امرأته حلالا، قال: فما تريد بهذا القول ؟ قال: أن تطهّرنى، فأمر به فرُجم . و سمع النبي صلى الله عليه و سلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر هذا الذى ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رُجِمَ رَجْم الكلب . فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم عنهما[1] ثم سار حتى مر بجيفة حمار شائلا رجله فقال: أين فلان و فلان ؟ قالوا: نحن ذا[2] يا رسول[3] الله ! قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار! فقالا: يانبى الله غفر الله لك ! و من يأكل من هذا ؟ قال: مما نلتما من عرض أخيكما آنفا شر[4] من أكل منه، و الذى نفسى بيده ! إنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها . رواه أبو داود عن الحسن ابن على الحلوانى . و الأسلمى المتقدم ذكره هو ماعز بن مالك - انتهى .

[5]نعود إلى ما قاله أبو صالح عن أبى طالب المكى فى الكبائر

---

(١) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) فى الأصلين: برسول .

(٤) فى بن: أشر .

(٥) من هنا إلى « قال » فى بن: فلنذكر الآن ما قيل فى الكبائر . وفى =

و الصغائر . قال: الكبائر النطق باللسان و الإعمال بالجوارح و هما مجتمعان فى بنى آدم أربعة فى الرأس و ستة فى ألسان و اثنان فى اليدين و أربعة فى البطن[١] و اثنان فى الفرج و اثنان فى الرجلين و واحدة فى جميع الجسد . أما التى فى الرأس فالشرك بالله و الأمان من مكر الله و القنوط من رحمة الله و الإصرار على الذنب: و أما التى فى اليدين[٢] فالسرقة و قتل النفس التى حرّم الله . و أما التى فى اللسان فقذف المحصنات و أيمان الغموس و شهادة الزور و الغيبة و النميمة و السحر . و أما التى فى البطن فشرب الخمر و أكل الحرام و أكل الربا و أكل أموال اليتامى ظلما . و أما التى فى الفرج فالزنا و اللواط . و أما التى فى الرجلين فالفرار من الزحف إذا كانوا مِثْلَى عدد المسلمين و المشى إلى ما لا يحل . و أما التى فى جميع الجسد فعقوق الوالدين .

و الصغائر[٣] أولها النظر بالعين إلى ما يجوز النظر إليه، و اللس باليد، و الغيبة بالمسلمين، و الظن السوء، و الحسد، و الكذب، و الضحك بلا عجب[٤]، و الأكل [٥]من غير[٥] جوع . و الكذب الذى ليس فيه

= هامش بر: مطلب الكبائر .

(١) فى بن: الباطن .

(٢) قدم ناسخ بن العبارة المتعلقة باللسان على التى تتعلق باليدين .

(٣) فى الهامش: الصغائر .

(٤) الأغلب أن صحة الجملة: و الضحك بلا سبب .

(٥–٥) فى بن: بلا.

ضرر على المسلم، و السماع بـ الغناء، و قعود الجنب فى المسجد بغير عذر، و من هجر أخاه فوق ثلاثة أيام، و السكوت عند من اغتاب مسلما، و البكاء عند المصيبة، و لطم [١٦١ : ب] الخدود، و الجلوس فى مجلس الفاسقين مؤنسا لهم، وصلاة النافلة فى [١]أوقات النهى عنها[١]، و الشراء والبيع فى المساجد، و إدخال الصبيان و المجانين فى المساجد، و إضاعة المال، و إذا صلى بقوم وهم له كارهون، و العبث فى الصلاة، و إذا تكلم و الإمام يخطب يوم الجمعة، و إذا تخطى[٢] رقاب الناس فى المسجد، و إلقاء النجاسة على سطح المسجد و على طريق المسلمين، و كشف العورة فى الحمام، و السجود لغير الله تعالى[٣]، و إذا نام [٤]مع ولده فوق سبع سنين، و قراءة القرآن جُنبا أو حائضا. روى[٥] عن الأوزاعى فى قول الله عز و جل: "لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها[٦]". قال الصغيرة التبسم و الكبيرة القهقهة - يعنى[٧] أن القهقهة من الكبائر - انتهى.

(١-١) فى بن: الاوقات المنهية.

(٢) فى بر: تخطا.

(٣) ساقطة من بن.

(٤) زيد فى بن: و الد.

(٥) فى بن: و روى.

(٦) قرآن كريم ١٨ : ٤٩.

(٧) عبارة «يعنى ان القهقهة من الكبائر» ساقطة من بن.

(باب الزنا و الشهادة على الزانى)

نعود إلى قول ابن أبى حجلة أيضا :

و حقك هذا من ذنوب تقدّمت

الذنوب تشتمل على الزنا و غيره ، فالزنا إذا ثبت بالإقرار و الشهادة أو الحمل حُـدّ الزانى و الزانية ، و إذا لم يثبت بذلك[1] كان على قاذفهما الحدّ ، و ما يطلع عليه أربع شهود فى الزنا لا يكون إلا فى غاية الظهور ، و هذا أقل[1] ما يحكى أن زنا يثبت بشهادة أربعة ، و إنما الواقع ثبوتـه بالإقرار و الحمل ، و ذلك لأن الزنا يلحق العار العظيم بالقبائل [2]فبالغ الشرع فى إخفائه ، فالأولى[2] الستر على فاعله .

قال العلماء : و يستحب للسافر إذا قرب من وطنه أن يبعث أمامه من يخبر أهله بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فهى السنّة . و اعلم أنه من رأى رجلا يزنى بامرأة و رأى ذكره سالـكا فى فرجها كالمرود فى المكحلة أو كالرشا فى البئر إن شهد بذلك بمفرده حُدّ حَدّ القذف لأنه ربع النصاب ، و كذلك لو شهد بذلك شاهدان[3] و ثلاثة و امتنع الرابع حُدّ[4] الثلاثة ، كامتناع زياد بن أبيه من الشهادة[5] على المغيرة بن

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) العبارة مطموسة بالترميم فى بن .

(٣) فى الأصلين : شاهدين . و الكلمة صححت بقلم غير قلم الكاتب فى بر .

(٤) من بن ، و فى بر : حدوا .

(٥) فى الهامش : حكاية لطيفة تتعلق بالشهادة على المغيرة بن شعبة بالزنا .

شعبة، فحد[1] الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بالزنا عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه و سقط حد الزنا عن المغيرة . و ذلك أن عمر بن الخطاب [2]رضى الله عنه[2] لما ولّى أبا موسى[3] الأشعرى البصرة أمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة منها لما[4] شهد عليه أبو بكرة بالزنا، وذلك أن أبا بكرة لما قدم على عمر سمع صوته، فقال: أبو بكرة؟ [2]قال نعم[2]، قال: لقد جئت بشرّ، قال: إنما جاء به المغيرة بن شعبة، ثم قصّ عليه أن المغيرة أتى أم جميل امرأة[5] من بنى هلال وكان لها زوج قد هلك قبل ذلك يقال له [١٦٢ : الف] الحجاج بن عتبة[6]، فكان المغيرة يدخل عليها، فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه، فخرج المغيرة يوما من الأيام حتى دخل عليها و قد وضعوا له الرَّصَد، فانطلق القوم الذين شهدوا جميعا فكشفوا الستر فرأوه قد واقعها، فقدم المغيرة على عمر فدعى بالشهود فشهد أبو بكرة[7] و مَعْبد بن شُبَيل[8] الجهنى و نافع بن عبيد أنهم رأوا ذكره

(١) من بن، و فى بر : فحدوا .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) فى الأصلين : أبو موسى، صححت إلى « أبا » بقلم غير قلم الكاتب فى بر .

(٤) فى بن : حين .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : عقبة .

(٧) فى بن : أبو بكر .

(٨) فى بن : شهيل .

فى فرجها كالمرود فى المكحلة ، وكان المغيرة لما قدم على عمر قد[1] تزوج امرأة من بنى مُرّة ، فقال له عمر إنك لفارغ القلب ، ثم[2] شهدت الشهود الثلاثة على المغيرة بالزنا ، و لم يكن زياد بن أبيه حاضرا ، فلما حضر لتكميل الشهادة قال له المغيرة : [3]اتق الله فى أمرى ! فانك لو كنت بين بطنى و بطنها ما رأيت فرجى[4] سالكا فى فرجها ، فسأل عمر زيادا بما ذا يشهد ، فقال : رأيت النَّفَس العالى و الاضطراب و رجلاها على كتفيه كأذنى حمار ، و ما أعلم ما وراء ذلك . قال عمر : الله أكبر ! و أسقط الحدّ عن المغيرة لأجل التقاصر فى الشهادة عن عدد الأربعة . وكان عمر قال للغيرة بعد شهادة أبى بكرة : ذهب ربعك يا مغيرة ! فلما شهد الثانى قال : ذهب نصفك . فلما شهد الثالث قال : ذهب منك النصف و الربع ، و توقف الأمر على شهادة زياد حتى يكمل نصاب الشهادة فيرجم المغيرة[5] لإحصانه . و الإحصان أن يتزوج الرجل امرأة نكاحا صحيحا و يطأها[6] وطئا مباحا . فلما توقف زياد عن عدم[7] رؤية فرجه فى فرجها حد

(١) فى الأصلين : و قد . و تستقيم العبارة بحذف واو العطف .

(٢) زيد فى بن : لما .

(٣) زيد فى بن : يا زياد .

(٤) فى بن : ذكرى .

(٥) زيد فى بن : بالحجارة حتى يموت .

(٦) فى بن : و يطؤها .

(٧) زائدة فى بن .

عمر الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة حد القذف[١] . فقال المغيرة لهم[٢] عند ذلك: الحمد لله الذي أخزاكم . فقال عمر: أخزى الله مكانا رأوك فيه[٣] .

•

سئل بعض المفتين عن محصن خلا بأجنبية فاستمتع بها غير الفرج و الدبر فما يجب عليه؟ فقال: هذا إذا[٢] لم يظهر أمره فليستر نفسه و ليتب إلى الله توجها و ليجتهد في العمل الصالح الذي يمحو[٤] به السيئات، فان [٥]لم يفعل[٥] ذلك استحق عقوبة بليغة - و الله أعلم[٦] . و الإحصان أن يتزوج امرأة نكاحا صحيحا و يطؤها وطئا صحيحا، فان زنى[٧] بعد ذلك وجب عليه الحد، و حدّه الرجم إلى أن يموت . و كذلك المرأة المحصنة إن زنت رُجمت إلى أن تموت .

---

(١) في الهامش بخط غير خط ناسخ «بر» ما يلي: ذكر النووي في تهذيب الأسماء و الألقاب أن المغيرة كان عاقدا نكاحه سرا على المرأة الموقومة لأمر اقتضته المصلحة في شأنه، و كان عمر لا يقبل نكاح السر، فشهد من شهد بحق على حسب ما رأى . و الحال أن المغيرة كانت المرأة في عقده، و لم يجسر على إظهار ذلك بين يدي أمير المؤمنين سيدنا عمر لعلمه عدم قبوله ذلك بحسب اجتهاده، فالصحابة جميعا رضي الله عنهم عدول لا سيما أبو بكرة و نافع .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) زيد في بن: انتهى .

(٤) في بن: يمحي .

(٥-٥) في بن: علم .

(٦) زيد في بن: بالصواب .

(٧) من بن، و في بر: زنا .

و اعلم أنه لا يجب على الشارب أو الزانى إذا تاب تسليم نفسه للقصاص[1] . بل الأولى له الستر على نفسه لقوله صلى الله عليه و سلم : « أيها الناس ! قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله ، من أصاب من هذه القاذورة[2] شيئا فليستتر بستر الله فانه من [١٦٢ : ب] يبد لنا[3] صفحته نُتم[4] عليه كتاب الله » - خرّجه مالك فى موطئه[5] . قال ابن الموان فى شاهدين نقلا عن أربعة أنهم أشهدوهم [6]بأن فلانا زنى فلم يحد الناقلان[6] عنهم حتى قدم الأربعة فأنكروا أن يكونوا أشهدوهم بذلك ، فان الأربعة [7]يحدون لأن محصول شهادة الناقلين تضمنت أن الأربعة[7] قذفوا هذا الرجل بالزنا . قال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام قاضى الجماعة بتونس[8] [9]فى شرحه الذى وضعه على مختصر ابن الحاجب فى الفقه : إن[9] بيّنة الزنا شرطها أربعة ذكور مجتمعين غير متفرقين يشهدون بزنا واحد و رؤية واحدة أنه أدخل فرجه فى فرجها كالمرود فى المكحلة ، فطلب

---

(١) فى بن : لقصاص .
(٢) فى بن : القاذورات .
(٣) فى بن : يبد .
(٤) فى بن : نقم .
(٥) فى بن : موطاه .
(٦-٦) مطموسة بالترميم فى بن . و فى الأصل (بر) : زنا -مكان : زنى .
(٧-٧) ساقطة من بن .
(٨) فى بن [١١١ : الف] : بمدينة تونس .
(٩-٩) ساقطة من بر و واردة فى بن .

الشرع فى شهود الزنا ما لم يطلب فى غيره من الحقوق و الحدود . قيل و إنما ذلك لقصد الستر و دفعا للعار الذى يلحق الزانى و المزنى بها و أهلها، و اكتفى[1] فى القتل بشاهدين و إن كان القتل أعظم جرما من الزنا، و دل قوله تعالى "و التى ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت[2]" على طلب[3] العدد الخاص فى الشهادة . و المنسوخ من هذه الآية هو الحبس فى البيوت، و ذلك قوله تعالى[4] فى آية القذف "و الذين يرمون المحصنت ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمنين جلدة[5]" و قوله "لو لا جاءوا عليه باربعة شهداء فان لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكذبون[6]" .

و فى صحيح مسلم عن أبى هريرة[7] قال سعد بن عبادة : يا رسول[8] الله ! لو وجدت مع أهلى رجلا لم أمسه حتى آتى بأربعة شهداء ! قال رسول الله

---

(١) كذا فى بن : و هى فى بر : و اكتفا .
(٢) قرآن كريم : ٤ : ١٥ .
(٣) فى بن : غلب .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) قرآن كريم : ٢٤ : ٤ .
(٦) قرآن كريم : ٢٤ : ١٣ .
(٧) زيد فى بن : رضى الله تعالى عنه .
(٨) فى الأصلين : يرسول .

صلى الله عليه و سلم : « اسمعوا[1] ما يقول سيدكم[2] إنه لغيور و أنا أغير[3] منه و الله أغير مني » . و قال صلى الله عليه و سلم : « إني لغيور و ما من امرئ[4] لا يغار إلا منكوس القلب » . و قال صلى الله عليه و سلم : « إن الله ليغار ! و من غيرته حرّم الفواحش ما ظهر منها و ما بطن » .

[5]عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم[5] : « يا علي ! كن غيورا ، فان الله يحب الغيور » . و روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « إن[6] المؤمن يغار » فنسب الغيرة إلى الإيمان بقوله « إن المؤمن يغار » و الطريق المغني عن الغيرة ان لا يُدخل الرجل على زوجته الرجال و لا تخرج هي[6] إلى الأسواق . قال النبي صلى الله عليه و سلم لابنته فاطمة : أي شيء خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى رجلا و لا رجل[7] يراها . فضمها رسول الله صلى الله عليه و سلم إليه[6] و قال : " ذرية بعضها من بعض[8] " و استحسن قولها – انتهى .

---

(١) زيد في بن : يا أصحاب لي .
(٢) زيد في هامش بن : أراد بالسيد سعد بن عبادة و هو رئيس قومه .
(٣) زيد بين سطور بن : أي لم أتركه حتى يكون مساء و لم أمهله .
(٤) في الأصلين: امرء .
(٥–٥) في بن : و قال صلى الله عليه و سلم .
(٦) زائدة في بن .
(٧) في الأصل : رحلا . والكلمة صححت بقلم آخر ، و هي زائدة في بن .
(٨) قرآن كريم : ٣ : ٣٤ .

[١٦٣ : الف] نعود - و لا خلاف فى طلب الأربعة فى شهادة الزنا، و يجوز للعدل الذى تقبل شهادته أن ينظر إلى عورتى الرجل و المرأة فى الزنا و إلى الصفة لتتم الشهادة بشرط أن يكون معه ثلاثة غيره و كلهم عدول، لأن من لا تقبل شهادته فلا فائدة فى نظره فيبقى نظره على وجه التحريم و لا ينظر العدول إلا إلى مغيب الحشفة[٢] . يكفّوا عن النظر عما عداه لأنه القدر الذى تدعو الضروره إليه .

قال أبو محمد[٣] بن أبى زيد القيروانى فى كتاب الرسالة فى الفقه: و مغيب الحشفة فى الفرج يوجب [١]الغسل و يوجب[١] الحد و يوجب الصداق و يحصن الزوجين و يحل المطلقة ثلاثا للذى طلقها و يفسد الحج و يفسد الصوم - فذكر سبعة، و ذكر غيره من العلماء ستة عشر وجها[٤] : يوجب الحد و يوجب الصداق و يوجب العدة و يحصن الزوجين و يحل المطلقة ثلاثا للذى طلقها و يفسد الحج و يفسد الصوم و يوجب الغسل و يزيل العنة و يزيل الإيلاء و يفيت البيع الفاسد فى الأمَة و يوحب القيمة على الأب فى جارية ولده و يسقط الخيار على السيد فى أمَـة مكاتبه و يفيت الاعتصار[٥] و يوجب القيمة

(١ - ١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن: الحشمة . و فيما بعد: الحشفة و فى هامش بر: الأحكام التى تجب بغيوبة الحشفة .

(٣) زيد فى بن : عبد الله .

(٤) ساقطة من بن، و زيد بها : فقال ومغيب الحشفة على سبعة عشر وجها يوجب الغسل و يوجب الحد - الخ .

(٥) فى بن : الاعصار

في الجارية المحلّلة و يفيت الرد بالعيب . [1]و قيل إن مغيب الحشفة في الفرج يوجب تسعة و تسعين[2] حكما ، و لو لا الإطالة لذكرتها هنا ، من أرادها فليطالع شرح الرسالة للزنانى[3] - انتهى .

نعود - و لا تقبل شهادة الأولاد الأربعة[4] على أبيهم المحصن بانه زنى[5] و كان له مال ، لأنه إذا رجم[6] ورثوه فيتهموه[7] أن يقصدوا إلى [8]استعجال ماله[8] . فادا لم يكن له مال أمنت هذه التهمة . و قيل[9] لا تقبل شهادتهم على أبيهم الفقير لأنهم [10]يدفعون بذلك النفقة التي[10] تجب عليهم بفقده ، فكذلك يتهمون على دفع المضرة[11] عن أمهم لما تقاسيه من ألم ضرّتها لها .

و اختلف العلماء في شهادة الزوج لزوجته و الزوجة لزوجها ، فقال مالك و أبو حنيفة: لا تقبل شهادة كل واحد منهما لصاحبه ، و قال الشافعي ،

(١) العبارة من هنا إلى « نعود » ساقطة من بن .
(٢) في الأصل : و تسعون .
(٣) كذا في الأصلين ، و لعله : الزناتي - راجع الإكمال ٤ / ٢٣٥ .
(٤) في هامش بر : شهادة الأولاد على أبيهم بالزنا .
(٥) من بن ، و في الأصل : زنا .
(٦) في بن : زنى .
(٧) في بن : فيتهموا .
(٨-٨) في بن : الاستعجال لماله .
(٩) في بن : و قد .
(١٠ - ١٠) مطموسة بالترميم في آخر الصفحة .
(١١) في بن [١١١ : ب] : الضرر .

بل

بل تقبل، و قال ابن أبي ليلى و النخعي: تقبل شهادة الزوج لزوجته و لا تقبل شهادتها له. فاعتبر مالك و أبو حنيفة التهمة التى تلحق كل واحد منهما بشهادة الآخر التى أثارتها المودة كما قال الله سبحانه: "و من اٰيٰته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا [لتسكنوا اليها - ١] و جعل بينكم مودة". عن النعمان[٢] بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «مثل المؤمنين فى توادّهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى [١٦٣ : ب] منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمّى». هذا فى حق المؤمنين الأقارب و الأجانب، فكيف بالزوجة لزوجها [٣]و الزوج لزوجته[٣] لما هما عليه من المودة و الرحمة و المحبة[٤]، لكن رأى الشافعي أنها مودة عارضة نشأت عن عقد معاوضة. و رأى ابن أبي ليلى و النخعي [٥]أن الزوج[٥] لا كبير منفعة له بمال زوجته فالتهمة[٦] التى تلحقه بسبب شهادته لها ضعيفة و عدالتها تنفيها. و أما الزوجة فحقها فى مال زوجها ثابت لوجوب النفقة عليها منه، فالتهمة التى تلحقها قوية - انتهى.

نعود[٧] إلى ذكر شهود الزنا و كيف يقع لأربعة عدول رؤية الذكر

(١) من بن. قرآن كريم ٣٠ : ٢١.
(٢) فى بن: النعمن.
(٣-٣) ساقطة من بن.
(٤) ساقطة من بن.
(٥-٥) ساقطة من بر، و واردة فى بن - و يكمل بها السياق.
(٦) فى الأصلين: بالتهمه. و هو خطأ لفظي واضح، صححته بالفاء بدل الباء.
(٧) فى الهامش: ليس للامام أن يحكم بعلمه فى الزنا.

فى الفرج كالمرود فى المكحلة فى مكان واحد ووقت واحد وصفة واحدة ، وهذا مما يبعد وقوعه بل لا يكاد يقع أبدا . ومن[١] العادة إخفاء هذا الفعل حتى من الهرّ والدّيك والصبى فى المهد . ثم إن الإمام ليس له أن يحكم بعلمه فى الزنا ، فان حكم بعلمه فيه وجب عليه حد القذف وبطل حكمه ، كما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يمشى بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس : أرأيتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما[٢] الحد ما كنتم فاعلين ؟ قالوا : إنما أنت إمام . فقال على بن أبى طالب : ليس ذلك لك ، إذاً نقيم عليك الحد ، [٣]إن الله تعالى[٣] لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء . ثم قال لهم مرة أخرى ، فقالوا مثل مقالتهم الأولى ، وهذا يشير إلى أن عمر كان مترددا فى الوالى هل له أن يقضى بعلمه فى حدود الله . فلذلك راجعهم فى معرض[٤] [٥]الفتوى لا فى معرض[٥] الإخبار خيفة من أن يكون له ذلك فيكون قاذفا باخباره وما رآه على أنه ليس له ذلك ، وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش ، فان أفحشها[٦] الزنا وقد نيط بأربعة من العدول الشاهدين

(١) فى بن : فان من .
(٢) كذا فى بن ، وهى فى بر : عليها .
(٣-٣) فى بن : لأن المقتول .
(٤) كذا فى بن . وهى فى بر : معرص ـ بالصاد .
(٥-٥) ساقطة من بن .
(٦) فى بن : أحسها .

ذلك منه فى ذلك كالمرود فى المكحلة، و هذا لا يتفق قط[1] و إن علمه القاضى تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه. فانظر إلى الحكمة فى حَسْم باب الفاحشة بايجاب الرمى الذى هو من أعظم القربات. قال الله تعالى: "و الذين يرمون المحصنٰت ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمٰنين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة ابدا و اولئك هم الفٰسقون[2]".

حكى أن أمير المؤمنين هارون الرشيد سأل أبا[3] يوسف القاضى أحد أصحاب أبى حنيفة: ما تقول فى إمام شاهد رجلا يزنى بامرأة هل يحده؟ قال: لا. فقال الرشيد: من أين قلت هذا؟ قال: لأن النبى صلى الله عليه و سلم قال [١٦٤ : الف]: «ادرؤا الحدود بالشبهات» و هذه شبهة يسقط الحد معها. فقال له: و أى شبهة مع المعاينة؟ قال: ليس يوجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى، و الحدود لا تكون إلا[4] بالعلم، و ليس لأحد أخذ حقه بعلمه. فانظر يا هذا إلى كشف[1] ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق فى كشفه. فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر، ففى الحديث «إن[5] الله تعالى إذا ستر على عبده عورته فى الدنيا فهو أكرم أن يكشفها مرة أخرى».

---

(١) من بن، و فى بر: قط لا يتفق.
(٢) قرآن كريم: ٢٤ : ٤.
(٣) كذا فى بن، و هى فى بر: أبو.
(٤) ساقطة من بن [١١٢ : الف].
(٥) زيد فى بن: شاء.

و اعلم أن الشفقة على خلق الله[١] تعظيم[٢] لأمر الله ، و من ستر عباد الله ستره الله ، و من تصدى لهتك سترهم يخاف عليه أن يهتك ستره و[٣]لو يقول الزور[٣] ، كما هتكت ستور[٤] شهود الزور الذين رموا العفيف المحصن بالفجور ، فحدوا بزورهم ، و سلم المشهود عليه من فجورهم و شرورهم[٤] . و ذلك أنه كان فى زمن دانيال النبي عليه السلام[٥] ملك عنده حكيم عزيز[٦] فحسده من حوله[٧] ، و جاءوا[٨] إلى امرأة مشهورة بالجمال فى المدينة ، و كانت قد حبلت من الزنا ، فحملوها على[٩] أن الحبل[١٠] من الحكيم ، و رتبوا أربعة من مشاهير البلد يشهدون بالزنا و كلهم من حَسَدة الحكيم ، فلما رُفع الأمر إلى الملك عظم عليه و شقّ ، و تحيّر فى الأمر و طلب الحق ، و استعان بمن هو فى الدولة ، فلم يكشف

---

(١) زيد فى بن : تعالى .
(٢) فى بن : تعظيما .
(٣-٣) ساقطة من بن .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) فى بن : صلى الله عليه و سلم . و بهامش بر : حكاية زور بالزنا وقعت فى زمن دانيال النبي عليه السلام و براءة المتهوم منها .
(٦) زيد فى بن : عليه .
(٧) فى بن : بحوله .
(٨) فى بن : وجآ .
(٩) زيد فى بن : أن تقول .
(١٠) فى بن : الحمل .

القصة[1] أحد منهم، فحبس الحكيم و توقف فى الأمر مدة و اشتهر الأمر فى المدينة. و كان دانيال عليه السلام ابن اثنى عشرة[2] سنة فقال لأبيه[3]: إن حُكِّمْتُ فى القضية لأكشِفَنّ الأمر. فذكر أبوه ذلك للملك، فأحضره و حكّمه فى القضية، فأمر[4] دانيال باحضار الحكيم و المرأة و الشهود و قال للحكيم: أنت فعلت ما يقولون؟ قال: لا، فأمر أن يفرق بين الشهود و يجعل كل واحد منهم فى بيت. ثم أحضر أحدهم فقال له دانيال: كيف كان الأمر؟ فقال: إنه زنى[5] بالمرأة. فقال: أين كان؟ [6]وكيف كان؟ و ما لون الفراش الذى كانا عليه؟ و كيف اجتمعتم أنتم على مشاهدة هذا القبيح؟ فقال[7] ما شاء الله. ثم رده و جاء بآخر و سأله[8] عما سأل الأول، فاختلف كلاهما فى المكان و الزمان و الكيفية. ثم أتى بالثالث فقال له دانيال: الله أكبر! قد أقر صاحباك بالحق و عفى عنهما. فإن قلت كما قالا و تبت كما تابا فقد فزت. فشهد بالزنا مع اختلاف عظيم، فرُدّ إلى مكانه، و أمر دانيال الملك[9] أن يظهر الغضب

(١) فى بن: القصية.
(٢) فى الأصلين: اثنى عشر.
(٣) ساقطة من بن.
(٤) فى بن: و امر.
(٥) من بن، و فى الأصل: زنا.
(٦) زيد فى بن: و متى كان.
(٧) «فقال» مكررة فى «بر».
(٨) فى بن: فسأله.
(٩) كذا فى بن، و هى فى بر: للملك.

و يجرّد السيف . ثم أتى بالرابع و قال : الله أكبر ! إن أصحابك [١٦٤ : ب] اثنان منهم أصرّا على الإنكار ، و الملك عزم على أن يعاقبهما ، و الثالث أقرّ بالحق فعفى عنه ، و أنت مخيّر بين الحق و الفلاح و بين الباطل و العذاب . فخاف الرجل و اعترف بالحق و ذكر كيفية الاجتماع و سبب الاقتراف[1] ، فرُدّ إلى مكانه . و جيء بالثالث[2] ، و حكى له كيفية[3] اجتماعهم و سبب اقترافهم[4] ، و كل ما قاله الرابع حُكى له فعلم أنه اعترف عليهم فوافقه فى الاعتراف ، ثم أتى بهما و حكى لهما ما قال صاحباهما . فأقرّ الكل ، فحدث المرأة و الشهود و سلم الحكيم . فانظر يا هذا إلى قذف[5] أعراض الناس و ذكرهم لعيوب [6]لم تكن[6] ، كيف حلّ بهم ما حلّ من الشفاعة لذكرهم الفجور ، و شهادتهم الزور . قال ابن أبي زيد : يحدّث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور ـ انتهى[7] .

[7]فلنذكر الآن خبر جريج. روى[8] مسلم عن أبي هريرة[9] عن النبي صلى الله

(١) فى بن : الافتراق .
(٢) فى بن : ثالث .
(٣) فى الأصلين : كيف .
(٤) فى بن : افتراقهم .
(٥) فى الأصلين : قدفه و جائز أيضا أن تكون « و قذفهم » و فى بن : الأعراض ـ فقط .
(٦-٦) فى بن : الناس لما لم يكن لها أصل .
(٧) كذا فى بن ، و الكلمة ساقطة من بر .
(٨-٨) ساقط من بر و وارد فى بن . و بهامش بر : قصة جريج .
(٩) زيد فى بن : رضي الله تعالى عنه .

عليه و سلم قال: كان جُريج رجلا عابدا، فاتخذ صومعة، فكان فيها فأتته أمه و هو يصلى فقالت: يا جريج! فقال: يا رب أمى و صلاتى! فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته و هو يصلى فقالت: يا جريج! فقال: يا رب أمى و صلاتى! فأقبل على صلاته فانصرفت، فلما كان من الغد أتته فقالت: يا جريج! فقال: يا رب أمى و صلاتى! فأقبل على صلاته فقالت: اللهم! لا تمته حتى ينظر إلى وجوه الموسات[1]. فتذاكر بنو إسرائيل جريجا و عبادته. وكانت امرأة بغىّ يتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتِنَنّه لكم. قال: فتعرّضت له فلم يلتفت إليها. فأتت راعيا كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها، فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه و هدموا صومعته و جعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغى فولدت منك. فقال: أين الصبى؟ فجاؤا به، فقال: دعونى حتى أصلى. فصلى[2] فلما انصرف أتى الصبى و طعن فى بطنه و قال: يا غلام! من أبوك؟ قال: فلان الراعى. فأقبلوا على جريج يقبلونه و يتمسحون به و قالوا: نبنى لك صومعتك من ذهب. قال: لا، أعيدوها من طين كما كانت. ففعلوا - انتهى[3].

(١) من بن [١١٣: الف]، و فى بر: الموسيات.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن.

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : ينبغى لأهل العصمة [١] المصنوع إليهم [١] فى السلامة أن يرحموا أهل الذنوب بالمعصية [٢] و يكون الشكر هو الغالب عليهم و الحاجز عنهم ، فكيف بالعائب الذى عابه به و قد يذمه بذنب قد ارتكب [٣] مثله ، فان لم يكن ركب [٤] ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه و فيما هو أعظم منه ، و أيم الله لئن لم يكن عصاه فى الكبر و عصاه فى الصغر لجرأته على عيب الناس [١٦٥ : الف] أكبر [٥] .

قال مالك بن أنس : كان بالمدينة أقوام لهم عيوب ، فسكتوا عن عيوب الناس ، فسكت الناس عن عيوبهم ، و كان بها أقوام لم يكن لهم عيوب ، فتكلموا بعيوب الناس ، فاختلق الناس لهم عيوبا - انتهى .

(١-١) فى بن : أنهم .

(٢) كذا فى الأصلين ، و لعله : و المعصية .

(٣) كذا فى بن ، و هو فى بر : ركب .

(٤) فى بن : يحب .

(٥) زيد ما يلى فى بن : قال بعضهم :

عصيت الهوى طفلا صغيرا فعند ما ‌‌ اتتنى الليالى بالمشيب و الكبر

أطعت الهوى عكس القضية ايتنى (!) ‌‌ خلقت كبيرا ثم عدت الى الصغر

فقال له ولده هنيئا له إن لم يكن كاسه أطاع الهوى فى الحالين و ما ازدجر . و لم يكن فى ان باع نفسه ليعتقها من حر نار و من سقر .

(عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة)

نعود إلى قول ابن أبى حجلة فى المصراع الثانى من البيت المتقدم ذكره و هو:

«و قرع كؤوس الخمرفى الثغر بالثغر»

كان ينبغى له إبدال[1] قرع برشف لأن القرع بالسن يخاف معه كسر الزجاج و ثلم السن، و الرشف قد يكون يرتشفه الشارب بمصّه له من أوله إلى آخره من غير كسر و لا ثلم. قال الشاعر:

و قرعته فكسرته فأسال ما فيه على ذراعتى و قميصى

و اعلم أن الكأس هو الذى ليس له عروة[2]، و الكوب الذى هو بعروة و جمعه أكواب. و الثغر الأول هو ثغر الإسكندرية [3]المجاور للبحر الملح و جمعه ثغور[3]. و الثغر الثانى الفم المحتوى على الريق[4]. و الظَّلَم - بفتح الظاء المعجمة- ماء الأسنان و صفاؤها. و اللمىُ سمرة الشفتين [3]هو اللعس و الحُوّة. و الظمأ يبس فى الشفتين[3]، و العرب تستحب ذلك. قال ذو الرمة:

لمياء فى[5] شفتيها حُوّة لَعَسٌ و فى اللثاث و فى أنيابها شنب

(١) فى بن: أن يبدل.
(٢) زيد فى بن: وجمعه كؤس.
(٣-٣) ساقطة من بن.
(٤) فى بن: الطريق.
(٥) ساقطة من بن.

و الشنب طيب الفم . قال الشاعر :

بأبي أنت و فيك الأشنب [١]كأنما ذُرّ عليه الزرنب[١]

أم زنجبيل[٢] بارد مطيّب

[٣]والزرنب ههنا نبات طيب الرائحة[٣] . و من أسماء الخمر الزنجبيل . و الخمر لها أسماء كثيرة ، قيل إن لها مائة اسم [٤]أحدها الزنجبيل[٤] . و سيأتي ذكر بعض أسمائها فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . فمن[٥] شرب الخمر حُدَّ حدّ الشرب، لأنها حرام لما في الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٦] خطب فحمد الله[٧] و أثنى عليه ثم قال: أما بعد ، ألا! او إن الخمر نزل تحريمها من خمسة أشياء من الحنطة و الشعير و التمر و الزبيب و العسل . و الخمر ما خامر العقل . و نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر و قال : «كل مسكر حرام » و من شرب الخمر في الدنيا فمات و هو يدمنها[٨] لم يتب منها لم يشربها في الآخرة . و قال : «كل شراب أسكر فهو حرام » . قال غير واحد من المتأخرين: لا يزكى الوصى مال

(١–١) الشطر الثاني من البيت ساقط من بر، و نقلناه هنا عن بن .

(٢) كذا في بن ، و هي في بر : أزنجبيل .

(٣–٣) وردت هذه الجملة في بن بعد « الزنجبيل » من العبارة التي تليها .

(٤–٤) ساقطة من بن .

(٥) زيد في بن : فلنذكر بعض ذلك هنا اعلم أنه .

(٦) زيد في بن : انه .

(٧) زيد في بن : تعالى .

(٨) في بن [١١٣ : الف] : مدمنها .

الصبي الصغير حتى يُرفع إلى السلطان كما قال مالك : إذا وُجد فى تركة ميت[1] خمر[2] فلا يريقها الوصى إلا بعد مطالعة السلطان لئلا يكون مذهبه جواز التحليل فيضمنه إن أراقها بغير إذنه ، فان قيل : هل استحالة الخمر إلى أن يصير خلا طاهرة أم لا ؟ قيل : لا يظهر شيء [١٦٥ : ب] من النجاسات بالاستحالة إلا شيئان : الخمر[3] ، و جلد الميتة[3] ، فانها إذا انقلبت بنفسها خلا طهرت ، و إن خللت لم تطهر[4] ، و جلد الميتة سوى جلد الكلب و الخنزير إذا دُبغ يطهر و يحل بيعه فى أحد القولين من مذهب الشافعى رحمه الله[5] . و يجزى غسل سائر النجاسات كالخمر و البول و المذى[6] و الودى[7] و الدم و القيح و القيء و النبيذ و الكلب و الخنزير و ما تولد منهما المكاثرة بالماء إلى أن يذهب . و ما لا يزول أثره بالغسل كالدم إذا غسل و بقى أثره لم يضره ذلك - انتهى

(١) فى بن : الميت .

(٢) كذا فى بن ، و هى فى بر : خمرا .

(٣-٣) ساقطة من الأصل (بر) ، و أخذناها عن بن و يكتمل بها السياق .

(٤) فى هامش بر بقلم غير قلم الناسخ : مذهب مالك الطهارة على كل حال لا فرق بين تخللها و تخليلها .

(٥) زيد فى بن : تعالى .

(٦) من بن ، و فى الأصل : و المدى .

(٧) فى بن : الوذى .

نعود - و قد يكون مذهب القاضى سقوط الزكاة عن الصغير. فان أبا[1] حنيفة خالف فى المسألتين . و قال بعضهم: إنما يلزم الرفع فى البلاد التى فيها القاضى الحنفى، و أما البلاد التى لا يكون فيها ولاية[2] الحنفى كأرض المغرب فلا معنى للرفع، فان أبا حنيفة إنما يخالف فى[2] بعض المحاجير و فى بعض الأموال و هو العين لا ما عدا ذلك - انتهى .

و سئل[3] بعض المفتين[4] فى فأرة تقع فى البئر و يطلع فى الدلو من شعرها شىء، فهل الماء طاهر و إن قل؟ من قوله عليه السلام: "خلق الماء طهورا" فقال: أما إذا كان الماء كثيرا فوق القلتين و لم يتغير بالنجاسة فانه طاهر عند جمهور الأئمة كمالك و الشافعى و أحمد[5] و غيرهم . فانه قد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قيل له: أتتوضأ من بئر بضاعة - و هى بئر[6] يلقى فيها الحيض و لحوم الكلاب و النتن؟ فقال: «الماء طهور لا ينجسه شىء» لكن إن تمعط من شعرها فى البئر ففيه قولان: أصحهما أن شعرها طاهر لا ينجس الماء، و هذا مذهب مالك و أحمد و أبى حنيفه[5] فى إحدى الروايتين، و هذا أصح

(١) فى بر: أبى، و هى صحيحة فى بن .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) الواو ساقطة عن الكلمة فى بن .

(٤) فى الأصلين: المفتيين .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) زيد فى بن: فى المشهور و كذلك شعر كل ميتة و شعر الكلب و نحوه طاهر عند أبى حنيفة و مالك و أحمد فى أحد الروايتين - الخ .

قولى العلماء . و أما إذا كان الماء قليلا دون القلّتين و لم يتغير ففيه قولان هما روايتان عن أحمد : أحدهما نجس و هو مذهب الشافعى ، و الآخر أنه طاهر و هو المشهور من مذهب مالك و أهل المدينة . فان نبع الماء حتى بلغ قلتين طهر ؛ و إن لم يبلغ قلتين ففيه القولان و لم يتبين انه نجس بل الأشبه أنه طاهر ما لم يتغير سواء كان قليلا أو كثيرا كمذهب أهل المدينة[1] ، و هو مذهب طائفة من أصحاب أحمد و غيرهم ، و قد رجحه طائفة من أصحاب الشافعى . و إذا كان الماء طاهرا فما أخذ منه فى الدلو فهو طاهر و إن كان فيه من شعر الميتة .

سئل[2] بعض فقهاء الشافعية عن فسقيتين فى كل واحدة منهما من الماء قلتان[3] ، فبال فى الواحدة صبى ، و ولغ كلب فى الآخرى . فهل يجوز الوضوء منهما أم لا ؟ قال : أما الذى ولغ [١٦٦ : الف] منها الكلب فلا يجوز منها الوضوء ، لأنها بإبلاغه فيها[4] نقصت عن القلّتين . و أما الأخرى فيجوز الوضوء منها لأن القلتين لم تنقص . و إذا بلغ الماء قلتين لم تؤثر فيه النجاسة - [5]و الله أعلم[5] .

(١) فى بن : السنة .
(٢) فى بن : و سئل .
(٣) فى الأصلين : قلتين . و الكلمة مصححة فى بر بقلم آخر .
(٤) ساقطة من بن .
(٥-٥) ساقطة من بن .

(بطرس لوسنيان و الثغور الإسلامية)

و قد تشعب بنا القول و تسلسل إلى أن خرجنا[١] عن مرثية ابن أبى حجلة فلنعد[٢] إلى ذكر ما قاله فيها[٣]:

و حقك لو لا أن للثغر حافظا   من الله كان الثغر فى حوزة الكفر

حفظ الله تعالى بمنّه و كرمه ثغر الإسكندرية من حوز أهل الكفر له، و أبقاه على ما كان عليه فى حوز[٤] المسلمين، و أخرج منه سريعا ريير[٥] بطرس الكافر [٦]اللعين الضال[٦] المارق، اللص السارق. فلِلّه الحمد و الشكر، [٧]ولله المنة[٧] و الفضل. و جرت عادة اللصوص أنهم إذا سرقوا سرقة [٨]يهربون بها[٨] سرعة كيلا يقبض عليهم[٣]، فينكل[٩] بهم، و تقطع أيديهم و أرجلهم [١٠]من خلاف[١٠]. و القبرسى الملعون جمع من لصوص النصرانية

(١) ريد فى بن: عما كنا فيه من مرثية – الخ.
(٢) فى بن: فلترجع.
(٣) ساقطة من بن.
(٤) فى بن: أيدى.
(٥) فى بن: زبير. انظر حاشية سابقة عن ريير بطرس.
(٦–٦) فى بن سقطت هاتان الكلمتان.
(٧–٧) فى بن [١٢ : ب]: و المنة.
(٨–٨) فى بن: هربوا.
(٩) فى بن: وينكل.
(١٠–١٠) ساقطة من بن.

و أتى بهم إلى الإسكندرية ، سرقوا أثاثها على حين غفلة من حماتها . فلو أقام الملعون بها حلّ به من جيوش الديار المصرية كل بلية[1] . لكن الأمر صار[2] إلى غير أهله بولاية الأمير جنغرا و قلة جنده و جهله بتدبير الأمور و عدم معرفته بمواقع الحروب . فحصل التفريط بولاية[3] ضعفاء الرجال كبارَ الأعمال . فعلم اللص من أين يدخل يسرق ، فدخلها سرقها و هرب عنها خوفا من كبسه جيش مصر عليه يهلكه لو[4] أدركه بها[5] . فلو كان ملكا قويا شهما جريئا أقام بها و ناضل عنها كفعل الملوك حين ظفرهم بالمدن ، و لكنه خسيس ضعيف القوى ، سرق و هرب ، خوفا من العطب . و قد قيل إن ملوك النصرانية لامته على هروبه من الإسكندرية و قالوا له : إن الذى فعلته فعل اللصوص لا فعل الملوك ، كنت لما ملكتها أقمت بها و ناضلت عنها كما فعلت الجنوية بطرابلس الغرب ، و لكن دخلتها لصا و خرجت منها[2] لصا ، و ذلك لعدم قدرتك على مقابلة سلطان[6] مصر ، فَثَبَتَتْ[7] لصوصتك عند سائر ملوك العصر و سائر أجناس

---

(١) ف بن : مصيبة و بلية .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) ف بن : بولايته .

(٤) زيد ف بن : بها . و أسقطت بعد « ادركه » .

(٥) زيد ف بن : لقلة جيشه و ضعف بطشه .

(٦) ف بن : جيش .

(٧) ف بن : فثبت .

الرومانية، فأُسقِطتَ من ديوان الملوك عند القسيسين والرهبانية. فقال: وكيف أُسقِطتُ وقد نصرتُ الملة المسيحية وملكت مدينة أنطاكيا[1] بر التركية من أهل الملة المحمدية ورجالى[2] الآن بها مقيمة، وأحوالى بظفرى بها مستقيمة. فقالوا له: إنك ما قدرت عليها[3] إلا لقلّة رجالها، وضعف حالها، فما كان يكون لك همة عليّة، إلا لو أقمت بالإسكندرية[4]، فكنت تكون بين الملوك أظهر[5]، لمدينة كانت[6] لملوك حمير، ثم [١٦٦: ب] دثرت فأنشأها الإسكندر[7]، فهى أكبر غصة الملوك[8]، [9]لو أقمت بها كنت كالواسطة بعقود الملوك[9]، فلما سمع القبرسى مقالتهم، عزّ عليه ملامتهم، وكشف[10] رأسه، وخلع من رجله مداسه[11]، وحلف بالمسيح

(١) فى بن: انطاليا.

(٢) زيد فى بن: الى.

(٣) فى بن: على انطاليا.

(٤) زيد فى بن: و رددتها الى حالها الأصليه من ان ملكتها الملة المحمديه.

(٥) فى بن: الملك الأظهر للكك.

(٦) زيد فى بن: أولا.

(٧) زيد فى بن: و صارت من بعده للك قيصر و الآن.

(٨) فى بن: ملوك بنى الأصفر.

(٩ - ٩) ساقطة من بن.

(١٠) فى بن: كشف. سقوط واو العطف.

(١١) فى بن: نعله.

ابن مريم ، و الإنجيل المكوّم ، و بكل صليب و راهب ، [1]و قسيس ليس هو عن كنيسته أصلا بغائب[1] ، لاغطى[2] رأسه ولا لبس[3] مداسه حتى يملك بلدا ببر[4] المسلمين ، و لو أقام بالسنين ، و يغزو الغزو العنيف ، إلى أن يزور بقائم سيفه كنيسة [5]قمامة التى هى بالقدس الشريف[5] . فجمع الشقى المشؤم[6] ، من أقاليم الروم ، كل كافر مذموم[7] ، و قصد طرابلس الشام فى أوائل سنة ثمان و ستين و سبعمائة ، فأرسل الله[8] عليه ريحا عاصفا[9] كسر[10] من مراكبه بضعة عشر مركبا ، فغرق[11] من فيها و تفرّقت بقية المراكب ، فنها سالم و عاطب . ثم لما كان فى أوائل سنة تسع و ستين و سبعمائة أتى أيضا إلى طرابلس الشام ، فقتل[12] المسلمون من رجاله كثيرا ، فرجع الملعون إلى جزيرة قبرس خائبا[13] مقهورا . و سيأتى فيما يرد من

(١ - ١) فى بن : و قسيس للأناجيل و المزامير كاتب .
(٢) فى الأصلين : غطا .
(٣) كلمة « لا » ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤) بياض فى بن .
(٥ - ٥) فى بن : القدس الشريف .
(٦) فى بن : المذموم .
(٧) فى بن مشئوم .
(٨) زيد فى بن : تعالى .
(٩) زيد فى بن : صرصر .
(١٠) فى بن : فكسر .
(١١) فى بن : فتعرق .
(١٢) فى الأصلين : فقتلت .
(١٣) فى بن : خايفا .

هذا الكتاب ذكر ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى .

فلنرجع إلى مرثية ابن أبى حجلة :

و حقك إن لم تستفق لقتالهم   جرى ماجرى منهم على[1] الثغر فى مصر

يعنى أنه لم تتيقظ و تنتبه من الغفلة التى مضت ، و تسد الثغور بالجيوش المانعة، والأسلحة القاطعة ، تمنع عن ثغرى الإسكندرية ودمياط مينتى[2] مصر ، و إلا يخشى على مصر من اجتماع كلمة الإفرنج و إتيانهم للثغرين المذكورين[3] بجموعهم، و ما يعلم أىّ الأمر يكون منهم، لأن الحرب سجال ، يوما لك و يوما عليك ، فالله تعالى ينصر المسلمين على القوم[4] الكافرين. و اعلم أن حفظ الثغور يكون بالرجال الأبطال ، لا بالأسوار الطوال ، كما قال الشاعر :

عليك بسور من رجال فإننى   رأيت حصونا من حديد تهدمت

[5] و كما قال الآخر :

حسبت[5] سياج الدار يحمى عداتها   و ليس سياج الدار إلا رجالها[6]

[فى الرباط و المرابطة]

قال عمر بن الخطاب رضى الله[7] عنه : سمعت رسول الله صلى الله

(١) ساقطة فى بن .

(٢) فى الأصلين : مينتا . و صححت فى بر بقلم آخر .

(٣) مكررة فى بن .

(٤) فى بن : الفرنج .

(٥ - ٥) مطموس فى بن بالترميم .

(٦) فى بن : الرجال .

(٧) زيد فى بن [١١٤ : الف] : تعالى .

عليه و سلم يقول « إذا فتح الله مصر فاتخذوا فيه[1] جيشا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض » . فقال : لِمَ يا رسول[2] الله ؟ قال : « لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة[3] » .

و عن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « من حرس ليلة فى سبيل الله لم ير النار بعينه إلا تحلّة[4] القسم ، [5]فان الله تبارك و تعالى قال[5] : " و ان منكم إلا واردها[6] " [١٦٧ : الف] و روى أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : « رباط ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف[7] ليلة يقوم ليلها لا يفتر و يصوم نهارها لا يفطر » . و قال عليه السلام : « من رابط فواق ناقة [8]حرمه الله على النار » . و فواق ناقة[8] هى[9] قدر ما تُحلب ، و الرباط شعبة من الجهاد . و بقدر خوف[10] أهل الثغر و تحرزهم من عدوهم يكون كثرة ثوابهم . و قال عمر :

(١) فى بن : منها .
(٢) فى الأصلين : يرسول .
(٣) فى بن : القيمة .
(٤) كذا فى بن ، و فى بر : حلة - صححت بقلم آخر إلى : تحلة .
(٥-٥) فى بن : قال الله تعالى .
(٦) قرآن كريم ١٩ : ٧٠ .
(٧) فى بن : الفى .
(٨-٨) ساقطة من بن .
(٩) فى بن : هو .
(١٠) ساقطة من بن .

فُرض الجهاد لسفك[١] دماء المشركين ، و الرباط لحقن دماء المسلمين ، و حقن دماء المسلمين أفضل من سفك دماء المشركين . و ينبغى لكل قوم أن يرابطوا فى ناحيتهم ، و يمسكوا سواحلهم ، إلا أن يكون مكانا يخاف منــه . و سئل مالك رحمه الله[٢] عن سكان الثغور و السواحل بالأهل و الولد قال: ليسوا بمرابطين ، و إنما الرباط من خرج من منزله معتقدا للرباط فى موضع الخوف - ذكره ابن يونس . و قال عليه السلام: «إن الله[٣] جعل رزقى فى ظل رمحى[٤] ، و لم يبعثنى تاجرا و لا زارعا» . و قال عمر رضى الله[٥] عنه : من زرع فامحه من الديوان ، فان هذه الأمــة جُعلت أرزاقها فى أسنّة رماحها ما لم يزرعوا ، فاذا زرعوا كانوا من الناس . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر المزارعين و الشفقة[٦] عليهم[٧] و ذكر[٨] القمح و الشعير و فضلهما[٩] إن شاء الله تعالى[١٠] .

(١) فى هامش بر بقلم آخر : اللام للعــاقبة و الصيرورة إذ العلة فى فرضه هو إعلاء كلمة الله .

(٢) زيد فى بن : تعالى .

(٣) زيد فى بن : عز و جل .

(٤) فى بن : رمى .

(٥) زيد فى بن : تعالى .

(٦) فى بن : فى الشفقة .

(٧) زيد فى بن : و الرفق بهم .

(٨) زيد فى بن : ما قيل .

(٩) فى بن : من الفضل و المدح .

(١٠) و يلاحظ أنه لم يرد فى هذا الموضوع ذكر فى أصول الكتاب .

و قد

و قد جاء فى الرباط بالإسكندرية[1] فضل كثير ، [2]و سأذكر لمعا من ذلك إن شاء الله تعالى[2] . عن أبى هريرة رضى الله[3] عنـــه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول « المقيم بالإسكندرية ثلاثة أيام مرابطا من غير رياء بمنزلة من عَبَدَ الله عز و جل سبعين سنة[4] ما بين الروم و العرب » . عن[5] سعيد بن أبى وقاص أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « الإسكندرية و عسقلان عروستان من عرائس الجنة ، و الإسكندرية أفضلهما ، و إنها لتأتى يوم القيامة[6] تـزفّ بأهلها[7] إلى بيت المقدس » . فمن رابط بالإسكندرية أربعين يوما كتب الله[8] له عتقا من النار و أمن من العـذاب . و إن خيار أهلهـا أفضل من أشراف غيرها ، و أشرافها خير[9] و أفضل[8] من أشراف غيرها ، و هى مدينـة ذى القرنين ، يبعث الله تعالى منها سبعين ألف شهيـد وجوههم أضوأ من القمر ليلة البدر ، يعطى كل واحـــد منهم نورا على الصراط ،

---

(١) فى هامش بر : فضائل اسكندرية و أهلها و الرباط فيها .
(٢-٢) فى بن : فلنذكر الآن لمعا من ذلك .
(٣) زيد فى بن : تعالى .
(٤) فى بن : عاما .
(٥) فى بن : و عن .
(٦) فى بن : القيمة .
(٧) فى بن : أهلها - بسقوط الباء .
(٨) ساقطة من بن .
(٩) فى بن : أفضل .

و يشفع فى سبعين ألفا من أهل بيته و أقاربه و جيرانه و أصحابه و أحبابه ، فطوبى لمن يسكنها[1] و يرابط بها و يقصد فيها عبادة الله عز و جل و يأكل رزقا حلالا و يصلى صلاة خالصة ! و هى فى الكتب يعرفها أهل العلم تسمى الخضراء ، و اسمها فى الزبور [١٦٧ : ب] [2] البيضاء ، و اسمها فى التوراة [2] المذهّبة ، يبعث الله منها سبعين ألف شهيد وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ، يعطى كل واحد منهم نورا على الصراط ، و يشفع كل واحد منهم لسبعين ألفا[3] ، فطوبى[4] لمن رابط فيها !

عن سليمان[5] الأعمش قال : حدثنا مولى عمر بن عبد العزيز ، قيل[6] له يا أمير المؤمنين ! ألا أحدثك بحديث ؟ قال : بلى ، قال : حدثنى أبى عن جدى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال « مدينتان من مدائن الجنة و هم مدائن العدو و أنهما سيفتحان على أمتى : أحدهما من مدائن الروم يقال لها الإسكندرية ، و الأخرى من مدائن الديلم يقال لها قزوين ، فمن رابط[7] فى إحداهما[8] ليلة واحدة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

(١) فى بن : يسلكها .
(٢-٢) ساقطة من بن .
(٣) فى الأصلين : الف .
(٤) فى بن : و طوبى .
(٥) فى بن : و عن سليمن .
(٦) فى بن : قال .
(٧) فى بن : رباط .
(٨) فى بن : أحدهما .

قال: فاستوى عمر جالسا و كان مضطجعا [1] فقال له: الله! لقد حدثك بهذا الحديث أبوك عن جدك [1] عن رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ [2] فقال الأنصارى: و الله لقد حدثنى أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم [2] كما حدثتك يا أمير المؤمنين! ثم قال: اللهم اجعل قبرى بالإسكندرية أو بقزوين! فو الله لو لا شغل أنا فيه لاتخذت دارا أو منزلا باحداهما .

عن خالد بن حميد قال: كان الضحاك بن مزاحم و عطاء السلمى [3] يقولان: الرباط بالإسكندرية و المبيت بها كان أحب إلينا من عتق رقبة من ولد إسماعيل [4] . قال: فكان عطاء يقول: إن بى من الشوق إلى الإسكندرية شوقا ما أستطيع دفعه و وصفه .

عن كعب الأحبار أنه [5] قال: فى كتاب الله عز و جل المنزل الذى [6] أنزل الله [6] على موسى بن عمران أن بالإسكندرية شهداء يستشهدون يبطحائها! هم خيار من مضى و هم الذين يباهى الله عز و جل بهم [5] شهداء بدر . فيا لها من وقعة وقعة الإسكندرية! عن سعيد بن جبير قال: إن الله

(١-١) فى بن: فقال الله . و باقى الجملة مطموس بالترميم لآخر الصفحة .

(٢-٢) ساقطة من بن [١١٤ : ب] .

(٣) فى بن: المسلمى .

(٤) فى بن: اسمعيل .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) فى بن: انزل .

تعالى يباهى بأهل هذه الثلاث أرضين ، أحدها[1] قيسارية و أهل عسقلان و أهل الإسكندرية ، كما يباهى هذه الثلاثة[2] أرضين بالملائكة يوم الحج الأكبر [3]بأهل عرفة[3] . عن صالح بن على قال للربيع[4] بن خيثم : ما منعك أن تقاتل معى؟ قال : ما كنت لأقاتلك و لا أقاتلك معك[5]؛ فدُلّنى على جهاد أو رباط . فقال : عليك بالإسكندرية أو قزوين ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول « [6]إن الله سيفتحهما[6] على أمتى ، و إنهما بابان من أبواب الجنة ، فمن رابط فيهما أو فى إحداهما[7] ليلة واحدة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . عن عبد الله بن عباس [8]رضى الله عنهما[8] قال : لأن أبيت ليلة بالإسكندرية على فراش وَطِىّ وطعام طيب لا تدخل[9] فى [١٦٨ : الف] رجلى شوكة و لا ألقى عدوا حتى انصرف من الغداة سالما أحبّ إلىّ من عبادة سبعين سنة صيامها و قيامها فى كل

(١) ساقطة من بن ، و فى بر : احدهما .

(٢) الجملة ساقطة من بن .

(٣-٣) فى بن : و بأهل عرفة .

(٤) فى بن : الربيع .

(٥) فى بن : حبك (!!) .

(٦-٦) فى بن : انهما سيفتحان .

(٧) ساقطة من بن .

(٨ - ٨) ساقطة من بن .

(٩) فى الأصل (بر) : يدخل ؛ و صححتها فى بن .

عشر

عشر منها ليلة القدر بمقاديرها . عن نافع عن ابن عمر قال له رجل من أصحابه: أى المواضع أحب إليك ترابط فيها؟ فقال: الإسكندرية ، و قال: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول «أحب الرباط إلى الله عز و جل رباط الإسكندرية لأنها تزف على الخلائق يوم القيامة[1] فى صورة مدينة نورها يتلألأ مكللة بالدر و الياقوت، و ذلك لفضل شهدائها . عن عبد السلام بن عمر بن خالد عن أبيه قال: حدثنا أشياخنا عن أهل العلم و ذكروه عن كعب الأحبار أنه قال[2]: فتحت الإسكندرية ، قال: ليس ذلك يومها إذا جاءتها مائة سفينة على أثرها مائة سفينة و لم تزل تأتى[3] مائة بعد مائة حتى تتم سبعمائة سفينة يكملوا ألفا[4] و أربعمائة سفينة ينزلوا بساحل اسكندرية ؛ فتلك الوقعة العظمى و الطامة الكبرى و التى تشيب لها الأطفال الصغار و يسقط لها النساء الحوامل ! فطوبى ثم طوبى لمن أدركها ! قال كعب الأحبار: و الذى نفس كعب بيده ليقتلن فيها من الخلق حتى يبلغ الدم عراقيب الخيل ! فعند ذلك الشهادة العظمى .

عن سفيان الثورى يذكر أن كعب الأحبار قال: ما على الأرض عباد[5] أكرم على الله تعالى من عباد يستشهدون[6] بالإسكندرية ، فطوبى

(١) فى بن : القيمة .

(٢) كذا فى الأصلين ، و لعله : قيل .

(٣) و بالجملة بعض ارتباك لفظى و إن كان المقصود واضحا وهى كذلك فى كل من بر و بن .

(٤) فى بر : الف . و الكلمة مكررة فى بن .

(٥) فى الأصلين : عبادا .

(٦) فى بن : يشهدون .

لمن رابط بها و استشهد فيها! و طوبى لمن صلى فيها صلاة[١] الخمس التماس فضلها! فطوبى لهم ثم طوبى لهم! عن أبي هريرة[٢] قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم « يا أبا هريرة! طوبى لقوم يموتون على ساحل البحر يخرجون من قبورهم حتى يردون العرش[٣]! فيقول الله عز و جل: لا حساب
٥ عليكم اليوم، انطلقوا مغفورا[٤] لكم و عانقوا الأبكار ».

عن طاوس[٥] اليماني قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: « المرابط في سبيل الله[٥] عز و جل[٦] على ساحل البحر له في كل يوم[٧] دعوة مستجابة ». عن محمد بن عباس أنه قال قال[٨] كعب الأحبار إني لأجد في كتاب الله عز و جل المنزل على موسى بن عمران عليه السلام: من رابط بالإسكندرية ضحوة.
١٠ جعل الله له تاجا من ذهب فيه لؤلؤة تضيء ما بين المشرق و المغرب، باطنه المسك و الكافور، و الذي نفس كعب بيده هذا مكتوب في

(١) كذا، و الظاهر: الصلوات.
(٢) زيد في بن: رضي الله عنه.
(٣) في بن: الفردوس.
(٤) في بن مغفور.
(٥) في بن: طاووس - و الجملة السابقة مكررة هنا و استأنف الناسخ الكلام في بن [١١٥: الف].
(٦ - ٦) ساقطة من بن.
(٧) زيد في بن: له.
(٨) من بن، وفي بر « قال » الثانية ساقطة.

التوراة[1] ! عن[2] ابن عمر[3] عن النبي صلى الله عليه و سلم قال « من كبّر على[4] شاطئ[5] بحر الروم تكبيرة لا يريد بها إلا وجه الله تعالى و الدار [١٦٨ : ب] الآخرة جعل الله فى ميزانه يوم القيامة[5] صخرة أثقل من السماوات السبع و الأرضين السبع و ما بينهن و ما تحتهن . عن أبى هريرة[6] قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « من رابط اثنى عشر يوما فى سبيل الله أمن يوم القيامة[5] من الفزع الأكبر ، و من رابط أربعة و عشرين يوما أعطاه الله تعالى أجر الشهيد المشحّط[7] فى دمه ، و من رابط ثمانية و أربعين يوما جعل الله روحه فى حواصل الطيور الخضر[8] تسرح فى الجنة حيث شاءت و تأوى إلى قناديل تحت العرش » . عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « من تقلد سيفا ليلة جمعة مرابطا فى سبيل الله عز و جل لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى ، ثم مات بعد سنتين كتبه الله مرابطا إلى يوم القيامة . عن كعب بن محمد قال :

---

(١) فى بن : التورية .

(٢) فى بن : و عن .

(٣) زيد فى بن : رضى الله عنهما .

(٤) ساقطة من بن ، و من الممكن قراءة الكلمة التالية : بشاطئ .

(٥) فى بن : القيمة .

(٦) زيد فى بن : رضى الله تعالى عنه .

(٧) فى بن : المتشحط .

(٨) الكلمة واردة فى بن و ساقطة من بر .

. إرم ذات العماد الإسكندرية » ـ انتهى[١] .

(إشاعة الحملة على الإسكندرية سنة ٧٦٨)

نعود ـ و لما كان فى أواخر سنة ثمان و ستين و سبعمائة أشاعت الناس بالإسكندرية[٢] أن القبرسى جمع جمعا كبيرا من النصارى قاصدا الإسكندرية ، فارتقبه[٣] المسلمون و تهيأت له الترك المجردة بها ، و أبرزوا أسلحتهم التى بها يقابلونه ، و هى من السيوف الهندية و الرماح الخطية و الدرق اللطية[٤] و الدبابيس اللتية و الأطبار المسنونة[٥] [٦]و التراس المدهونة[٦] و القسى الموتورة[٧] و الأعلام المنشورة[٨] مع ما هيؤه[٩] له من النفط و المدافع و أكر الرصاص التى ترمى عليه بالمقامع[١٠] ، مع المجانيق الغضبانة ، و الحجارة الصوانة ، و الخيول المضمرة ، و الفرسان المنمرة ، و العساكر

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى هامش بن : سنة ٧٦٨ ، و كلمة « بالإسكندرية » ساقطة من بن .

(٣) فى بر : فارتقبته ، و فى بن : فارتقبت له .

(٤) كذا فى بر ، و هى فى بن : المطلية .

(٥) فى بن : الردية .

(٦-٦) ساقطة فى بن .

(٧) فى بن : المحنية .

(٨) فى بن : المشهورة .

(٩) فى بن : هيوا .

(١٠) فى بن : بالمقالع .

المسعودة، التى [1]تلتهب على لقائه كلهب النار[1] الموقودة. و قد صار على تلك العساكر الإسلامية المجردة بالإسكندرية [2]البهجة و السرور، و الضياء و النور، ما يتعوضونه[2] عن ظلمة القبور، و يجدون[3] ثمرته فى يوم الحشر و النشور، [4]أظهروا ذلك ليروموا[4] قتال القبرسى[5] إن حضر، يذيقونه بها العذاب الأكبر. و قد قلت فى عساكر المسلمين و جيوش الموحدين أبياتا و هى:

قد تجلّى على [6]العساكر نور[6]   و ضياء و بهجة و سرور
عسكر قد حوى لكل سلاح   ماله فى السلاح أصلا نظير
إن رأيت السلاح[7] خِلت المنايا   كامنات و حدّها محرور
أو رأيت القسىّ شاهدت سهما   غاديات مثل السحاب تمور
لم تزل فى انحنائها راسخات   [8]فاذا عولجت[8] فوِردٌ نمير
قوسها دائم على كل حال   مستمر مُهَيّأ موتور

(١-١) فى بن: صارت لقايه كالنار. و فى بر «تلهب» بدل «تلتهب».
(٢-٢) فى بن: بهجة و سرورا و ضيا و نورا ما يتعوضونه.
(٣) فى بن: و يجنون.
(٤-٤) فى بن: اظهروها يروموا.
(٥) مكررة فى بن.
(٦-٦) فى بن: عساكر الاسلام.
(٧) فى بن: السيوف.
(٨-٨) ساقطة من بن.

[١٦٩:الف] بسهام مسقية إن تخلت عن قسيها ترى الشرار يطير
معها من لوالب[١] الجرخ ما لو قابلتها الأسوار دُكّ السور
كم بها من مصفح من حديد زردياتها لها تقدير
ثم بيضاتها الصقيلة فى [٢]الشمس عيون الفرنج منا تغور[٢]
٥ درقها اللط[٣] و الطوارق صارت كرياض زهرها منثور
و دبابيسها مع الطبر الحد لها فى جماجم تكسير
[٤]و بها من سناجق شبه سرو و عاليات أعلامهن حرير
وخيول ما مثلها من خيول و رجال ضراغم و نسور
و مجانيق قد رمت بحجار كجبال إلى الفرنج تسير[٤]
١٠ فترى الكافرين أمسوا حيارى و جناح لهم غدا مكسور
[٥]يا إله الورى دعوتك جهرا ان قلبى مما جرى مكسور[٥]
اشف قلبى بغزوة فى النصارى و انتصر للاسلام أنت[٦] النصير

فالقبرسى إن عاد مرة أخرى إلى الإسكندرية رأى فى نفسه كل

(١) فى بر : مهئ ، و فى بن : كواكب .
(٢-٢) مطموسة بالترميم فى بن .
(٣) فى بن [١١٥ : ب] : اللعا .
(٤-٤) الأبيات ساقطة من بن .
(٥-٥) ورد البيت فى بن و هو ساقط من بر .
(٦) فى بن : فانت .

مصيبة و بلية فالله تعالى يخذله و يهلكه ، و يجعل [١]إلى النار[١] الجحيم مسلكه . فان عاد بجنوده نكس المسلمون[٢] [٣]لصلبانه و بنوده[٣] . و قد قلت أبياتا متفائلا[٤] بها كما قيل الفأل[٥] موكّل[٦] بالمنطق و هى :

إلهنا للسلمين بالظفر — من أعادى الله عُبّاد الصور
فهم الإفرنج لما أن طغوا — و بغوا صاروا على الأرض عبر
بسيوف المسلمين فاشتفى[٧] — كل قلب منهم بمن كفر
جُرّعوا كأس المنون إذ غدوا[٨] — جيشهم مفللا قد انكسر
ذُبّحوا ذبحا فصاروا مثل ما — يذبح بالسكين ثيران البقر
و غدا بعضهم فى الأسر قد — سُلسلتْ أعناقهم فلا مفر[٩]
ما نجا منهم غلام بالذى — قد جرى حتى يرُد بالخبر
اذكر الآن الذى جمّعهم — و بهم للثغر إن جا و حضر
فهو كلب اجرب من قبرس — فى علوج طعّم نيران سقر

(١-١) فى بن : طريق .

(٢) فى بن : نكست المسلمون ، وهى فى بر : نكست المسلمين .

(٣-٣) فى بن : صلبان أعلامه و بنوده .

(٤) فى الأصلين : متفاولا .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : موكول .

(٧) فى بر : فاشتفا ، و فى بن : و اشتفى .

(٨) فى بن : غدا .

(٩) فى بن : صفر .

نحو ثغر المسلمين فاغتدوا   طرحا فى الأرض من ضرب الطبر
فالنويرى قال ذا تفاؤلا   قبل أن يأتى و للفال أثر
أسأل الله بجاه المصطفى   سيد العالم من نسل مضر
[١٦٩:ب] أن يحقق[1] كل ما[1] قلته   فى الذى للسلمين قد عقر
اخرب[2] اللهم أرض قبرس   و اقتل اللهم جمع من كفر
و انصر الإسلام نصرا دائما   أنت أولى من به الدين انتصر

ثم بعد ذلك[3] ورد الخبر إلى الإسكندرية بأن الملعون قصد طرابلس الشام ، و فعل بها ما سيأتى ذكره مفصلا إن شاء الله تعالى .

[مقتل بطرس لو سنيان سنة ٧٧٢]

و لما كان فى شوال سنة اثنتين[4] و سبعين و سبعمائة أتى الخبر إلى الإسكندرية بأن البرنز أخو ريير بطرس [5]صاحب قبرس[5] قتله ، فقالت أهل الجزيرة : لقد استرحنا من الفتن و أخذه[6] لأموالنا بالقهر و تقريبه

(١–١) فى بن : ما قد .

(٢) و رد قبل هذا البيت : ولما كان فى شوال . و الجملة مشطوبة و قد جاءت فيما بعد .

(٣) فى هامش بر : فى شوال سنة ٧٧٢ .

(٤) فى الأصلين : اثنين .

(٥–٥) ساقطة من بن .

(٦) فى بن : ولاخذه .

للفرنسيين

للفرنسيين و فتكهم[١] فى حريم النصارى بما لا ترضاه الأساقفة و لا[٢] القسيسون[٣] . فهلك[٤] و قضى و مضت روحه إلى نار لظى . و مما قيل فى أمثاله :

يا مالكا خذ من أتاك وغُلَّهُ ... و اقصُص أنامله و شُقّ المنحرا
و اعلم بأنك ما ظفرت بمثله ... فيمن مضى أو من أتى متأخرا
ما كان إلا طينة ملعونة ... بالرجس قد جُبلت و منها صُورا

و قيل إن الملعون لما ظفر بالإسكندرية أرسل لابن عمه بجنوه خمسمائة[٥] من أسراها و أسرى غيرها ، و كان الذى بجنوه يهاديه أيضا و يساعده على مقاصده ، و إن القبرسى بخل على أمرائه القبارسة[٦] ، و كل شىء حصل له من الإسكندرية هادى[٧] بأكثره الملوك و أحرم أمراءه[٨] منه و قرب الفرنسيسين ، ثم إنه قال للقبارسة : أريد السفر بكم إلى الشام أغازى أهله . فصعب ذلك عليهم، لعدم احسانه إليهم ، و كانت مقالته تلك[٩] تجبّرا بهم . فاتفقوا مع أخيه البرنز عليه ، و ذلك بعد

(١) فى بن ، و فتكه .
(٢) ساقطة من بن .
(٣) فى الأصلين : القسيسين .
(٤) زيد فى بن : الملعون .
(٥) فى بن : قوة كثيرة .
(٦) زيد فى بن : لعدم عطاياهم .
(٧) كذا فى بن ، وهى فى ير : هادا .
(٨) فى الأصلين : أمراؤه .
(٩) زيد فى بن : لهم .

وقعة[١] طرابلس و بلد اياس ، و قالوا له : انظر ما يعمل بنا أخوك من عدم إحسانه لنا و تعرضه [٢]بنا للحرب[٢] مع نهبه لأموالك و أموالنا ، فإن سمعت منا ما نقول لك من القول الذى فيه الصلاح كان لنا و لك الحظ الأوفر[٣] . قال : و ما هو ؟ قالوا : قد أكثر أخوك الفتن كما علمت ، [٤]و نهب أموالك و أموالنا[٤] بما هو يفعل ، و قصدنا الإراحة[٥] منه ، و [٦]نتعصب لك[٦] و نملّكك رقابنا لتخمد الفتن ، و نصطلح مع صاحب مصر لتصير بضائعنا تباع بالإسكندرية ، [٧]لتربح فيها[٧] الفوائد القوية ، كما كنا أولا و نجبر فيها أيضا بضائعنا الكاسدة ، التى صارت بفعل أخيك فاسدة ، فما تقول فى ذلك ؟ قال : أخاف إن طاوعتكم تغدرونى[٨] و تسلمونى و لا ترحمونى . فحلفوا له على الإنجيل الجليل[٩] أنهم ينصرونه

(١) فى بن : وقعت .

(٢) فى بن : بالحروب .

(٣) زيد فى بن : و السعد الأكبر ـ و يتلوها كلمات مطموسة بالترميم .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : الراحة .

(٦-٦) فى بن : و نقوم معك .

(٧-٧) فى بن [١١٦ : الف :] لتحصل لنا .

(٨) فى بن : تغدروا بى .

(٩) ساقطة من بن .

و لا [١٧٠ : الف] يخذلوه و لا يسلموه[١] . فقال لهم : إذا[٢] كان ذلك فهيئوا لى جماعة أستعين بهم على قتله . [٣]فهيئوهم له[٣] ، فكتب كتبا و ختمها ، و أتى بهم فى الليل الى دار[٤] أخيه الملك ربير فاستأذن عليه ، فأذن له فدخل[٥] فقال له : إن ابن عمك أرسل لك رسلا معهم كتب[٦] و هم بالباب فدُعى[٧] بهم . فلما وقفوا بين يديه هجموا سرعة عليه قطعوه قطعا بخناجرهم ، و ضمّوه فى فراشه ، و وضعوه فى خرستان[٨] و غلقوه[٩] عليه . فلما أصبح الصباح شاع الخبر بقتل الملك و جلوس أخيه[١٠] البرنز على كرسى الملك ، [١١]بعد أن نودى[١١] فى البلد أن السلطان البرنز يقول لكم : بيعوا و اشتروا و خذوا و أعطوا . فعلمت الناس أن ربير الظالم الغاشم قُتل ، ففرحوا لقتله لكثرة أذاه لرعيته و جوره و نهبه

(١) زيد فى بن : لأعدايه .

(٢) فى بن : فاذا .

(٣–٣) فى بن : فهيوا له ذلك .

(٤) فى بن : قصر .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) فى الأصلين : كتبا .

(٧) فى الأصلين : فادعى .

(٨) فى بن : خزانة .

(٩) فى بن : و غلقوا .

(١٠) الكلمة ساقطة من بن .

(١١–١١) فى بن : و نودى .

لأموالهم ، و إفساده[1] لأحوالهم . فاستمر البرنز سلطانا ، فسمع ابن عمه الذى بجنوه بقتل البرنز لأخيه ربير ، فشق ذلك[2] عليه ، فعمّر خمسة و عشرين غرابا ليأخذ بثأره منه . فلما بلغ البرنز ذلك أعرض جيشه و نفق فى أربعة آلاف فارس و راجل ، و مدّته الذين كانوا السبب فى قتل الريير[3] بالأموال و هم منتظرون قدومه[4] [5]إليهم و وروده[5] عليهم بسبب الحروب[6] و الطعن و الضرب ، [7]و أهل الجزيرة بأجمعهم خائفون مرعوبون ، قد دفنوا أموالهم ، و تأهبوا للقتال ، و الحرب و النزال – و الله أعلم بما سيكون بينهم من الحروب[7] .

(الأشرف شعبان و حراسة الإسكندرية و دمياط)

فلما بلغ السلطان الملك الأشرف شعبان[8] ذلك أرسل الأمراء من القاهرة إلى ثغرى الإسكندرية و دمياط لحراستها خشية أن تكون حيلة و مكيدة على بلاد[9] المسلمين . فأتى إلى الإسكندرية من الأمراء

(١) فى بن : و لا فساده .
(٢) ساقطة من بن .
(٣) فى بن : ربير .
(٤) فى بن : حروبه و قدومه عليهم .
(٥-٥) ساقطة من بن .
(٦) فى بن : القتال .
(٧-٧) فى بن : وخاف أهل الجزيرة بأجمعهم ، و دفنوا اموالهم و اثاثهم ، و تأهبوا للحرب و النزال . و فى بر : خائفين مرعوبين .
(٨) الأشرف ناصر الدين شعبان و حكمه ٧٦٤ – ٧٧٨ هـ / ١٣٦٢ – ١٣٧٦ م .
(٩) فى بن : سواحل .

أسنبغا

أَسَنْبُغا بن البوبكرى و قطلبغا المنصورى و الأمير المعروف بسيدى ابن عمة[١] السلطان الملك الأشرف شعبان، و أتى[٢] أيضا لها[٢] أروس البَشتكى و الأمير ابن تفرْدُمر و الأمير شرف الدين بن الأزكشى و الأمير أخو أتبغا جَلب و الأمير مبارك الطازى بأجنادهم و مماليكهم، فكان دخولهم الإسكندرية[٣] مستهل ذى القعدة سنة اثنتين[٤] و سبعين و سبعمائة غير من هو بها مقيم مثل ملك الأمراء صلاح الدين خليل بن عرّام[٥] و تمراز أمير حاجب و بكتمر العلمى[٦] أمير حاجب أيضا بما معهم من الأجناد و المماليك إلى غير ذلك من قياد الصناعة و رماة[٧] القاعات المتطوعة و العربان المركزة ظاهر[٨] الإسكندرية وبباطنها أيضا الألوف المؤلفة من أهلها والغرباء[٩] التى صارت مقيمة بها و مهيأة[١٠] للحرب[١١] [١٧٠ : ب] فيها، و كلهم طالون[١٢] الجهاد فى سبيل الله، و ما النصر إلا من عند الله. فلم يأت

(١) فى بن : عم .
(٢-٢) فى بن : اليها ايضا .
(٣) فى هامش بر : مستهل ذى القعدة دخولهم سنة ٧٧٢ هـ .
(٤) فى الأصلين : اثنين .
(٥) فى بن : العرام .
(٦) فى بن : العلائى .
(٧) فى الأصلين : و رمات . بالتاء المفتوحة .
(٨) فى بن : بظاهر .
(٩) فى بن : و العربان .
(١٠) فى الأصلين : مهيئة .
(١١) كلمة « الحرب » مكررة بالصفحة التالية .
(١٢) فى الأصل : طالبين . والكلمة صححت بقلم غير قلم الناسخ .

أحد من النصارى للاسكندرية و لا دمياط، حين بلغهم كثرة الرباط. و لما كان فى سنة خمس و سبعين و سبعمائة[1] تحركت الجنوية [2]على قبرس، أخذوها[2] من القبارسة بعد أن قتلوا من أهلها خلقا[3] كثيرا، و ملكوها منهم، و أخرجوا البرنز منها منفيا إلى بعض[4] الجزائر.

(عود إلى مرثاة ابن أبى حجلة)

نعود إلى قول ابن أبى حجلة فى مرثيته:

و حقك عندى للفرنج مكائد فليت ولى الأمر يدرى بما[5] أدرى
فمن لى بأسطول به أهل سَبْتَة بغربانهم مثل النسور إذا تُسْرى

يعنى بولى الأمر إذ ذاك الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى. قصد بقوله ذاك تعريفه مكائد حرب البحر، و تلك المكايد تعرفها أهل سبته و من جاورهم من المسلمين. و الفرنج التى بجزيرة الأندلس[6]يخشونهم لحذقهم[6] و معرفتهم بقتالهم و غربانهم المرصدة لذلك. و قصده أيضا تحريض الأمير يلبغا على تكثيره بالإسكندرية[7] قياد المغاربة لأنهم فرسان البحر

(١) فى هامش ر: سنة ٧٧٥.
(٢ - ٢) فى بن: اخذت الجزيرة.
(٣) ساقطة من بن.
(٤) فى بن: غيرها من.
(٥) فى بن: ما.
(٦ - ٦) فى بن [١١٦ : ب]: شريهم ما رقهم (!!).
(٧) فى بن: بثغر الإسكندرية.

لا عتيادهم لذلك . و قيل إن عدة أبواب[1] سبته أحد[2] و ثلاثين بابا ، واحد[3] للبر و [4]البقية لدار[4] صناعتها للبحر ، و داخل كل باب منها غراب راكب على حماره الخشب المعتدل[5] . فاذا جرت حركة مع الفرنج أو أتتهم بأفروطة[6] ، أخرجت القياد تلك الغربان بجوهم حمرها ، فترمى تلك الغربان البحر دفعة واحدة ، و شحنت[7] برماتها و قيادها و أسلحتها و أزوادها ، و قد صاروا على الكفار ، كاشتعال النار . فاذا كان بالإسكندرية[8] مثلهم ينفق عليهم كل شهر نفقتهم الكافية لهم ، حفظت بحفظ الله[9] دارها ، و انتفى[10] عنها عارها و شنارها[11] .

(مدينة سبتة و خليجها)

و مدينة سبتة[12] محاذية لجزيرة الأندلس ، بينهما تعدية الخليج المعروف

(١) زيد فى بن : مدينة .

(٢) فى الأصلين : احدى .

(٣) فى بن : و احدا .

(٤ – ٤) فى بن : و الباقى من دار .

(٥) فى الأصلين : المعتدلة .

(٦) فى بن : افروطة – بسقوط باء الجر .

(٧) فى بن : قد شحنت .

(٨) فى بن : بصناعة الاسكندرية .

(٩) زيد فى بن : تعالى .

(١٠) كذا فى بن ، و هى فى بر : وانتفا .

(١١) كلمة « و شنارها » ساقطة من بن ، و زيد بعدها : لكن كان ذلك الكتاب مسطورا و كان أمر الله قدرا مقدورا .

(١٢) فى الهامش : و مدينة سبته .

بزقاق سبتة ، و به القنطرة التى بناهـا بعد حفره له الإسكندر ، فعلا القنطرة الماء لقوة دفعه من البحر المحيط ، فصارت القنطرة تُرى من أسفل الخليج لصفاء الماء . و ذلك أن الإسكندر فتح هذا الخليج كما قيل يُغرق بـه بلاد الكفار ، فمر المـاء على بلادهم و أرضهم[1] فغرق منها الأراضى المنخفضة ، و صارت الأراضى المرتفعة جزرا كجزيرة قبرس و جزيرة رودس [2]و حزيرة سردانيـة[2] و جزيرة صقلية و جزيرة رواد و حريرة اغروه و غيرها من الجزائر[3] العديدة . و سيأتى ذكر هذه الجزر و ما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

و قيل إنما حفر الإسكندر هـــذا الخليج من البحر المحيط سوى لسفر القراقر بيضائعها إلى سائر الثغور [١٧١: الف] لعسر نقلها من بلاد الروم إليها فى البر ، لأن القرقورة الواحدة تحمل من البضائع [4]ما تحمله المثين من الإبل[4]، و سير القراقر بالريح العاصف [5]لأنها تسير به[5] فى الأمد اليسير [6]ما لا تسير بـه الإبل فى الأمد الطويل[6] . و قيل إن الإسكندر لما قصد حفر هـــذا الخليج المعروف بزقاق سبتة لم تعمل المعاول فى

(١) فى بن : و اراضيهم .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : الجزر .

(٤-٤) فى بن : مالا تحمله الابل اكثيره (كذا) .

(٥-٥) نقلا عن بن ، و الجملة ساقطة من بر و يكتمل بها الكلام .

(٦-٦) نقلا عن بن ، و الجملة ساقطة من بر و يكتمل بها الكلام .

أرضه

أرضه لتحجيره[1] و صلابته ، فسأل الحكماء فى[2] ذلك فقالوا له: تأمر بجمع الحطب الكثير فتضعه[3] على أرضه و تطلق فيه النار، فاذا صار جمرا أطفى[4] ذلك الجمر بالخل فيسهل حفره . ففعل ذلك فارتخى[5] حجره و تهيأ حفره . ثم بنى قنطرة يمشى عليها من بر سبتة إلى بر الأندلس. فلما جرى الماء[6] فى ذلك[7] الخليج ركب الماء[7] القنطرة لقوة جريانه وكثرته، فعلا عليها فغرق[8] المنخفض من الأرض، و صار المرتفع منها جزرا فيها عيون فيها[7] مياهها العذبة الجارية بها، تجرى على حالها .

(البحر الأعظم و كروية الأرض)

قال صاحب كتاب عجائب البلدان: زعم كثير من الفلاسفة و أهل [9]العلم بالهندسة[9] أن البحر الأعظم يحيط بالأرض من جميع جهاتها

---

(١) فى بن: لتحجره .

(٢) فى بن: عن .

(٣) فى بن: و تضعه .

(٤) كذا فى بن، و هى فى بر: طفى .

(٥) فى بر: فارتخا ــ و فى بن: فاتخا ــ بسقوط الراء .

(٦) زيد فى بن: من البحر المحيط .

(٧) ساقطة من بن .

(٨) فى بن: فعرض .

(٩-٩) فى بن: علم الهندسة .

لأسرار ذكروها، و ذلك أن الشكل الذى ينسب إلى العنصر المائى السيال الجوهر[1] و هو شكل ذو ثمان قواعد مثلثات متساوية الأضلاع قائمة الزوايا و يسمى كعبا و هو شكل الأرض على رأى أفلاطون و كثير من القدماء و ذلك صحيح لجرم الماء و مقداره أعظم من جرم الأرض و أكثر كمية على ما تبينوه. و قد نقل عن بعض المؤرخين أن أحد ملوك الأرض أراد أن يعلم صحة ذلك فأنشأ سفنا ضخمة حصينة و شحنها بالرجال و الأزواد و الماء العذب و المال و أرسلها نحو المشرق و المغرب و الشمال و الجنوب، فأصابوا جميع أجزاء الأرض، يتصل بعضها ببعض، و وجدوها كلها تتشعب من البحر المحيط.

و أعلم أن الأرض كرية الشكل[2]، و الحكمة فى ذلك أنها لو كانت مسطوحة كلها لا غور بها و لا نشز يحزقها لم يكن نبات و كانت مياه البحر سائلة على وجهها فلم يكن للزرع موضع و لم يكن لها غدران[3] يفضى مياه السيول إليها و لا كانت لها عيون تنبع بالماء أبدا لأن مياه العيون لو كانت فيها تخرج دائما لفنيت و لصار الماء أبدا غالبا على الأرض فكان يهلك الحيوان و لا يكون زرع و لا نبات، فجعل عز و جل منها أنجادا و منها أغوارا و منها أنشازا و منها مستوية. أما أنشازها فنها الجبال

(١) فى بن: الجوهرى.

(٢) فى هامش بر: الأرض كرية الشكل و حكمة ذلك.

(٣) فى بن [١١٧: الف]: غدرات.

الشامخة و منافعها الظاهرة[1] فى قوة تحدّر السيول منها فتنتهى[2] إلى الأرض البعيدة بقوة جريانها [١٧١ : ب] و لتقبل الثلوج فتحفظها إلى أن تنقطع مياه الأمطار و تذيبها الشموس[3] فيقوم ما يتحلب منها مقام الأمطار ، و لتكون الآكام و الجبال جراهر للمياه لتجرى[4] من تحتها و من شعوبها و أوديتها فتكون منها العيون الغزيرة ليعتصم بها الحيوان و تتخذها مأوى و سكنى ، و لتكون مقاطع و معاقل و حواجز بين الأرضين من غلبة مياه الأمطار عليها ــ فسبحان المدبر الحكيم!

[الجواهر الأربعة و الأغذية]

و اعلم أن الأرض من أربعة جواهر[5] : من الرمل و الطين و السبخ و الأملاح ، و جوفها أطباق يتحرق فيه الهواء و يجول فيها ، لأن الماء جسم سيّال حول الأرض ، و الهواء جسم لطيف سريع الحركة فى الجهات ، فما تمكن فيها الهواء كان عذبا شروبا ، و ما امتنع الهواء من التمكن فيه و غلبت عليه أملاح الأرض و سبخها[6] صار ملحا أجاجا.

(١) فى بن : ظاهرة .
(٢) فى الأصل : فينتهى .
(٣) فى بن : الشمس .
(٤) فى بن : ولتجرى .
(٥) فى الهامش : الأرض من اربعة جواهر .
(٦) فى بن : و سبخا .

فالجزر ارتفعت عن الأرض ، و مياه العيون فى الأرضين كالعروق فى البـدن تتفجر فيها . و الهواء[1] عنصر لأبداننا و أرواحنا و محيط بنا فهو شديد التأثير فينا ، فيجب تعديله فى حره و برده ، و يحترس من استنشاق[2] ما يخالطه من شوائب رديئة[3] كالدخان و الغبار و آسن الماء و نتن الجيف و أبخرة المباقل الرديئة[4] و الأشجار الخبيثة و شر تغيرات الهواء و الوباء[5] ، و هو تعفن جوهر[6] الهواء ، فتعفن الأرواح التى فى القلب ، ثم الأخلاط بتوسّطها ، و تدبـيره أن يستفرغ البدن إن أحس بامتلاء بحسب ذلك الامتلاء ، ثم يعدل المزاج بماء الرمان الممزوج بالسكر أو شراب السكنجبين الساذج أو الحامض أو الرمانين ، و يهجر الجماع ، و يفرش مسكنه بالآس و يرش بالخل ، و يوقد فيها خشب الطرفاء ، و يبخر بالصندل[7] و الكافور و العود و اللبان و الورد و الميعة ، و يقتصر على الأغذية اللطيفة المعتدلة المزاج كالفراريج زيرباجه أو بماء الرمان المزّ أو بماء الليمون أو الحماض أو الحصرم ، و يهجر الفواكه خلا السفرجل ، و يطرح فى المشروب الطين الأرمنى ، أو يمزج بيسير خل ، و يقلل الشرب ما أمكن ،

---

(١) فى الهامش : مطلب يتعلق بأيام الوباء والطاعون و يطلب من الاستعمال .

(٢) فى بن : الاستنشاق .

(٣) فى الأصلين : ردية .

(٤) فى الأصلين : الردية .

(٥) فى هامش بر : الوباء .

(٦) فى بن : جواهر .

(٧) فى هامش بر : مطلب ما يستعمل فى زمن الوباء والطاعون على رأى الحكماء .

و يتناول فى بعض الأوقات هذا الدواء و صفته : صبر سقطرى جزءان ، و زعفران جزء ، مرّ صافى جزء ، يؤخذ من جملته نصف مثقال بماء ورد .

و ينبغى[١] الاقتصار على الأغذية المعتدلة أو ما قاربها مثل خبز الحنطة المحكم الصنعة و لحوم الحَوْلى من الضأن و الدجاج و الاوز[٢] و الحجل و الدراج و فراخ الحمام النواهض و صفرة البيض نيمرشت و الزبد الطرى و السمن الحلو و الفواكه فى أوقاتها ، و لا يتعرض للأغذية التى هى[٣] [بن ١١٧ : ١] بالأدوية أشبه إلا لضرورة و ذلك مثل الخردل و الشراب و القديد و السماق ، [بن ١١٧ : ب] و يحذر ما استعد للعفونة كالصبر و الصحنا[٤] و ما يحرق الدم عكره كالتمر إلا فى بلاده و الشواء المغموم

(١) فى هامش الأصل (بر) : أشياء تحفظ من المآكل .

(٢) فى بن : و الأرز .

(٣) تقع هنا فجوة كبيرة فى بر و هى واردة فى بن من١١٧: الف إلى ١٢٤:الف . و ربما كان إسقاطها معنيا من ناسخ بر نظرا لما يتخللها من الصعوبات و ما يعتورها أحيانا من الخبل فى اللفظ و المعنى . و لكننا آثرنا إدماجها فى النص المنشور على علاتها لكثرة ما بها من معلومات متفرقة لا تخلو من الفائدة . و يلوح من الأخطاء اللغوية و غيرها أن ناسخ بن لم يكن من العلم بمكانة مرموقة ، و قد حاولنا بقدر الاستطاعة أن نجعل نصه مفهوما مستساغا بدون مس ما فيه من أخلاط . و من المؤسف أن هذا القسم من النص غير وارد فى مخطوطات أخرى كان من الممكن أن تساعد فى تحقيق ما جاء به من الملابسات عن طريق المقارنة .

(٤) كذا فى الأصل ، و الكلمة غير منقوطة ، و أغلب الظن أنها « الصحناة » و يقصد بها « السردين » على ما جاء فى معجم Hans wehr و قاموس سركيس .

و الألطف على الأغلظ[1] فيقدم البقول المسلوقة على البيض و البيض على اللحم من الطير و الطير على لحم ذوات الأربع ، و لا يدخل طعاما على طعام ، و لا يأكل بغير شهوة ، و لا يدافـــع الشهوة الصادقة ، و لا يتحرك بعد الغذاء إلا يسيرا قدر ما يحدوه لا ما ينفده لجا [كذا] ، و تكثير الألوان محير للطبيعـــة ، و اللذائذ أحمد لولا الإكثار منها[2] ، و ملازمته النفد يسقط القوة و يكسل ، و الحامض يخفف و يسرع الهرم و يضر العصب ، و الحلو يرضى المعدة و يحمى الأبدان ، و النفد و الرسم المالح أو الحريف بالضد ، و ملازمة الحمية ينهك القوة بل هى فى الصحة كالتخليط فى المرض ، و ينبغى أن تنوع الأطعمة بحسب الفصول فيؤكل فى الربيع الاسفيدباجات[3] و المعرقات و الفايرية و الفقاعية و نحوهما ، و يؤخذ فى الصيف اللبنية و المضيرة و الملوخيـــة و البامية و التفاحية و المشمشية و السفرجلية و السماقيـــة و الحصرمية و التوتية و الحماضية و الليمونية ، و تقدم الفاكهة الملونة على الطعام كالعنب و التين و البرقوق و الكمثرى و السفرجل إلا لمن به زلق معدة ، و أما البطيخ فلا يؤخذ مع غذاء آخر فيفسده ، و يؤكل الجوادب الدسمة و شوربا القمح و الاوز

(١) فى الأصل بدون نقط « الأغلظ » .

(٢) فى الأصل : منه .

(٣) فى حالة ورود ألفاظ غريبة مثل « الاسفيدباجات » و « الفايريـة » و غيرها مما لا نعرفه و لا ذكر له فى المعاجم السائرة آثرنا نسخ اللفظ كما جاء فى النص بالحرف الواحد آملين أن يتمكن العلماء و الدارسون من فك رموزها أو تصحيحها فيما بعد .

بحليب البقرة و الزبد بالسكر، و يؤكل فى الشتاء الهرائس و الرشتا الخمير و الأرز المفلفل و القلقاس و الجرز و اللفت و القلايا المبزرة و المطيب بالمزى المغربى و الشواء و الكبيب و لحوم الطير و الوحش حارة بالفعل، و يتناول اليسير من اللحوم المعتدلة، و يتنقل بالزبيب و الفستق و اللوز و البندق و نحوها . و أما المياه فأفضلها مياه الأنهار العذبة الشديدة الجرية على الأرض الجرد مستقبله الشرق أو الشمال ، و إنما ينبغى أن يشرب عند العطش الصادق قدر الرى من غير زيادة عليه من الخالص البارد ، فان الفاتر قليل الرى مغى شرخ المعدة ، و لا يشرب عقيب الطعام بل يتربص بعده المحرور نصف ساعة ......[1] ساعتين و ما دام الطعام فى المعدة فلا يشرب غير الماء ، و أما فى حلله فردى جدا إلا من اعتاده ، و يكره الشرب فى الحمام و عقيبه و عقيب الجماع و الحركة و من عطش بعد نومه لئلا يكشف قدميه و يعرضهما للنسيم البارد ، و يرخص فى الشرب على الصوم المحرور و المحروم فقط ، و الماء الصادق البرد يقوى المعدة و يجمعها على الطعام و يجزى القليل منه فى تسكين العطش اليسير و يمنع من تعفن الدم و أن تصعده البخارات إلى الرأس ، و يحفظ بالجملة الصحة غير أنه لا يصح لمن به [2]نزلة يحتاج[2] إلى نضج و لا لمن به زكام يكثر و لا لمن به ورم يحتاج إلى أن ينضج ، و الماء الحار ....[3] الهضم ....[3] الطعام فى أعالى المعدة و يبطىء تسكين العطش و يؤدى

(١) هنا جملة مطموسة فى الأصل .

(٢-٢) مطموسة جزئيا فى النص و لكن يمكن قراءتها على هذا النحو .

(٣) مطموسة بالأصل .

إلى الاستسقاوة و هو رديء فى حفظ الصحة، و الماء الملح يسهل البطن و يعقله من بعد و يولد الحكة و الجرب و يفسد الدم و المزاج، و المياه الردية تذبل الأجسام. و النوم راحة الأعضاء و القوى كلها و يعين على الهضم، و نوم الليل يكون بأى[1] ساعات و نوم النهار يبخر الفم و يفسد اللون و يلد الدهن، [بن ١١٨ : الف] و السهر يسىء الهضم و يحلل الأرواح و يضعف القوة لا سيما لمن اعتاده.

[جزر بحر الروم]

فلنذكر الآن بعض جزر البحر الرومى : جزيرة قبرس و هى تسمى بلغة الروم شيرا[2] و البحر يحيط بها ماتنا ميل و الميل أربعة آلاف ذراع و الذراع أربعة و عشرون أصبعا و الأصبع ست شعيرات مضموم بعضها إلى بعض، و الفرسخ بهذا الميل ثلاثة أميال. و جزيرة قبرس من الإقليم الرابع من جملة الأقاليم السبعة. و سلطانها يقال له باللغة الرومية [3]ارادا شيرا[3] تفسير ارادا سلطان و شيرا[4] الجزيرة، و قبرس مدينة الجزيرة المذكورة، و قيل إن قبرس تسمى الماغوصة[5] و عليها سور

(١) فى الأصل : بانى.

(٢) بالفرنسية Chypre .

(٣-٣) الغالب أن المقصود هنا Rey de Chypre .

(٤) فى الأصل : شيرا.

(٥) هى Famagusta إحدى موانى جزيرة قبرس على الساحل الجنوبى الشرقى المواجه للساحل المصرى.

محيط بها و يمنتها ملسلة تحفظ مراكبها . و قيل إن جزيرة قبرس مسيرتها سبعة أيام ، و بجزيرة قبرس من .... [١] منها رأس الباف [٢] و رأس المنجل و رأس الأبيض اللسون [٣] و الانيك [٤] و الملاحة و اكرمينية [٥] . و جزيرة قبرس بها جبال شاهقة ... [٦] و أعين ماء جارية . و بجزيرة قبرس مدينة يقال لها الأفقسية [٧] داخل سورها بساتين ، و صاحب قبرس نازل بها فى قلعته ، و بالجزيرة أيضا قلعة يقال لها الشريفية و هى سجن للفرنج . و بالجزيرة أيضا دير يقال له اللسون [٣] فى جبل وعر ، و قيل إن بجزيرة قبرس اثنا عشر الف ضيعة كبار و صغار ، و بمدنها و قراها من الكنائس و الديورة و القلال و الصوامع كثير ، و بها المعادن و البساتين المشتملة على الفواكه المختلفة الطعوم و الرياحين العطرة كالخزام و القيصوم و البهار و المنثور و الورد و الياسمين و الشوسان و النرس و النرجس و الريحان و الأقحوان و زهور شقائق النعمان الكثير . و جزيرة قبرس غربى بلاد الشام فى البحر مخلصة وحدها و لها ذنب مستطيل نحو الساحل مما يلى دمشق و غربها أعرضها ، و بمدنها الأسواق

(١) بياض بالأصل .

(٢) على مقربة من مدينة Paphos الواقعة على الساحل الغربى للجزيرة .

(٣) ميناء Limassol أو Lemesos و عرفت قديما باسم Neapolis .

(٤) و لعلها مدينة Aliki المعروفة باسم Larnaka على الساحل الجنوبى الشرقى للجزيرة .

(٥) و لعلها Kyrenia مدينة على الساحل الشمالى للجزيرة .

(٦) بياض الأصل .

(٧) عاصمة الجزيرة Nicosia و تعرف أيضا فى اليونانية باسم Lefkosia .

و الخانات و الحوانيت و الحانات و الدور العالية و الحمامات تدخلها العلوج و الدامات[1] .

[الحمام: منافعها ومضارها]

و قد تقدم فى هذا الكتاب الوعد بذكر الحمام[2] : منافعها و مضارها . فلنذكر الآن ما تيسر ذكره منها . إعلم أن خير الحمامات ما قدم بناؤه و اتسع هواؤه و عذب ماؤه ، فالبيت الأول مبرّد مرطّب ، و الثانى مسخّن مجفّف ، و نعم البيت الحمام ينعم البدن و يذكر الآخرة ، و بئس البيت الحمام يقل الحيا و يبدى العورة . قال ابن ابى زيد و لا يقرا فى الحمامات الا بالآثات اليسيرة ، و قال القاضى عبد الوهاب لأن الحمام لا يُدخل الا للضرورة ، و قد قيل انها من بيوت الشياطين و القراة قربة (كذا) و فعل خير من افضل الطاعات فيجب أن تكون القراة فى أشرف المواضع ، و ما قاله ابن ابى زيد هو حير ، و لا يدخل الحمام إلا بمئزر لأنه يعترض عليه ستر عورته عن (النا) س٢ ، و متى دخل ذلك مختارا كان فاسقا لم تقبل شهادته ، و أما دخول الحمام مستترا مع من لا يستتر فلا يجوز و لا يحل فان ستر العورة فرض ، و النساء فى هذا بمنزلة الرجال ، و لا تدخله المرأة إلا عن علّة ، و ان المرأة ليست كالرجل لأن جميع بدنها عورة لا يجوز لها إظهاره لا للرجال و لا للنساء . قال سحنون : لا تدخل المرأة الحمام حتى تستر جميع بدنها . و اعلم أن الحمام لها منافع

(١) واضح أن الكلمة مأخوذة عن اللفظة الفرنجية (Dames) .

(٢) مطموسة جزئيا .

و مضار، أما منافعها فتوسع المسام و تستفز العضلات و تحلل الرياح ....[1]
بت [بن ١١٨ : ب] سهولته عن هيضه و تنظف الوسخ و العرق و تذهب الحكة و الجرب و الإعياء و التعب و ترطب البدن و تنضج النزلات و تخرج من الداء ما لا مبلغه الدواء، و من منافعها أيضا تليين اللحم و أعداد البدن للاغتذاء و بسط الأعضاء المشحطة و نش الرياح و انضاج الزكام و تسهيل البول العسر و جبر الطبيعة المتطببة . و قيل إن كل داء له دواء إلا الحماقة لا دواء لها . قال الشاعر:

لكل داء دواء يستطبّ به   إلا الحماقة أعيت من يداويها

و الحمق قلة التنبه لطريق الحق، و الجنون غم[2] عارض يعم العقل، و الوقاحة هو أن يرتكب الباطل و يراه فى صورة الحق و يدب عنه فيورثه ذلك قساوة القلب كما قال تعالى: "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة[3]" . و الرقيع الذى يلصق بقلبه كل محال كان، و الأرعن الذى يأتى بما يخرج عن الصواب - انتهى .

نعود، قال بعض الأطباء: بولة فى الحمام من قائم على قدميه أنفع من شرب دواء . و قال الشاعر فى معناه:

حمامكم هذه نزّاعة للهوى   البول فيها قائما أنفع من الدوا

---

(١) الجملة مطموسة بالترميم و لا يظهر منها غير الحرفين الأخيرين .
(٢) الغين فى الأصل غير منقوطة .
(٣) قرآن كريم: ٢ : ٧٤ .

و قال بعض الأطباء: عليك بدخول الحمام فى كل يوم فانه يخرج من الأطباق ما لا تصل إليه الأدوية . و نهى عن الصلاة فى الحمام حيث لا نوقن منه بطهارة و ذلك للنهى الوارد منه صلى الله عليه و سلم عن الصلاة فى الحمام لأنها تحل غسل النجاسات و لأنها مأوى الشياطين لما تكشف فيها من العورات او لأنه ليس من الأبنية المختصة بالصلاة ، و إنما الغرض به إزالة النجاسات والأوساخ فكرهت الصلاة فيه . و قد ورد عنه عليه السلام أنه قال: الأرض كلها مسجد إلا الحمام و المقبرة ، فان أمن النجاسة جازت الصلاة فيه . و يكره مع تيقن الطهارة الخبر و التعليل فانه مأوى الشياطين ، وتكره الصلاة فى المزبلة ومقابر المشركين وكنائسهم ، فأما المزبلة فخشية النجاسة ، وأما المقبرة فان كانت للمشركين كرهت الصلاة فيها لتعذيبهم فيها و نزول السخط عليهم فى قبورهم فكره المقام فيها أصلا فضلا عن الصلاة ، و أما مقابر المسلمين فان كانت لا تنبش جازت الصلاة ، و إن تحقق النبش لم تجز الصلاة لأن ذلك التراب مختلط بعظام الميت و صديده الا أن تجعل بينه و بينها حائل من حصير و نحوه فالصلاة اذن جائزة ، و أما الصلاة فى الكنائس فمكروهة لعلل منها النجاسة لتعذيبهم بشرب الخمر (و أكل الخنز)[1]ير فلا يؤمن ذلك فى كنائسهم ، و منها التماثيل و التصاوير ، فأما فى حال الضرورة فالجواز – انتهى .

[ذكر الاغذية]

نعود إلى ذكر ما قيل فى الأكل و غيره ، إياك أن تأكل طعاما

(١) مطموسة جزئيا .

و فى

و فى معدتك طعام ، و اياك أن تأكل ما تعجز أسنانك عن مضغه فتعجز معدتك عن هضمه ، و عليك فى كل أسبوع بقيئة . قال ابن سينا : و فى كل أسبوع عليك بقيئة ففيها أمان من شرور البلاغم . وإذا تغذى أحدكم فلينم على أثر غذاه ، و إذا تعشى فليمش أربعين خطوة ، و كل ما اكل كثيرا تفسد معدته و يلحقه الريح و يصفرّ وجهه ، و كل من جامع كثيرا ضعف كلامه و نشفت معدته و أظلم بصره ، و من تعود العشاء ......[1]سترحب ....[1] و الدار فلفل و الدار صينى و الزنجبيل .و مما يفسد العقل[2] البصل و الباقلا و الزيتون و الباذنجان و الجماع الكثير و الوحدة و الفكر و الشكر و الضحك الكثير و بقل الطين (كذا) و الأكل على البطنيـة (كذا) و الشرب على الخوا . و من دلك جسمه بقشور الرمان فى الحمام أمن الحكة و الجرب . و أما مضار الحمام فانها ترخى الجسد وتضعف و أعظم مضارها صب ماء الحار على.....[3] (الضـ) عيفة ؟ وقد تستعمل الحمام على قرب عهد بالشبع فتسمن البدن إلا أنها تحدث سددا[4] ، [بن ۱۱۹ : الف] و أجود ما استعملت الحمام على قرب عهد بالشبع بعد الهضم فانه يرطب البدن و يحسن اللون . و من مضار الحمام تسهيل صب الفضول الى الأعضاء الضعيفة و هو من أعظم مضاره ، و إرخاء الجسد و اضعاف الحرارة الغريزية و الأعضاء العصبية بتحليل الروح النفسانى عنها و إرخاء جميعا (كذا)

(۱) بقية الكلمة مطموس . و بهامشه: مطلب فيما يفسد العقل .

(۲) فى الهامش : مطلب فيما يفسد العقل .

(۳) مطموسة بالترميم و لعلها « الأعضاء » .

(٤) جائز قراءة الكلمة « ومددا » و فيها غموض على كل حال .

و إسقاط شهوة الطعـام و إضعاف المياه و النوم ، و السواك فى الحمام مضر ، و السواك فى غيره يذهب الحفرة و يجلو البصر و يشد اللثّة و يطيّب الفم و ينقى البلغم و يفرح الملائكة و يرضى الرب و يوافق السنّة و يزيد فى حسنات الصلاة و يصحّ الجسم و يزيـد فى الحفظ و ينبت الشعر و يصفى اللون . و ينبغى أن يستاك بالأراك و أن يكون السواك متوسطا بين اللين و الخشونة و يستاك عرضا فان الشيطان يستاك طولا إلا فى اللسان فالسواك فيه طولا . و ينبغى أن يبدأ من الجانب الأيمن من الفم و تجعل الخنصر من يمينك أسفل السواك و البنصر و الوسطى و السبابة فوقه ، و لا يقبض القبضة على السواك فان ذلك يوفر البواسير . و ابلع من ريقك شيئا أول ما تستاك فانـه ينفع من الجذام و البرص و من كل داء و لا تبلـع بعد ذلك شيئا فان ذلك يورث العمى ، و لا ينفع السواك إذا وضعته عرضا و أنضيته نضيا ، فانه يروى عن سعيد بن جبير أنه قال : من وضع سواكه الأرض فجن من ذلك فلا يلومن إلا نفسه - انتهى .

[عود إلى الحمام]

نعود الى ما قيل فى الحمام . اعلم أنه ليس فى أحوال الدنيا ما يدل على الآخرة بل على الله تعالى و على قدر الإنسان مثل الحمام . يقول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما دخل الحمام بالشام : نِعْمَ البيت بيت الحمام يُنعم البدن و يُزيل الدرن و يُذكّر الآخرة . و من هذا آثاره فى العيد لا يكون له استعماله فانـه نعم الصاحب و به سمى لأن الحمام

من الحميم و الحميم الصاحب الشفوق . قال الله تعالى " فما لنا من شافعين و لا صديق حميم[1] " أى مشفق ، و سمى حميما لحرارته ، و استعمل فيه الماء لما فيه من الرطوبة ، فالحمام حار وطب طبع الحياة و بــه ينعم البدن ، و بالماء يزول الدرن ، و يطيب عيش الانسان . قال الشاعر :

إن عيش الحمام أطيب عيش غير أن المقام فيه قليل
جنــة تكره الاقامة فيها و جحيم يلذ فيها المقــيل

و لبعضهم فيها :

أن حامنا الذى نحن فيها بنيت من عقائد الافــكار
[2]........ عاليات قبابها طالعات نجومها بالنهار
فعجبنا منها و نحن جلوس فوق نار من تحتنا الماء جارى

و لبعضهم فيها :

ارى الحمام موعظة و ذكرى لكل فتى أريب [3]ذى ذكاء[3]
تذكرنا عذاب ذوى المعاصى و أحيانا نعــيم الأتقياء
شقا هجر يشوب نعيم وصل و برد المــاء فى حــر الهواء
اذا ارضه التهبت بنـــار تبادر سمـــكه هطلا بماء
كصدر الصب جاش بما يلاقى فلج الطرف منه بالبــكاء

(١) قرآن كريم ٢٦ : ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) آخر البيت السابق و أول هذا البيت مطموس .

(٣-٣) فى الأصل : ذو ذكار . و هو خطأ لفظى واضح من السياق و القافية .

و لبعضهم فى الجلوس فى الحمام:

و مجلس اخوان اذا ما تجمعوا   تشابــــه وغـده و رئيسه
يفرّج كربى أن تراه بكربـه   و يؤنسنى إن قل فيه أنيسه
و مهما أعرت الجوطرفى تبادرت   الىّ بـــه أقاره[1] و شموسه

و جاء بعضهم حماما حارا فقال:

و حـمام دخلنــــاهـا لأمر   حكت سقرا و فيها المجرمونا
فيصطرخوا يقولون أخرجونا   فـان عـدنـا فانـا ظالمونـا

و هجا بعضهم بلانا كثيفا فقال:

أشكو الى الله بلانا بليت به   مست أنامله ظهرى فأدمانى
فلا يدلك تدليكا بمعرفـــة   و لا يسرح تسريحا باحسان

و مما قيل على لسان حال المشط: [بن ١١٩: ب]

أنـا للشعر صيـقـل   و بى الرأس يجمـل
عرف النـاس قيمتى   فعلى الرأس أحمـل

و قيل إن صبّ الماء البارد على الرجلين بعد الخروج من الحمام يستخرج الداء من الجسد. و قيل إن فعل ذلك مضر، و الله تعالى أعلم. و ما وقع للامام مالك رحمه الله تعالى من تفضيل الماء البارد على المسخن لكونه يشد الأعضاء و ينشط النفس انما هو فى البلاد الحارة و إقليم الحجاز و كذلك المشمس انما يكرهه بعضهم لما يخشى من البرص و البهق لا من جهة الشرع. و تجرد الرجل للحمام من لبـاسه و بقائه عريانـا

(١) فى الأصل: أقمار.

لا

لا شيء فى بدنه من جميع ما يملكه و يذكر الآخرة و الموت و قيام الناس من قبورهم عراة حفاة لا يملكون شيئا . فدخول الحمام أدل على الآخرة من الموت ، فان الميت لا ينقلب من قبره حتى يكتسى ، و داخل الحمام لا يدخل حتى يتعرا و التجريد أذل . ثم من دعاء النبي صلى الله عليه و سلم: اللهم نقنى من الخطايا كما تنقى الثوب الأبيض من الدنس .

قال بعضهم فى تنزيه الشيب عن الفواحش :

نزه مشيبك عن عيب تدنسه ان البياض قليل الحمل للدنس
ترجو النجاة و لم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليبس

و قال أبو العتاهية :

و كن مستعدا لريب الزمان فان الذى هو آت قريب
و قبلك داوى المريض الطبيب فعاش المريض و مات الطبيب
يخاف على نفسه من يموت فكيف ترى حال من لا يموت

و تنقية البدن من الدرن و الوسخ من أخص صفات الحمام و لاجله عمل و اعتبار الحمام بأحوال الآخرة لحاله يوجب عظيم الفائدة و ما يعقلها الا العلماء بالله تعالى . و حكم الغسل يحفظ القوى عما ينال الجسوم من الضرر لسد المسام و انعكاس الأبخرة لها المؤثرة فيها و ان الطهارة و النظافة للشارع ، و نهى عن الصلاة فى الحمام لما فيها من شدة الحرارة التى ربما زادت على حر الهاجرة ، و أما الحمامى و حارس الحمام فقال ابن رشد فيهما تفصيل و ذلك إذا استأجر مكترى الحمام الحارس لحفظ الثياب للداخلين بأجرة فى ذمته فلا اختلاف فى عدم ضمان الحمامى

لأنه مكترى الحمام لاحراس الثيـاب الا أن يفرط الحمامى و أما ان كان الحارس يحرس الثياب بجعل يأخـذه من كل أحد من الداخلين فقال مالك لا ......[1] مى . قال سحنون فيمن أودع وديعة فصرّها فى كمه مع نفقته ثم دخل الحمام فضاعت ثيابه بما فيها أنه ضامن لرب الوديعة ما أودعه . قال بعض الشيوخ: إنما ضمنه لدخوله بهـا الحمام - انتهى .

[عود إلى جزر بحر الروم]

نعود إلى ذكر الجزر . جزيرة رودس هى مقابلة الإسكندرية و هى أول بلاد إفرنجة و فيها خلق من الروم و كان فيما تقدم قبل السبعمائة و بعد الثلاثمائة تطرف مراكبهم بلاد الإسكندرية و غيرها من بلاد مصر فتغير هى و تأسر و تسبى . و اسم جزيرة رودس بلغة الفرنج روضو .....[1] عمل افرنجة جبل معروف بجبل النار و فيه بركان يرمى بنار كبريتى مثل الذى على (مدينة[2]) صقلية و سيأتى ذكره فى أخبار صقلية إن شاء الله تعالى . و بين جبل النار و مدينة بايل[3] (!) اثنى عشر ميلا و فيها مرسى لطيفة و منها إلى دير يعرف بدير المستطير[4] (!) و منه إلى مدينة تسمى المقلوب و ليس بها إلا باب واحد ، و منها إلى جزيرة الطواويس و منها إلى جزيرة شكل فيها مزارع الروم و مراعى لمواشيهم و منها إلى وادى

(١) مطموس فى الأصل .

(٢) الكلمة مطموسة جزئيا و لكنها قائمة فى السياق .

(٣) كذا فى الأصل ، ولم نستطع العثور عليها بكتب الجغرافية والأطالس .

(٤) كذا فى الأصل ، و لعل الكلمة « المنسطير » اشتقاقا من Monastere.

قنوة و منه الى مدينة عظيمة على قرطيل يدور بها البحر لها باب واحد و منها إلى [بن ١٢٠ : الف] جبل يقال له جرجينه و كانت تحته مدينة هلكت و بقى أثرها و بحذاء هذا الجبل جزيرتان يقال لأحدهما يونسه و الأخرى مونسه لهـا مين مراسى تحمل الاسطول بأسره و بين هذين الجزيرتين و بين جبلين جزيرة جرجينه ، و منها إلى جزيرة اشطوره إلى ملجا اللواحات[1] و هى مرسى مكن[2] فى الصيف و منها بحر[3] رومة .

[وصف مدينة رومة]

و رومة مدينة كبيرة دور سورها اربعة و عشرون ميلا و هو كله مبنى بالآجر الفرهى و بين كل برج من أبراجها التى بسورها رمية حجر، و النهر يشق وسط المدينة و فيهـا قناطر مبنية فى طرف منها كنيسة تسمى سنتبوله[4] و هى عظيمة البناء بينها و بين المدينة ميل و نصف ميل و هى من الجانب الشرقى من النهر ، و فى الجانب الغربى من الوادى كنيسة كبيرة أيضا يقال لها سنتباتره[5] ، و سنت اسم الكنيسة و باتره اسم صاحبها

---

(١) أسماء الجزائر و الأماكن و المدن فى هذه العبارة يحيطها الغموض و تحتاج الى بحوث طائلة لتحقيقها لعدم ورودها كذلك فى غالب الكتب المعروفة ، و قد اكتفينا بـذكرها كما هى فى النص الأصلى حتى تكون تحت تصرف العلمـاء و الجغرافيين فى بحوث أخرى مستقلة . على كل حال المذكور منها فى جغرافية الإدريسى (طبعة هو نرباخ) اشطوره (ج ٢ ص ١١٩) .

(٢) كذا فى الأصل ، و أغلب الظن فى قراءتها : « مكين » .

(٣) فى الأصل : بهر . و هو خطأ لفظى واضح .

(٤) أى كنيسة القديس بولس Saint Paul.

(٥) أى كنيسة القديس بطرس Saint Peter .

الدى عمرها، و بوله اسم صاحب الكنيسة الشرقية، و باتّره هو الذى بنيت الكنيسة الغربية على اسمه و هو من أكبر حوارى عيسى عليه السلام، و هى فى طرف سماط طوله ثلاثة أميال و فى عرضه يمشى اثنا[1] عشر فارسا فى عنان واحد و هو سماط مسقف الأعلى بالخشب الحسن القوى الطويل نظير الموائد التى تأتى من جبل النار بل أخفى منها، و فى الجانبين من هذا السماط حوانيت فيها الباعة متصل إلى آخره، ثم تدخل منه إلى سماط الكنيسة وهو سماط مكشوف طوله أربعمائة ذراع و عشرون ذراعا فاذا مشى الماشى إلى الكنيسة قابلته ادراج الكنيسة و هى اثنتا[2] عشرة درجة مفروشة بالرخام بعرض السماط فاذا وقفت على آخرها درجة استقبلت سطحها مفروشا بالرخام فى عرض السماط و فى عرض سطحها أربعون ذراعا تقابله أبواب الكيسة و هى أربعة أبواب مقسومة فى عرض الكنيسة مسقفة بجملونات بالأخشاب المدهونة المفروش ألواح الرصاص المانعة عنها الأمطار، و أرض الكنيسة مفروشة بالرخام و فيها أعمدة كثيرة عظيمة، و عن يمين الداخل من آخر باب من أبواب الديور حوض رخام عظيم يعمد فيه الأطفال الذين يغطسونهم فى ماء المعمودية، و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب صفة المعمود(ية[3]) إن شاء الله تعالى. و فى ذلك الحوض الرخام ماء جار[4] أبدا و ربما فاض فغسل الكنيسة

(١) فى الأصل : اثنى .

(٢) فى الأصل : اثنى .

(٣) مطموسة فى الأصل . (٤) فى الأصل : جارى .

لأنها عارية من الفرش ، و إما فرشها رخام و عليه جلوس الروم ، و يكون طول هذه الكنيسة ستمائة ذراع فى مثلها ، و فى آخرها كرسى من ذهب مرصع بالجواهر يجلس عليه أعيان الفرنج ، و تحت الكرسى باب مصفح فيفتح هذا الباب فيدخل منه إلى أبواب أربعة واحد بعد واحد إلى أن يفضى إلى سرداب مضى فيه دوامس و فيه الحوارى الذى يسمى باتره[1] مدفون ، و الحوارى الثانى بولس مدفون فى الكنيسة الأخرى الشرقية، و بحذاء باتره حوض رخام كبير فيه الفرش الرفيعة الثمن التى تـ[2].... الكنيسة بأيام عيدهم خارج عنها عمود رخام مثل المسلة التى بكنيسة الروم على أربعة قراطيل من نحاس معلقة على الأرض مقدار ما يجوز الانسان من تحتها على يديه و رجليه و هى مربعة من كل وجه و وجوهها اثنا[3] عشر ذراعا فى كل وجه منها للسلة ثلاثة أذرع و كل ما صعدت المسلة فى الهواء ، دقت و انسلت و لا يطيق أحد الصعود [بن ١٢٠ : ب] إليها لملاستها ، و على رأسها عمود نحاس منزل فى رأسها و على هـذا العمود النحاس مثل بطيخة مدوّرة مذهبة فى دورها قدر قامتين و فى علوها قدر قامة لها بريق لكثرة ذهبها ، و إذا قصدوا إلى الكنيسة ظهرت لهم تلك البطيخة الذهب من مسيرة اثنى[4] عشر ميلا. و هذه الكنيسة الغربية و الكنيسة الشرقية تفرشان[5] فى أعياد[6] النصارى

(١) أى القديس بطرس Saint Peter .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) فى الأصل : اثنى .

(٤) فى الأصل : اثنا .

(٥) فى الأصل : تفرشا . (٦) فى الاصل : الاعياد ، ولا يستقيم بها السياق .

بفرش الحرير الديباج الملون يمشى عليه الرجال و النسوان فى تلك الأعياد .

[مدينة قرقشونة]

و بالأندلس مدينة تسمى قرقشونة[١] بها كنيسة معظمة عند النصارى تسمى سنتمريه[٢] فيها سبع سوارى من فضة و أحدها سارية و لها يوم فى العام تَرده النصارى من كل الآفاق الرجال و النساء .

[قصة خرقة[٣] بنت النعمان]

وكذلك كانت خرقة بنت النعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة من أرض العراق تزور كنيستها و كانت إذا[٤] خرجت لزيارتها خرج معها مائة جارية يفرشنها الديباج تمشى عليها إليها و يسترنها بمطارف الخز و غيره من الحرير . و قال ابن الجوزى : كانت خرقة إذا خرجت إلى بيعتها يخرج معها ألف وصيفة و وصيف و ينزلها فى طريقها الف قطيفة ديباج تمشى عليها فلم تزل كذلك فى عز أبيها إلى أن انقضت مملكته بانقاض الممالك ببعثة رسول الله صلى الله عليه و سلم . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر الممالك المنقضة ببعثه صلى الله عليه و سلم ، فصارت خرقة المذكورة بعد العز الكبير إلى العيش الحقير ، و صارت بعد المشى على شقاق الحرير ، ماشية على الثرى بنعل من جلد البعير ، قد ترهّبت

(١) مكانها اليوم فى جنوب غرب فرنسا وهى Carcassonne .
(٢) أى كنيسة القديسة مريم Santa Maria .
(٣) وهى معروفة باسم حرقاء فى كتب الأدب . (انظر حاشية رقم ٤ ص ١١٥) .
(٤) الكلمة مكررة بالأصل .

و لبست المسوح السود وتوشحت بصلبان الخشب بعد توشحها بصلبان الجوهر فى المراسل و العقود .

[الحرير و أسماؤه و أنواعه]

و اذ قد ذكر الحرير فلنذكر ما قيل فيه و فى أسمائه و أنواعه فمن الحرير الخز و الابريسم و الديباج و السقلاطون و العتابى و المصمط[1] ، فالخز يستدل على جودته بقوة سداه و بلبسه على صفاقة نسجه و ثقل وزنه و ارادة الضعيف السُدا و الخفيف الوزن الرخو النسيج الكمد اللون الردىء الحرير . و قد اختلف فى لباس الخز فاجيز و كره و وجه الكراهة أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : يكون فى أمتى قوم يستحلون لباس الخز و الحرير . و وجه الكراهة الخز لنفسه لأن فيه ......[2] الحرير و وجه الجواز أن عائشة رضى الله تعالى عنها كست عبد الله ابن الزبير و هو ابن اختها أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم . و الخز ما سداه حرير و قيامه كتان ، و أما العلم فى الثوب فلا بأس به لأنه يسير لا حكم له و اختلف فى مقداره قيل قدر الاصبع و الاصبعين و قيل الأربعة أصابع ، و الابريسم أجوده النقى الحسن اللون السالم من الاحلاف و الاوساخ الملتبسة لبعض خيوطه فان تكن

---

(١) فى الأصل : و المغمط . و هو خطأ قلمى لكلمة «المصمط» أى «المصمت» و هو ذواللون الواحد .

(٢) مطموسة بالأصل .

خيوطه[1] شكلا واحدا[1] ليس فيها بعض غليظ و بعض دقيق و لامُعَدّده و تعرف جودته ..... [2] سل وزنه ..... ٢٠ رأيت [3]اللحمة اذا رزتها ثقيلة فهو أفضل[3] . و الديباج أجناس فنه ما يحتاج إليه ا(لنا) س[4] للتعليق و الفرش و أفضله ما حسن صبغه و انتظمت نقوشه و دق حريره و صفق نسجه و أشراق لونه و ثقل وزنه و سلم من النار فى خيدرته : و يعمل من اكحل الديباج كسوة للكعبة المشرفة بدار الطراز بالقاهرة فى كل سنة ، و السفلاطون و العتابى و المصمط أفضلها و أحسنها ما عمل [بن ١٢١ : الف] بالجف و لم يعمل بالمشط و كان فى جودة الحرير و الأصباغ ، و أغراض الناس تختلف فى الطرز و الرقوم و هم مجتمعون على ما كان أدق مسلكا و أصفق نسجا و أنقى بياضا و أحسن صبغا و أحمر ذهبا ، و الحرير الشعر منه الملهى[5] و الطبسى و الخوارزمى و الخطاى و النسا و الجبلى و الحموى و الصينى و الداخلى و الكنجى و السكحى و الكحافى ، و ينسج من الحرير بالإسكندرية أقمشة مختلفة تحمل إلى العراق و إلى غيره من البلاد — انتهى .

[تكملة قصة خرقه بنت النعمان]

نعود الى ذكر بقية خبر خرقة بنت النعمان بن المنذر ، و ذلك أنه

(١-١) فى الأصل : شكل واحد .
(٢) مطموسة بالأصل .
(٣-٣) كذا فى الأصل ، و الجملة غامضة .
(٤) مطموسة جزئيا فى الأصل .
(٥) كذا فى الأصل . و يجوز قراءة الكلمة « اللحى » و كلاهما غامض .

لما انقضت الممالك الآتى ذكرها يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، انقضت مملكة الحيرة بعد موت النعمان بن المنذر ابن ماء السماء[1]، فأتت خرقة إلى سعد بن أبى وقاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتحه لمدائن كسرى وعليها المسوح ومقطعات السود وقد ترهبت، فاستأذنت على سعد فأذن لها فدخلت متضائلة مكسورة فى نفسها، فقال لها سعد : أنت خرقة بنت النعمان، قالت : نعم ! وكرر عليها القول فقالت : ومايعجبك من امرى يا سعد ! ان لم يكن أهل بيت تخبره إلا والدهر يعقبهم غيره حتى يأتى امر الله فيصيروا لمن بعدهم عبرة يا سعد ! كنا ملوك هذا المصر يجى الينا خراجه وتطيعنا اهله ايام المدة والدولة فلما حل القدر فأدبر الا وصاح بنا صائح الدهر ففرق شملنا وصدّع عصانا وسلبنا[2] ملكنا فلو رتعنا فى ايامنا لارعدت فرائصك فرقا منا وكذلك الدهر .... [3] قوما يحبوه إلا اعقبهم عبرة، ثم أنشات تقول :

[4]فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة ليس نعرف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

(١) فى الأصل : ما السما .
(٢) فى الأصل : و سبلنا .
(٣) فى هذه الفجوة كلمة ينقصها بعض النقط « امات » ويصعب استقامة المعنى بها والغالب أن فى العبارة سقوطا فى الأصل .
(٤) أخذنا البيتين هنا من ترجمة خرقاء بنت النعمان فى « كتاب الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور » لمؤلفته السيدة زينب بنت على بن حسين بن عبيد الله ... بن يوسف فواز العاملى السورية (طبعة بولاق م ١٣١٢ هـ ص ١٨٣) . وبالبيتين فى الأصل خبل لفظى واضح لا يستقيم معه الوزن أو المعنى .

و لكن اذا نابت العاقل نائبة لها حيلة فلا يعجز ، فان لم يكن لها حيلة فلا تجزع . قال الشاعر :

اما أجزع مما اتقى فاذا حل فما لى و الجزع

و كانت خرقة بنت النعمان قد صارت عجوزة كبيرة نحيفة البدن . و كان المغيرة بن شعبة بمجلس سعد جالسا فقال : يا خرقة انى أريد أتزوجك . فقالت : لا و الله لا أفعل ذلك . قال : و لم ؟ قالت : أنت أمير كبير و لست أفعك ....[١] بدنى و أنت ما[٢] تقصد بتزويجى إلا الفخر لتقف فى أندية العرب أهل الشرف و الحسب و تقول : تزوجت بنت النعمان بن المنذر ! فقال لها سعد : صدقت و الله يا خرقة فيما ذكرت . ثم أن سعدا أكرمها و أجزل لها العطاء و صرفها ، فلما أرادت الانصراف قالت : يا سعد لا ازال عزك[٣] و لا جعل لك الى اليوم[٤] حاجة و لا نزع عن عبد صالح نعمة الا و جعلك سببا لردها عليه . و قال أبو هاشم بن طغر فى كتابه سلوان المطاع إن خرقة بنت أبى قابوس النعمان بن المنذر استأذنت بالقادسية على سعد بن ابى وقاص فاذن لها .....[١] حواريها عليهن[٥] المسوح[٦] و مقطعات الثياب[٦] السود

(١) مطموسة بالأصل .

(٢) فى الأصل : مما .

(٣) فى الأصل : عنك ـ و تصحيحها بالهامش .

(٤) فى الأصل : ليم .

(٥) مطموسة جزئيا بالأصل .

(٦ - ٦) فى الأصل : مقطعا السلب ـ و هو خطأ قلمى واضح .

فرأى منظرا شنيعا و لم تتميز له خرقـــة من جواريها لمشاركتها اياهن[١] فى الزى و كن رواهبا فسلمت عليه فقال: أيتكنّ الخرقة . فقالت: ها أنا ذه . فقال: أنت الحرقة . قالت: نعم! فما تكرارك استفهامى أيها الأمير؟ إن الدنيا دار قلعـــة و زوال فما تدوم على حال، ينتقل أهلها انتقالا، و تعقبهم حالا لحالا، و إنما كنا ملوك هذا المصر يُجبى[٢] إلينا خراجــــه، و تطيعنا أهله مدّا المدة و زمان الدولة، فلما أدبر الأمر صاح ....[٣] فصدع عصانا [بن ١٢١ : ب] و شتّت ملأنا، و كذلك الدهر يا سعد انه ليس من قوم .....[٤] ...... فهم بعبرة، و لا أسعمهم بفرحة، الا أعقبهم بترحة . ثم أنشدت الأبيات المتقدم ذكرها . و بينما الخرقة تخاطب سعدا اذ دخل معدى كرب الزبيدى على سعد فنظر الى خرقة فقال لها: أنت خرقة التى كانت تفرش لك الأرض من قصرك الى بيعتك بالديباج المبطن بالوشى . قالت: نعم! قال: فما الذى دهاك[٥] و أذهب محمودات شملك[٦] و غيّر ينابيع نعمك، و قطع سطوات نقمك؟ فقالت: يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق[٧] السيـــد من الملوك بالعبد

١) مطموسة جزئيا بالأصل .
٢) فى الأصل : يجبا .
٣) الجملة مطموسة بالترميم .
٤) الجملة فى هـذه الفجوة بالأصل غير واضحة فى سياقها و بها نقص فى النقط الحروف يزيد من غموضها .
٥) فى الأصل : دهك .
٦) فى الأصل : شميك .
٧) فى الأصل : يلحق .

الملوك و تخفض[1] ذا الرفعة و تذل ذا المنعة ، هذا ما كنا ننتظره فلما حل لم ننكره . ثم ان سعدا سألها عما قصدته له فاستوصلته فأجزل صلتها و قضى حوائجها . و لما فصلت عنه سئلت ماذا لقيت منه؟ فأنشدت :

صان لى همتى و أكرم وجهى   انما يكرم الكريم الكريم

و سيأتى صفة ديرها الذى عمره لها أبوها النعمان فى حال حياته عند ذكر ديارات النصارى إن شاء الله تعالى . فانظر يا هذا إلى بنت ملك كانت فى القصور فى النعمة و الحبور، فصارت فى دير فقيرة بصلبان، و صار[2] أبوها فى قبر بين القبور ، فالعاقل من اقتنع بالقوت و صار منزله كبيت العنكبوت ، بزاوية البيت فسيق الحريص اليها و هو الذباب[3] فصار قوتا لها . انظر إلى عساكر الأموات مجتمعين فى عرصات الأجداث قبورهم و الله كخيام مضروبة ، و قباب منصوبة ، تحتها ملوك و أمراء ، و أغنياء و فقراء ، و الكل ينتظرون خروج العسكر فاذا ضرب بوق الرحيل ، و دقت كوسات التحويل ، و نفخ فى الصور إسرافيل ، فحينئذ يخرجون إلى العرض و النشور ، فأهل السعادة الى النعيم المقيم ، و أهل الشقاوة فى سعير الجحيم ، أعاذنا الله من النار ، و أسكننا بمنّه و كرمه دار القرار ، انه رحمان رحيم غفور و كريم .

[ذكر بعض مدن الفرنج]

نعود الى ما كنا فيه آنفا من ذكر مدن[4] الفرنج فمنها مدينة فسقاروا

(١) فى الأصل : و يخفض (٢) فى الأصل : صار .

(٣) فى الأصل : الزباب .

(٤) لم نحاول تحقيق عامة أسماء مدن الفرنج كما وردت هنا لاعتقادنا أن هذا =

و مدينة

و مدينة ركونه و مدينة صقالص و مدينة قيصره و مدينة صقطلوا و مدينة قطروف[1] و مدينة مُنيل و مدينة سماطرسله و مدينة برندنير و مدينة كوادين و مدينة دصيص و مدينة قوله و مدينة انصلّة و مدينة بنزروت و هى ...[2] قديمة و حذاء سورها نهر جارى يصاد فيه السمك و فيه غريبة و ذلك أن فى البرية بحيرة حلوة و هذا النهر مالح فتفرغ البحيرة الحلوة فى هذا النهر الملح ستة أشهر فلا يخلو[3] و يفرغ هذا النهر الملح فى البحيرة الحلوة ستة أشهر فلا تملح ، و فيه أيضا غريبة أخرى أنه يصاد فى هذا النهر السمك فيخرج فى كل شهر من السنة نوع من السمك لا يخالطه غيره ، و يصيدون أهل هذه المدينة السمك بالحالاب[4] و ذلك أنهم يأخذون الأنثى من السمك التى هى نوعه فى ذلك الشهر فتجعل فى فيها ستّارة مثل الحلقة و فيها خيط ....[1] يطلقها فى النهر فيجتمع حولها الذكور من السمك

= يحتاج الى دراسات و بحوث طويلة فى الجغرافية التاريخية من الزاوية العربية ، و لكننا أثبتنا فى النص ما جاء فى مخطوطة بانكى پور بلا تحريف أملا منا فى أن نكون بذلك قد وضعنا هذه المادة تحت تصرف العلماء و الجغرافيين لمواصلة درسها و تحقيقها من الناحية العلمية . و واضح من النص أن المدن المذكورة مبعثرة ما بين دول أوربا المحاذية لحوض البحر الأبيض المتوسط بما فيها ايطاليا و سلطنة الأتراك . و أغلب هذه المدن لم يرد فى كتب العرب ، و مع ذلك أثبتنا القليل الذى عثرنا على ذكره بصفة خاصة فى جغرافية الإدريسى بهذه الحواشى .

(١) و رد بالإدريسى [طبعة هو نرباخ ج ٢ ص ٢٦٨] قاطرو أو قاذرو و هى إحدى مدن دالماسيا بالقرب من رجوزه Ragusa .

(٢) مطموسة بالأصل .

(٣) الكلمة ناقصة النقط فى الأصل « يحلو » .

(٤) كذا بالأصل ، و أغلب الظن أن المقصود « الخلاب » أى الخطاف .

فيقربها إلى البر فيتبعها السمك فيطرح[1] عليهم الطراحة فيصيدهم الصياد و يترك الأنثى على حالها ليأتى إليها السمك فكلما كثر عندها طرح شبكته فيأخذهم . قال ممشاد الدينورى : كنت بالبصرة فرأيت صيادا يصطاد السمك على ....[2] السواحل و الى جانبه ابنة له صغيرة كلما اصطاد سمكة و تركها فى قُفّته ردت الصغيرة السمكة الى الماء فالتفت الرجل فلم ير فى القفة شيئا . فقال لابنته : أى شيء عملت بالسمك ؟ فقالت : يا أبت[3] أليس سمعتك تروى [بن ١٢٢ : الف] عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال « لا تقع سمكة فى شبكة إلا غفلة عن ذكر الله » فبكا الصياد و ترك الصيد .

[جزيرة صقلية]

جزيرة صقلية مثلثة الشكل و هى كثيرة الزرع و الضرع و الفواكه و كانت للمسلمين ملكتها مدة سنين ثم غلبهم عليها الفرنج و هى الآن سنة سبع و سبعين و سبعمائة بأيديهم . و قيل إنها من أحسن الجزر و أكثرها خيرا و صقلية من أحسن البلاد و أكثرها خيرا . قال الشاعر الصقلى من قصيدة له يتشوق اليها بعد أن ملكتها الفرنج و أخرجت المسلمين منها :

ذكرت صقلية و الأسى يجــدد للقلب تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة فانى أحــدث أنهارها
و لولا ملوحة ماء البكا حسبت دموعى أنهارها

(١) مطموسة جزئيا بالأصل (٢) مطموسة بالأصل .
(٣) فى الأصل : يا أبة .

و لبعضهم تشوق إلى و طنه :

يا نسمة حملت عبير المنـــدل   و شذا القرنفل فى سحيق الصندل

و جزيرة صقلية سميت باسم صيقلوا أخ[1] انطـال و انطال هو الذى بنى مدينة انطالية ببر التركية و كانت للتراكمين المسلمين فتعدى عليها ريبر بطرس صاحب قبرس فملكها منهم فى سنة اثنتين و ستين و سبعمائة ، و لما ظفر[2] بها طمع بعدها فى الإسكندرية و صح له طمعه و ظفر بها فى العشر الأخير من المحرم سنة سبع و سبعين و سبعمائة . و اسم انطالية بلغة الفرنج سقليا و هى الآن فى سنة تسع و سبعين و سبعمائة فى أيدى المسلمين ردت إليهم لأمور يطول شرحها . و بصقلية معدن الكبريت و بها البركان العظيم الذى لا يعلم فى العالم اشنع منه منظرا و لا أغرب خبرا و هو شما (ل) هذه الجزيرة و إذا هبت الريح الجنوبية يسمع لها دوى هائل كالرعد ، وكان فرفوريس[3] الفيلسوف قد شخص مدينة صور إلى صقلية لينظر البركان و يعاين فعل الطبيعة هنالك و يخبر عنه بقول واضح فمات و بها قبره ، و لم تزل صقلية على قديم الزمان كثيرة الفتن و الحروب.

[قسطنطين بن هرقل]

و فى السنة التى بويع فيها على بن أبى طالب بالخلافة و هى سنة خمس و ثلاثين[4] من الهجرة صار قسطنطين بن هرقل[5] فى ألفى مركب

(١) فى الأصل : أخا .

(٢) ريد فى الأصل : الملطرز . و لا معنى لها فى النص فأسقطناها منه .

(٣) لعل مرادف الاسم Porphyrios .

(٤) خلافة على بن أبى طالب ٣٥ - ٤٠ هـ / ٦٥٦ - ٦٦١ م .

(٥) حكم هرقل ٦١٠ - ٦٤١ م و حكم قسطنطين الثانى ٦٤١ - ٦٦٨ م .

يريد بلاد الشام يخلصها من أيدى المسلمين الذين أخذوها من يد أبيه هرقل، فأرسل الله تعالى عليهم عاصفا من الريح فرقهم و نجا بنفسه قسطنطين على لوح ألقاه١ بساحل صقلية فصنعت له أهل صقلية حماما فأدخلوه فقتلوه فيه . و قيل مشت الروم إلى قسطنطين بن هرقل فى سنة خمس و ثلاثين من الهجرة فقالوا يترك الاسـ .....٢ فى أيدى العرب و هى مدينتنا الكبرى ، فقال : ما أصنع بكم ما تقدرون تمالكوا ساعة إذا لقيتم العرب . قالوا : فاخرج على انا نموت فتبايعوا على ذلك فخرج فى ألف مركب يريد الإسكندرية فساروا فى أيام عالية من الريح فبعث الله تعالى عليهم ريحا عاصفة فغرقتهم إلا قسطنطين فانه نجا بمركبه فألحقته الريح بصقلية فسأله أهلها عن أمره فأخبرهم فقالوا : شمت النصرانية و أفنيت رجالها لو دخل العرب علينا لم نجد من يردهم . فقال : خرجنا مبايعين على الموت فأصابنا هذا فصنعوا له حماما و دخلوا عليه فيها فقال: ويلكم قد ذهب رجالكم و تقتلون ملككم؟ قالوا : كأنه غرق معهم ثم هجموا عليه فقتلوه و تركوا من كان معه فى المركب . فانظر يا هذا إلى فعل الله تعالى بالكافرين حين قصدوا إهلاك .....٢ بزعمهم كيف ...٢ لهم الله تعالى من حيث لم يحتسبوا . قال الله تعالى "و مكروا و مكرنا مكرا و هم لا يشعرون ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرنهم و قومهم أجمعين ، "٣ .

(١) فى الأصل: القاح .
(٢) مطموسة فى الأصل .
(٣) قرآن كريم ٢٧ : ٥٠ - ٥١ .

عبد

عبد العزيز بن موسى بن نصير و ابنة لذريق

فانظر أيضا كيف أهلك الله الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير لما أطاع زوجته النصرانية بقولها له : أترك أصحابك يسجدون لك كما كان[1] أصحاب الملك لذريق يسجدون له . و كان عبد العزيز محبا لها و سامعا لأمرها لحسنها و جمالها و كثرة أموالها ، و كان قولها له ذلك حيلة منها عليه بثأر أبيها المقتول منه لعلمها بأن المسلمين لا يسجدون لغير رب العالمين ، فاذا قال لهم [بن ١٢٢ : ب] ذلك قتلوه ، و لتتخلص من عصمته و تتزوج بابن ملك نصرانى على دينها ،فلما فعل عبد العزيز ذلك قتل و بلغت النصرانية مرادها فيه و ذلك أن عبد العزيز المذكور كان مقدما على عساكر المسلمين حين فتحوا جزيرة الأندلس فى دولة بنى أمية . تزوج عبد العزيز بنت لذريق ملك النصارى بعد قتله[2] و كان الذى قتله طارق ابن زياد فجاءت تلك النصرانية لعبد العزيز من الدنيا بشىء كثير لا يوصف و لا يحد ، فلما صارت عنده قالت : ما لى أرى أهل مملكتك لا يسجدون لك كما كانت أهل مملكته يسجدون له و يعظمونه بالسجود ؟ فقال فى نفسه كيف ينبغى لى أن أترك المسلمين يسجدون لى من دون الله تعالى أم كيف يرضون ؟ هذا لا يجوز و لا يكون أبدا ، ثم انكر فى نفسه و قال : مطأطأة رؤسهم إلىّ أهون من سجود . فأمر بباب نقب من جهة قصره مقابلا مكان جلوسه و جعله قصيرا غير مرتفع ، فكان يأذن للناس فيدخلون عليه منه منكسين رؤسهم لقصر ذلك الباب ، و زوجته النصرانية

(١) فى الأصل : كانت . (٢) فى الأصل : قتل .

تنظر إلى المسلمين من شابيك بنظرتها المقابلة لذلك الباب القصير. فلما رأت الملعونة فعلهم ذلك قالت: الآن قوى ملكك وعظم أمرك حين طأطأت لك جندك رؤسها. فتخيل ذلك بباله وفرح به ففحص[1] المسلمون عن فعله ذلك ومنعه الدخول عليه من الباب المرتفع، فبلغهم أنه ما نقب ذلك الباب إلا لهذا المعنى، فانزعجت القلوب لذلك فثار عليه حبيب بن عبيد الفهرى[2] وزياد بن النابغة التيمى وأصحابهما من قبائل العرب، واجتمعوا على قتل عبد العزيز فأتوا الى مؤذنه وقالوا له: أذن بليل لكى يخرج عبد العزيز إلى الصلاة. وأذن المؤذن فخرج عبد العزيز فتقدم للصلاة[3] فقرأ الواقعة الى قوله تعالى «رافعه» فوضع حبيب السيف على رأس عبد العزيز فانصرف عبد العزيز هاربا حتى دخل بيته، فدخل بستانا بداره واختفى[4] فيه تحت شجرة وهرب حبيب وأصحابه واتبعه زياد بن النابغة فدخل على اثره فوجده تحت الشجرة، فقال له عبد العزيز: يا بن[5] النابغة استبقنى ولك ما سألت. فقال: لا تذوق الحياة بعدها تأمرنا أن نسجد لك من الباب القصير لتسر به [6]زوجتك النصرانية[6] التى امتثلت أمرها فيما أمرتك به وأحدثت فى الاسلام حدثا لم يكن.

(١) فى الأصل: ففحصت.
(٢) كذا فى الأصل، وربما أمكن قراءتها «القهرى».
(٣) فى الأصل: للصلوة.
(٤) فى الأصل: واختفا.
(٥) فى الأصل: يا ابن.
(٦–٦) مطموسة جزئيا.

و أجهز عليه و احتز رأسه ، و بلغ ذلك حبيبا و أصحابه فرجعوا ثم خرجوا برأس عبد العزيز و ساروا من الأندلس إلى أن قدموا على أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك[1] بدمشق فوضعوا الرأس بين يديه بعد أن أخبروه خبره . و حضر موسى بن نصير أبو عبد العزيز المقتول فقال له سليمان: تعرف هذا؟ قال: أعلمه صوّاما قوّاما . فقال سليمان: هذا الذى أراد أن يسجد له كما يُفعل للدريق[2] ملك النصارى فكان جزاؤه ما ترى . فأخذ موسى رأس ولده و مضى به فى نكاية و خزية و قال: هذا جزاء من يتزوج بنصرانية ، لقد غزت الملعونة فيه كما غزى ....[3] فى أبيها .... [عبد[4]] العزيز بحسرة ماله و أهله و أمره و نهيه و ذلك لتعلقه بالدنيا و زهرتها ، فمن قل تعلقه بالدنيا لم يتحسر عند فراقها - انتهى .

[مدن بحر الروم و جزره]

نعود إلى ذكر جزيرة صقلية - و لصقلية مدن كثيرة و نهران يطردان من عين واحدة و بها جزيرتان[5] صغيرة و كبيرة و فى هاتين الجزيرتين تنفذ النار أبدا فترى لهب النار ليلا و دخانه نهارا . و من المدن المشهورة بصقلية مالطه فى القبلى منها بينهما ....[6] واحدا و أشجارها

(١) خلافته ٩٦ - ٩٩ هـ /٧١٥ - ٧١٧ م .

(٢) فى الأصل : لذريق .

(٣) مطموسة فى الأصل .

(٤) مطموسة جزئيا بالأصل .

(٥) فى الأصل : جزيرتين .

(٦) مطموسة بالترميم .

الصنوبر و بجزيرة صقلية مدينة قوصرّه . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب [ن ١٢٣ : الف] خبر نهب الفرنج لأموال المسلمين بها بالحيلة و المكيدة إن شاء الله تعالى .

و من بحر افريقية وصقلية يخرج المرجان ، و الجزائر بتلك النواحى كثيرة ، فأما بجدونية[1] فهى قاعـدة الروم إلى الأعراقيين[2] و منها أرسطاليس فيلسوف الروم ، و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب لمع[3] من أخباره إن شاء الله تعالى. و أما مدراقية[4] فحدها من المشرق إلى القسطنطينية من ناحية الجنوب تمتد إلى ناحية الأسبان و تتصل من بلاد طشاله[5] و زعموا أن أهلها أول من عمل اللجم و ابتدعوا رياضة الخيل و البيطرة. و قيل إن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام أول من ركب الخيل وكانت وحوشا فأوحى الله إليه آية الخيل فدعى[6] بها « هاه هاه » فأمكنت من نواصيها فركبها هو و ولده بعد ، فعناق الخيل ينسب إليهما فيقال الخيل العربية . و أفضل المراكب للانسان و أعجب للنفس و أطرب لها الخيل ، فان لها فضلا و شرفا باذخا على سائر الدواب ، و ذلك لما جاء فى الخبر

(١) و صحتها « مقدونية » أى Macedonia .

(٢) و صحتها « الاعريقيين » أى The Greeks .

(٣) فى الأصل : لمعا .

(٤) و صحتها « تراقيه » أى Thrace .

(٥) أى Thessalia .

(٦) فى الأصل : فدعا .

عن

عن وهب بن منبه أنه قال: لما أراد الله خلق الفرس قال للريح الجنوب أنى خالق منك خلقا أجعله عزا لأوليائى و مذلة لأعدائى و جمالا لأهل طاعتى، فقبض من الريح قبضة فخلق منها فرسا فقال: سميتك فرسا و جعلت الخير معقودا بناصيتك و الغنائم بحوزة على ظهرك و الغنى[1] معك حيث كنت أرعاك، يعنى بسعة الرزق على غيرك من الدواب و جعلتك سرمدا تطير بالأجناح فأنت للطلب و أنت للهرب، و سأجعل عليك رجالا يسبحون فتسبحنى[2] إذا سبحوا و يهلّلون فتهللنى[3] إذا هلّلوا و يكبرون فتكبرنى[4] إذا كبروا. و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر الخيل و شيئانها و إكرامها و ما قيل فيها إن شاء الله تعالى.

جزيرة اقريطش[5] سميّت باسم رجل مجوسى يقال له اقريطشنش يحمل منها العسل النحل و الجبن الكثير لمصر و الشام و تسمى بلغة الفرنج كندياه.

جزيره ابريسه[6] بين رودس و اقريطش يحمل منها إلى مين مصر العسل النحل و الزيت.

جزيرة سردانية[7] يحيط بها البحر ثلاثمائة ميل و كان صاحب برشلونه

(١) فى الأصل: و الغنا. (٢) فى الأصل: فتسبحى.

(٣) فى الأصل: فتهللين. (٤) فى الأصل: فتكبرين.

(٥) جزيرة Crete و قاعدتها Candia.

(٦) لم نستطع تحقيقها و تحديدها، و أغلب الظن أنها إحدى مجموعة الجزر المعروفة باسم Dodecanese.

(٧) ذكر سردانية Sardinia و لم يذكر قرسقة Corsica و هما صنوان لا يفترقان فى ذكر جزائر غرب بحر الروم.

أرسل إلى صاحب سردانية[1] هدية فيها جارية جميلة فلما أراد الاجتماع بها أخبرته أنها حامل من صاحب برشلونه فانعزل عنها إلى أن وضعت ولدا سماه جَردَ شَبْربوريا فلما كبر الولد عرّفته أمه بأبيه و بالـ....[2] الأندلس فقال: اذا لم تكن هذه البلاد بلادى و أبى صاحب برشلونه فاحملونى إليه فحملوه إليـــه و عرّفوه أنه ولده من الجارية المهداة[3] بجملة الهدية، فغضب صاحب برشلونه و قال: لم لا عرفنى به و هو حمل[4] فى بطن أمه ؟ و سردانية بها معادن الفضة الخالصة. فأتى البرشلونى فى مراكبه بجيوشه إلى سردانية معه ولده الذى من الجارية المذكورة، فأتاه صاحب سردانية سلم عليه فلم يرد السلام عليه و قال: كيف يكون لى عندك ولد و لم تعلمنى به من أول وهلة حتى ولد وكم ذكرت[5] أمه لك ذلك من قبل فلولا أنه طلب الحضور الى عندى ما كنت أحضرته ؟ فقال: كان عندى فى اجلّ مكان إلى أن تميز معرفناه[6] فطلب السفر إلى حضرة الملك فأرسلته له. فلما سمع البرشلونى ذلك منه كوّم له[كومين[7]] كبيرين الواحد دنانير و الآخر تراب[8] و قال لصاحب سردانية. اختر كوما منهما. فأشار إلى الذهب فقال: خذه و اخرج عن هذه الجزيرة و إلا قاتلتك بهذا الجيش الضخم و انتزعت جميع أموالك و جعلتك جالسا على مثل هذا الكوم التراب

(١) فى الأصل: سروانيه.
(٢) مطموسة جزئيا.
(٣) فى الأصل: المهدية.
(٤) فى الأصل: حملا.
(٥) فى الأصل: و ذكرت. و الواو زائدة.
(٦) الكلمة مكررة فى الأصل.
(٧) غير موجودة بالأصل، و أضفناها لتمام الجملة و انسجام السياق.
(٨) فى الأصل: ترابا.

الذى تراه لا تملك غيره . فجمع صاحب سردانية حينئذ ماله و رجاله و أهله [بن ١٢٣ : ب] و عياله و ترك[١] للبرشلونى جزيرة سردانية و خرج منها لعدم طاقته به ، فحينئذ ولى البرشلونى ولده جرد شبر بوريا جزيرة سردانية ، و أقام لها جيشا ضخما من جيوشه ، فصاله معادن الفضة كا لها يحمل جرد شبر بوريا لأبيه فى كل سنة حملا[٢] منها مع حمل خراجها خارجا عن كفاية جيشها . و لما توجه المسلمون فى خلافة بنى أمية إلى جزيرة سردانية أصاب الناس فيها غنائم فغلوا منها غنائم كثيرة . و الغلول الخيانة فى الغنائم ، فحملوا تلك المغانم و ما غلوه أيضا[٣] منها فى المراكب و ركبوا فيها ، فلما توسطوا البحر سمعوا مناديا ينادى و يقول: اللهم غرق بهم! فدعوا الله و تقلدوا المصاحف فما لبثوا أن جاءتهم ريح عاصفة و ضربت المراكب بعضها بعضا حتى تكسرت و غرقوا . و قيل إن أهل سردانية لما توجه إليهم المسلمون عمدوا إلى جهة فى البحر وضعوا أوانيهم الذهب و الفضة فيها و عمدوا إلى كنيسة لهم فجعلوا لها سقفا من دون سقفها وجعلوا ما كان لهم من مال بين السقفين ، فنزل رجل من المسلمين يغتسل فى ذلك الموضع الذى جعلوا فيه أوانيهم الذهب و الفضة فوقعت رجله على شيء فأخذه فاذا هو صحفة من فضة ثم غاص أيضا فأخرج شيئا آخر . فلما علم المسلمون بذلك حبسوا الماء و أخذوا جميع تلك الآنية . و دخل رجل معه قوس بندق الى تلك الكنيسة التى رفعوا

(١) فى الأصل : و تر .

(٢) فى الأصل : جملا .

(٣) تكررت الكلمة بالأصل بعد « منها » .

بين سقفيها ما لهم[1] فنظر إلى حمام فرماه ببندقه فأخطأه فأصاب خشبة من السقف فكسرها فانهال عليهم المال فغل المسلمون يومئذ غلولا كثيرا فكان الرجل يأخذ الهر فيذبحه ثم يحشوه بما غل من المال ثم يخيط عليه و يرمى به الى الطريق ليتوهم من يراه أنه قط ميت فاذا خرج أخذه ، و كان الرجل ينزع نصل سيفه فيطرحه و يملأ غلافه غلولا و يطرح قبضة السيف على الغلاف ، فلما ركبوا السفن و توجهوا سمعوا منـاديا ينادى : اللهم غرّق بهم فتقلدوا المصاحف فغرقوا جميعا و ذلك بسبب غلولهم . قال الله تعالى " و من يغلل يأت[2] بما غل يوم القيمٰة[3] " . و قال النبى صلى الله عليه و سلم : لا يقبل الله صلاة بغير طهور و لا صدقة من غلول . و قد جاء فى الأثر ان الذين يغلون يعنى يخونون من الغنائم فيأتون بغلولهم ثم يلقى فى بحر جهنم ثم يقال لهم غوصوا حتى تخرجوا غلولكم لينتهوا إلى قعره - لا يعلم قعره إلا الذى خلقه - فيغوصون ما شاء الله تعالى ثم يخرجون رؤسهم يتنفسون فيبتدر إلى كل إنسان منهم سبعون ألف ملك مع كل ملك مقمع من حديد فيهوى به إلى رأسه فذلك عذابهم أبدا .

[قصة يوشع بن نون]

و يروى أن يوشع بن نون لما أمره الله تعالى بقتال الجبارين سار

(١) فى الأصل : ما لم .

(٢) فى الأصل : يأتى .

(٣) قرآن كريم : ٣ : ١٦١ .

بنى إسرائيل إلى بلاد الشام و قد غلب عليها العماليق فسار الى السّميدع ملك ......[1] بجنوده فقاتلهم يوم الجمعة قتالا شديدا حتى غربت الشمس فدعى[2] الله أن يرد عليه الشمس فردها عليه و زاد فى النهار يومئذ، فَهَمّ الجبارون و اقتحموا عليهم يقتلونهم، فكانت الجماعة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها فلا يقطعونها، فأمرهم يوشع أن يقرّبوا غنائمهم تلك إلى الله تعالى فلم تنزل النار تأكلها، وجاء رجل إلى يوشع فصافحه فالتصقت يده بيده فقال سلّم ما عندك فأتاه بر ....[3] ثور من ذهب مكللا باليواقيت و الجواهر، وكان قد غلّه فجعله فى القربان و جعل الرجل معه فأكلتها النا (ر) . و الغلول ....[4] فهو محرم بالإجماع فقد قال الله تعالى[5] : " و من يغلل [6]يأت بما غل[6] يوم القيٰمة " . قال أبو هريرة : قام بنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر الغلول فعظمه و عظم أمره و قال: أليس أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثنى ! فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك . ثم إن مذهب مالك يؤدب ولا يحرق رحله ولا يمنع سهمه من الغنيمة، أما أدبه فظاهر لتعديه، و أطلق أهل مذهب مالك القول [بن ١٢٤ : الف] بأدبه، وشرط الشافعى

(١) بياض بالأصل .
(٢) فى الأصل : فدعا .
(٣) بقية الكلمة مطموس، و ربما كانت الكلمة : برأس .
(٤) مطموس بالأصل .
(٥) قرآن كريم ٣ : ١٦١ .
(٦-٦) فى الأصل : يات بما غلل . وهو ما لا يتفق و الآية .

فى أدبه أن يكون عالما بالنهى و هو ظاهر ، و انما لا يحرق رحله فهو مذهب الشافعى و أبى حنيفة . و قال الأوزاعى يحرق رحله بالأسلحة و الثياب ولا ينزع منه فرسه ولا يحرق الشيء الذى غلّ ، و قال الحسن: يحرق جميع متاعه إلا أن يكون حيوانا أو مصحفا ، و الغلول إما مطلق[1] و إما فى الغنيمة . و إذا بعث الإمام بسرية من بلد الإسلام بتقدمة ليبيعها[2] فغنمت قبل خروجه فقال أشهب: الغنيمة للسرية و الجيش و من حضر القتال ثم مات قبل القسمة لحقه فى الغنيمة ثابت يأخذه ورثته - انتهى .

نعود ، قيل إن يوشع بن نون فتح الله له مائة و ثلاثين مدينة من أرض الشام و الجزيرة و قتل مقاتلتهم ، و سبا ذراريهم و أموالهم . قال كعب الأحبار: و ما أحلت الغنائم قبل محمد صلى الله عليه و سلم إلا ليوشع بن نون و أحلت أيضا لنبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، وكانت الأنبياء عليهم السلام يعزلون الخمس فتجيء النار فتأكله ، و أمر النبى صلى الله عليه و سلم بأن تقسم الغنائم فى فقراء أمته و ذلك من خصائصه صلى الله عليه و سلم . و كانت الصحابة رضوان الله عليهم لا يلتمسون من الغنائم شيئا حتى يقسم عليهم هو بنفسه صلى الله عليه و سلم ، بل كان كل من أصاب منهم شيئا أتى به طرحه فى الغنائم، فببركة فعلهم ذلك و إخلاصهم و اعترافهم بنعمة الله تعالى عليهم[3] [١٧٢ : الف] و ملازمتهم فعل الحق

(١) فى الأصل: مطلقا .

(٢) جائز قراءة الكلمة « ليتبعها » نظرا لسقوط النقط من الأصل .

(٣) هنا ينتهى القسم الساقط من بر حيث يستأنف الكلام فى كلا المخطوطين بعد ذلك . و خاتمة الكلام فى بن ١٢٤ : الف سطر ١١ .

و الصدق و العدل و تواضعهم لله تعالى فتحت لهم البلاد، و أطاعهم أهل العناد. و بنفس القول منهم و الكلام اطاعتهم[1] السباع و الهوام، و كما روى أن عقبة بن نافع الأنصارى لما فتح أرض مزاته انصرف إلى جزيرة إفريقية فأتى وادى القيروان، و كان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش و السباع و الهوام، فنادى بأعلى[2] صوته: يا أهل الوادى ارتحلوا رحمكم الله فانّا نازلون. فلم يبق من السباع شيء و لا الوحوش و لا الهوام إلا خرج. و حدّث الليث بن سعد أن عقبة ابن نافع لما أتى وادى القيروان وقف على رأس الوادى و قال: اظعنوا فانّا نازلون. قال ذلك ثلاث مرات فجعلت الحيات تنساب و العقارب و غيرها مما لا يعرف من الدواب تخرج ذاهبة و هم قيام ينظرون من حين أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس و حتى لم يروا منها شيئا، فنزلوا الوادى عند ذلك. قال الليث: فحدثنى زياد بن العجلان أن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك أربعين سنة [3] و لو التمست [3] حيّة أو عقرب بألف دينار ما وُجدت.

[قصص عن زيد بن أسلم و أبى بكر الصديق]

[4] قال زيد بن أسلم: خرج من المدينة رجل غازيا فاتبعته امرأة إلى

(١) فى بن [١٢٤ : ٩] : أطاعهم.
(٢) فى الأصل: بأعلا. و هى كذلك فى بن.
(٣-٣) فى بن: و التمست.
(٤) الجملة ساقطة من بن ابتداء من «قال زيد» لغاية «الصبى يتحدث بذلك».

باب دارها وهي حامل، فلما ودعته أشار بيده إلى بطنها وقال: استودع الله ما في بطنك، فقضى أنها ماتت بعد سفره بأيام قلائل، فدفنت و جنينها في بطنها، فروى[١] على قبرها نور ساطع، فشاع ذلك في الناس، فكان يرى ذلك النور في كل ليلة حتى قدم زوجها من[٢] الغزاة، فأخبر بخبرها، فخرج إلى القبر ليلا، فانصدع قبرها، فاذا المرأة قاعدة في أكفانها و الصبي في حجرها، قالت له: دونك يا فلان ما استودعت الله تعالى فخذه، و لو استودعتنا لوجدتنا. فأخذ الصبي منها حيا و انطبق القبر عليها. قال زيد بن أسلم: رأيت الصبي بعد ذلك يمشي مع الصبيان في أزقة المدينة. قال هشام ابن سعد: و لقد سمعت أن الصبي يتحدث بذلك. [٣]و من ذلك ما جعله الله[٤] في أمة النبي عليه السلام بعد وفاته و في صحابته من الكرامات من إجابة الدعوات و الخبر عن الغائبات، منها أن الحارث[٥] المحاسبي أحد المشايخ[٦] الصالحين المذكورين[٧] في رسالة القشيري كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك على إصبعه عرق فيمتنع من أكله، فان قيل

---

(١) في الأصل: فرى.

(٢) لعل الكلمة «مع» بدلا من «من».

(٣) استؤنف الكلام في بن من هنا [١٢٤ : الف].

(٤) زيد في بن: تعالى.

(٥) ساقطة من بن.

(٦) عن بن، و في بر: مشايخ.

(٧) عن بن، و الكلمة في بر: المذكور.

فأبو بكر الصديق رضى الله عنه [1] أولى بكل مزية من سائر الأمة، و قد وزن بالأمة فرجح . و قد روى أنه قدم له لبن فأكل منه فوجد كدورته فى قلبه ، فقال: من أين لكم هذا اللبن؟ فقال غلام [١٧٢ : ب] له: كنت أتكهّن لقوم فى الجاهلية فأعطونى ثمن كهانتى فاشتريت منه ذلك اللبن. فتقيأه أبو بكر ثم قال: و الله لو لم يخرج إلا بمصاريى لأخرجتها[2]، فكيف شرب اللبن الذى فيه شبهة و لم تظهر له شبهة [3]؟ قيل إن من حسن [4] اختيار الله [1] لأبى بكر أن تناول من ذلك اللبن حتى يتكلف طرحه بعد شربه فيثيبه الله [1] على ذلك ، و أيضا ليجعله قدوة للعباد فيقتدى به من أكل طعاما فيه شبهة ، و أيضا من حسن [5] اختيار الله [1] لآدم أكله [6] من الشجرة بعد أن نهى عنها حتى يتوب [7] من الفعل فيكون قدوة التائبين [8] و حتى يتعرف إلى الله [1] بحلمه فيعرف [9] أنه أكرم الأكرمين ، و يوقفه على وجود ستره و لطفه فيعلمه [9] أنه اللطيف بعباده المؤمنين .

---

(١) زيد فى بن: تعالى .

(٢) فى بن: فأخرجته .

(٣) فى بن: شبهته .

(٤) فى الأصلين: أحسن .

(٥) كذا فى بن وهو الصحيح ، و فى بر: أحسن .

(٦) فى الأصلين: و أكله . – و الواو زائدة .

(٧) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر: يقرب .

(٨) فى بن: للتابعين .

(٩) فى بن: فيعلم .

و ليكون أكل الشجرة سببا فى النزول، و النزول سببا فى الخلافة، فأكرم بها[1] معصية أورثته الخلافة. قال تعالى: "إنى جاعل فى الأرض خليفة[2]" فهو أول خليفة و نبى[3]. و النبيون جمع نبى، و النبى فعيل من النبأ الذى هو الخبر، و النبوة هى الارتفاع، و كلا المعنيين صحيح أن[4] يشتق منه اسم النبى، لأن الأنبياء عليهم السلام أرفع الناس منزلة، فلهم النبوة على جميع الخلائق أى الارتفاع، و هم[5] أيضا على نبأ الله أى خبره، إذ هم معادن الوحى الذى هو خبر الله تعالى. و قد ختمت الأنبياء[6] بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم المكنى بأبى القاسم[7]

(١) زيد فى بن: من.

(٢) قرآن كريم ٢: ٣٠.

(٣) زيد فى بن [١٢٤: ب] و لما ذاق آدم لذة الجنة و طيب المناجاة فى الهبوط جرت الأنهار من دموعه فلا يوزن ببكائه بكاء أحد ولا يقلقه بقلق مخلوق ما كان سكون آدم إلا أنه قال: يارب إنى تبت و أصلحت أراجعى أنت إلى الجنة؟ فقيل: نعم! .... (بياض بالأصل).

إذا ما ادعينا سلوة عن هواكم   جرى الدمع فكذب دعوانا
فليت الوشاة حين بثت حديثنا   إليها دموع العين رقت لبلوانا - انتهى

فلنذكر الآن ما قيل فى البيين: النبيون جمع نبى - الخ.

(٤) فى بن: اذ.

(٥) ساقطة من بن.

(٦) زيد فى بن: عليهم السلام.

(٧) فى بن: القسم.

المتصل نسبه إلى معد بن عدنان المقرون ذكره مع ذكر الله[1] فى الأذان صلى الله عليه[2] و على جميع الأنبياء ما هطل الغمام، و غرد الحمام، صلاة دائمة على مر الساعات و الأيام، و الشهور و الأعوام. فمحمد صلى الله عليه و سلم [3]حجة الله[3] المؤيدة ببراهين[4] أنواره، و فائدة الكون و نكتة أدواره[5]، و[6]صفوة نوع البشر و منتهى أطواره[6]، المجتبى المختار موجود الوجود، و واسطة العقود[7]، المصطفى وديعة النور، المتنقل فى الجباه[8] الكريمة و الغرر[9]، و درة الأنبياء، التى لها الفضل على الدرر[10]، و غمام الرحمة الهامية الذرر، مختار الله المخصوص باجتبائه، و حبيبه الذى له المزيد[11] على أحبائه، من ذرية أنبياء الله آبائه، الذى شرح صدره

(١) زيد فى بن: تعالى.

(٢) زيد فى فى بن: وسلم.

(٣-٣) ساقطة من بن.

(٤) فى بن: براهين.

(٥) فى بن: انواره.

(٦-٦) ساقطة من بن.

(٧) فى بن: العقد.

(٨) فى بن: الحياة.

(٩) فى بن: و الغرور.

(١٠) فى بن: الدور.

(١١) فى بن: المزية.

و غسله ، ثم بعثه واسطة[١] بينه و بين العباد و أرسله ، و أتم عليه إنعامه و أجزله ، و أنزل عليه من الهدى و النور ما أنزله ، إلى بشرى المسيح و الذبيح ، المخصوص بالنسب الصريح ؛ الذى جعله فى المحول[٢] غماما ، و للأنبياء[٣] إماما ، و شق صدره لتلقى[٤] روح أمره غلاما ، [٥]و أعلم بـه فى التوراة و الانجيل إعلاما[٥] ، و علّم المؤمنين صلاة عليـه و سـلاما ، الشفيع الذى لا تُـرد فى العُصاة شفاعته ، [١٧٣ : الف] و الوجيه الذى قُرنت بطاعة الله طاعته ، و الرؤف[٦] الرحيم الذى خلصت إلى الله فى أهل الحرم ضراعته ، صاحب الآيات التى لا يسع ردهـا ، و المعجزات التى أربا على الألف عدهـا ، من قمر شق ، و حذع يحن[٧] و حق[٨] ، و بنان ، يتفجر بالماء فيقوم رى الظماء ؛ و طعام يشبـع الجمـع الكثير يسيره ؛ و غمام يظل به مقامه و مسيره ، خطيب المقام المحمود إذا كان العرض ، و أول من تنشق عنه الأرض ، وسيلة الله التى لولاها ما فرض[٩] العرض ،

(١) فى بن : بواسطة .
(٢) فى بن : المحول .
(٣) فى بن : و الانبياء .
(٤) فى بن : ليلقى .
(٥-٥) ساقطة من بن .
(٦) فى بن : الروف .
(٧) فى بن : حن .
(٨) كذا فى الأصلين ، ولعل الكلمة « بحق » .
(٩) عن بن ، و فى بر : أفرض .

و لا عرف النفل و الفرض، محمد بن عبد الله المحمود الخلال ، من ذى الجلال ، الشاهدة بصدقه صحف الأنبياء و كتب الإرسال ، و آياته التى أثلجت[١] القلوب ببرد اليقين السلسال، صلى الله عليه ما ذرّ شارق ، و أومض بارق ، و فرّق بين اليوم الشامس و الليل الدامس فارق ، صلاة تتأرج عن شذا الزهر ، و تتبلج[٢] عن سنا الكواكب الزهر ، و تتردد[٢] بين السر و الجهر ، و تستغرق[٢] ساعات الأيام و الشهر ، و تدوم بدوام الدهر ، و على آله و أصحابه نجوم الهدى ، و مصابيح الدجى[٣]، و سلم تسليما كثيرا - فمحمد[٤] صلى الله عليه و سلم سيد الأنبياء[٥] زمانا ، و إن كان أولهم منزلة و كمالا ، كما قال عليه السلام « كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين » . و قال أيضا « أنا سيد ولد آدم و لا فخر و أنا[٦] خاتم النبيين » و معنى خاتم كما يقال طابِع و طابَع ختام[٧] الكتاب طبعه . قال الله تعالى: "و ختمه مسك[٨]" و سمى نبينا محمد عليه السلام خاتم النبيين لما كان آخرهم . قال ابن الفارض :

---

(١) فى بن : تجلت . و بهامشها : انحلت .
(٢) فى بن وردت هذه الأفعال بياء المضارعة بدلا من تائها فى بر كما فى النص .
(٣) فى الأصول : الدجاء .
(٤) فى بن : محمد .
(٥) زيد فى بن : خاتمهم فهو خير الأنبياء .
(٦) ساقطة من بن .
(٧) فى بن : خاتم .
(٨) قرآن كريم ٨٣ : ٢٦ .

وجاء بأسرار الجميع مفيضها   علينا له ختما على حين فترة
و ما منهمُ إلا و قد كان داعيا   بـــه قومه للحق عن تبعيّة

أمر الله عز و جل كل نبي بأتباعه . و قال ابن الفارض أيضا :

فعالمنا منهم نبي و من دعا   إلى الحق منا قام بالرُّسليّة[1]

قال العفيف التلمساني: أي من جملة الأنبياء المذكور[2] فهو نبي و منه قوله عليه السلام «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» . و قال ابن الفارض:

و من كان منهم معجزا صار بعده   كرامـــة صدّيق له أو خليفة

تقديره أو خليفة له .

بعزته استغنت عن الرسل الورى   و أصحـابه و التـابعين الأئمة[3]
كرامتهم من بعد ما خصهم به   بما خصهم مِن إرث كل فضيلة
[١٧٣:ب]فمن نصرة الدين الحنيفي بعده   قتـال أبي بكر لآل[4] حنيفة
و سارية [5]الجاه للجبل[5] النـــدا   ء من عمر و الدار غير قريبة
و لم يشتغل[6] عثمان عن ورده و قد   أدار عليه القوم كأس المنية

(١) ف بن : بالرسالة .

(٢) ساقطة من بن [١٢٥ : الف] .

(٣) ف بن : و الأئمة .

(٤) ف بن : لأبي .

(٥-٥) ف بن : الجارية الجبل .

(٦) ف بن : يشعل .

و أوضح بالتأويل ما كان مشكلا عليّ بعلم ناله بالوصيّة
و سائرهم مثل النجوم من اقتدى بأيهم منه اهتدى بالنصيحة
و للأولياء المؤمنين به و لم يروه اجتبا قرب لقرب الأخوّة

مبنى على قوله عليه السلام: «و اشوقاه[1] إلى إخوانى».

و قربهم معنى له كاشتياقه لهم صورة فاعجب بحضرة غيبة[2]

فهم بمعنى إليه و لهم و المعنى أنهم بالمعنى قربهم إليه و بالصورة [3]شوقه إليهم فهم حاضرون بالمعنى غائبون بالصورة ـ انتهى[3]

[لمع من أخبار أبى بكر و عمر و عثمان]

و سأذكر[4] لمعا من أخبار أبى بكر[5] و عمر و عثمان و على رضى الله[6] عنهم. أما أبو بكر فاسمه عبدالله بن أبى قحافة، أمه أم الخير بنت صخر بن عامر، لبث فى خلافته سنتين و أربعة أشهر إلا عشر ليال، و توفى بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان[7] بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث

---

(١) عن بن، و الكلمة فى بر: و أشوقا.
(٢) كذا فى بن، و هى فى بر: غيبية ... و هو خطأ قلمى.
(٣-٣) الجملة واردة فى بن و ساقطة من الأصل بر.
(٤) فى بن: فلنذكر الآن.
(٥) فى الهامش: مناقب الإمام أبى بكر الصديق.
(٦) زيد فى بن: تعالى.
(٧) فى الهامش: مطلب، مناقب أبى بكر الصديق و باقى الصحابة.

عشرة من الهجرة . و كان أزهد الناس و أكثرهم تواضعا فى أخلاقه و لباسه و مطعمه ، و كان لباسه فى خلافته الشملة و العباة . و قدم إليه[1] زعماء العرب و أشرافها و ملوك اليمن و عليهم الحلل و برود الوشى المثقل بالذهب و التيجان و الحبر ، فلما شاهدوا ما عليه من اللباس و الزهد و النسك و التواضع ، و ما هو عليه من الوقار و الهيبة ، ذهبوا معه و نزعوا ما كان عليهم . فكان ممن وفد عليه [2]من ملوك اليمن[2] ذو الكلاع ملك حمير و معه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته و عليه التاج و ما وصف آنفا ، فقلع ما كان عليه و تزيا بزى أبى بكر ، و رئى[3] أبو بكر يوما فى سوق من أسواق المدينة على كتفه جلد شاة ، ففزعت عشيرته[4] لذلك و قالوا[4] : لقد[5] فضحتنا بين المهاجرين و الأنصار و العرب . فقال لهم : أفأردتم أن أكون جبارا فى الجاهلية جبارا فى الإسلام ؟ لا ! ها الله لا يكون طاعة الرب إلا بالتواضع[6] لله و الزهد فى هذه الدنيا الفانية . و تواضعت الملوك و من وفد عليه من الوفود بعد التكبر ، و تذللوا بعد التجبر . و لم يتقلد أحد الخلافة و أبوه باق غير أبى بكر

(١) كذا فى بن ، و هى فى بر : عليه .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) فى الأصل بر : و رءى . و فى بن : روى .

(٤-٤) فى بن : كذلك و قالت .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) عن بن ، و فى بر : التواضع .

رضى الله

رضى الله[١] عنه . و كان له من الولد عبد الله و عبد الرحمن و محمد . فأما عبد الله فانه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه و سلم [١٧٤ : الف] فلحقته جراحة ، و بقى إلى خلافة أبيه ، و مات فى خلافته ، و خلف سبعة دنانير فاستكثرها أبوه . و لا عقب لعبد الله . و أما عبد الرحمن [٢]ابن أبى بكر[٢] فانه شهد يوم بدر مع مشركى مكة ، ثم أسلم فحسن إسلامه . و لعبد الرحمن عقب كثير بدو و حضر ناحية الحجاز مما يلى الجادة عن طريق العراق . و محمد بن أبى بكر أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ، و منها عقب جعفر بن أبى طالب ، و تزوجها أبو بكر بعد مقتل جعفر ، فخلف عليها محمدا[٣] ، ثم تزوجها بعد موت أبى بكر على بن أبى طالب فأولدها أولادا . و كان محمد بن أبى بكر يدعى[٤] عابد قريش لنسكه و زهده . و مات أبو قحافة جده فى خلافة عمر بن الخطاب سنة أربع عشر للهجرة .

[عمر بن الخطاب و مناقبه]

ثم خلف من بعد أبى بكر عمر بن الخطاب بن نفيل[٥] ، فلبث فى خلافته[٦] عشر سنين و ثلاثة أشهر . ثم طعن يوم الأربعاء

(١) زيد فى بن : تعالى .
(٢-٢) ساقطة من بن .
(٣) فى الأصلين : محمد .
(٤) فى الاصلين : يدعا .
(٥) زيد فى بن : رضى الله تعالى عنه .
(٦) فى بن : الخلافة .

لسبع بقين من ذى الحجة سنة أربع و عشرين من الهجرة ، فلبث فى طعنته ثلاثة أيام يصلى فى ثيابه التى طعن فيها و توفى. و كان يلقب بالفاروق لأن الشيطان كان يفرق منه أى يهرب عنه. و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتله و من قتله إن شاء الله تعالى . و كان متواضعا خشن الملبس شديدا فى ذات الله[١] ، و كان يلبس الجبة الصوف المرقعة بالأديم و غيره ، و يشتمل بالعباة[٢] ، و يحمل القربة على كتفه مع هيبة قد رزقها . و كان أكثر ركابه الإبل و رحله مشدود بالليف ، و كذلك عماله مع ما فتح الله عليه من البلاد و أوسعهم من الأموال . و حج عمر فأنفق[٣] فى ذهابه و مجيئه ستة عشر دينارا. فقال لولده عبد الله : لقد أسرفنا فى نفقتنا و أجحفنا ببيت مال المسلمين . و عمر رضى الله[٤] عنه له مناقب كثيرة. فمنها[٥] قوله « يا سارية الجبل» و هذا عمر صاح بسارية ، و سارية بأرض العراق مصاف للعدو ، و عمر بالمدينة على المنبر يخطب يوم الجمعة فقال سارية : هذا صوت عمر يأمرنى بالجبل ؛ فابتدروا الجبل ، فهزم العدو و أصابوا غنيمة عظيمة . قال ابن الفارض :

---

(١) فى بن [١٢٥ : ب] زيد تعالى .

(٢) فى بن : بالعبادة .

(٣) الكلمة فى الأصلين : نفق .

(٤) زيد فى بن : تعالى .

(٥) فى بن : منها .

و سارية ألجاه للجبل الندا   من عمر و الدار غير قريبة

و من مناقب عمر قصته مع النيل [1] ـ كتب عمر إلى نيل مصر: إذا كنت تجرى بحولك وقوتك فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت تجرى بحول الله [2] ومنّه فاجر [3] . فجرى حتى اليوم [2] . و من مناقب عمر قصته مع جمرة بن شهاب، و ذلك أنه [١٧٤ : ب] قال لرجل : ما اسمك؟ فقال : جمرة. فقال : ابن من؟ فقال : ابن شهاب . فقال : ممن؟ فقال : من الحرقة . [4] فقال : أين مسكنك [4] ؟

---

(١) زيد فى بن : و ذلك لما فتحت مصر فى خلافته أى أهله (كذا) عمرو بن العاص حين دخل بؤنه من أشهر القبط فقالوا له أن لنيلنا سنة لا يجرى إلا بها ، فقال و ما ذلك ؟ فقالوا : إذا كان ثنتى عشرة خلت من شهر بؤنة عمدنا إلى جارية جميلة تكون بين أبويها و يجعل عليها من اللباس و الحلى أفضل ما يكون ثم نلقيها فى هذا النيل . فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون فى الإسلام . و إنما شهر بؤنه و أبيب ومسرى و النيل لا يجرى قليلا و لا كثيرا حتى هموا بالجلا. فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بذلك . فكتب إليه أنك أصبت فى الذى فعلت و إنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابك فألقها فى النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فاذا فيها « من عبد الله عمر الى نيل مصر إن كنت تجرى ـ الخ » .

(٢-٢) فى بن : و منته فنسئل الله أن يجريك فألقى عمرو البطاقة فى النيل يوم الجمعة فأصبحوا يوم السبت و قد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة، و قطع الله تعالى تلك السنة عن أهل مصر إلى يومنا .

(٣) فى الأصل : فاجرى .

(٤-٤) فى بن : قال مسكنك .

فقال: بحرة النار. قال: بأيها؟ قال: بذات لظى. قال: أدرك أهلك فقد احترقوا. فمضى الرجل إلى أهله فوجدهم قد احترقوا بالنار. و من مناقب عمر [1] قصته مع النار [1] الخارجة من الجبل، و ذلك أن نارا خرجت من كهف جبل، و كانت تخرج فتحرق ما أصابت [2]. فقيل لعمر ذلك
٥ فأمر أبا [3] موسى الأشعري [4] أن يدخلها الكهف، فجعل أبو موسى يحتبسها [4] بردائه حتى أدخلها الجبل، فلم تخرج بعد ذلك.

[خلافة عثمان بن عفان]

ثم ولى الخلافة بعده عثمان [5] بن عفان رضي الله [6] عنه، و كان في نهاية الجود و الكرم و السماحة و البذل في القريب و البعيد [7].

(١-١) عن بن، و هي في بر: قصة النار.

(٢) في بن: اصابته.

(٣) عن بن، و هي في بر: ابو.

(٤-٤) في بن: يحبسها.

(٥) في بن: عثمن.

(٦) زيد في بن: تعالى.

(٧) زيد في بن [١٢٥ : ب]: وبني داره بالمدينة و شيدها بالحجر وا.. يس و جعل أبوابها من الساج و العرعر و اقتنى أموالا و جنانا و عيونا بالمدينة، و ذكر عبيد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون و مائة ألف دينار و خلف خيلا و إبلا كثيرة، و في خلافة عثمن اقتنى جماعة من الصحابة الضياع و الدور منهم الزبير بن العوام بنى داره=

فكانت

فكانت خلافته اثنتى[1] عشرة سنة كُمّلا ، و قُتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من المحرم سنة سبع و ثلاثين من الهجرة[2] . و كانت رَومة ركية [2] ليهود بالمدينة تبيع ماءها[2] من المسلمين . فقال النبى صلى الله عليه

= بالبصرة و ابتنى [١٢٦ : الف] دوره بالكوفة ومصرو الإسكندرية و ترك بعد وفاته خمسين ألف دينار ، و كذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى كان على مربطه ألف فرس و له ألف بعير و عشرة آلاف شاة من الغنم و بلغ بعد وفاته الربع من ماله أربعا و ثمانين ألفا ، و لما مات زيد بن ثابت خلف من الذهب و الفضة ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الضياع و الأموال بقيمة مائة ألف دينار ، و مات يعلى بن منبه و خلف خمسمائة ألف دينار و ديونا على الناس و عقارات و غير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف دينار و هذا باب كبير وصفه فيما تملك و اقتنى فى أيام عثمان بن عفان ، و لم يكن قبل ذلك فى عصر عمر ابن الخطاب شىء مما ذكر بل كانت جادة واضحة و طريقة بينة ، و كانت خلافة عثمان بن عفان اثنتى عشرة سنة ــ الخ .

و قد وردت هذه الفقرة فيما بعد فى بر و لكننا آثرنا تركها هنا من بن لوجود بعض الاختلاف و السقط بينهما .

(١) فى الأصلين : اثنى .

(٢) زيد فى بن : و قتل و هو ابن اثنتين و ثمانين سنة و قيل لعثمان بن عفان و هو محصور بداره أنه يصلى للناس امام فتنة و أنت امام العامة ، فقال إن الصلاة من أحسن ما يفعله الإنسان فاذا أحسن الإنسان فأحسن و إن أساؤا فاجتنب(!) إساءتهم .

(٢-٢) فى بن : ليهودى يُباع ماؤها .

و سلم : « من يشترى رومة و يجعلها للسلمين ، يضرب بدلوه فى دلائهم ، و له بها مشرب فى الجنة » . فأتى عثمان بن عفان لليهودى فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى نصفها باثنى عشرة[1] ألف درهم ، و جعلها للسلمين . و كان اتفق مع اليهودى أن تكون لكل واحد منهما يومه فى الإسقاء[2] ، فكان إذا كان يوم عثمان[3] استقى[4] المسلمون ماء يكفيهم ليومين . فلما رأى ذلك اليهودى قال : أفسدت علىّ رَكيتى . ثم باع النصف الثانى بثمانية آلاف درهم . فصار المسلمون يستقون[5] منها بغير ثمن[6] . و كان [7]عثمان له[7] من الولد عبد الله الأكبر و عبد الله الأصغر ، أمهما رقية بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و أبان و خالد و سعيد و الوليد و المغيرة و عبد الملك ، و أم أبان و أم سعيد و أم عمر[8] [9]و أم عائشة[9] . و كان عبد الله الأكبر يلقب بالمطرف[10] لجماله و حسنه ،

(١) فى الأصلين : عشر .
(٢) فى بن : الاستسقاء .
(٣) فى بن : عثمن .
(٤) فى بن : استقا .
(٥) ساقطة من بن .
(٦) زيد فى بن : و إنما كانت المسلمون قبل ذلك يستقون منها بالشرى من اليهودى .
(٧-٧) فى بن : لعتمن .
(٨) فى بن : عمرو .
(٩-٩) فى بن : و عائشة .
(١٠) فى بن : بالمطرق .

و كان كثير التزويج[1] كنير الطلاق . و كان أبان أبرص أحول قد حمل عنه أصحاب الحدث عدة من السنن . و ولى لبنى مروان مكة و غيرها .

و كان الوليد صاحب شراب و فتوة و مجون . و قتل أبوه[2] عثمان و هو مخلق الوجه سكران عليه مصبغات واسعة . و بلغ عد الله الآصغر ستة[3] و سبعين يوما فنقره ديك على عينه ، فكان ذلك[4] سبب موته .

و بى[5] عثمان داره بالمدينه و شيدها بالحجر و الكلس ، و جعل أبوابها من الساج و العرعر ، و اقتنى أموالا و جنانا و عيونا بالمدينة . و ذكر عيد الله بن عتبة أن عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون و مائة ألف دينار . و خلف حيلا و إبلا كثيرة . و فى خلافة [١٧٥ : الف] عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضياع و الدور . و منهم الزبير ابن العوام بنى[6] داره بالبصرة ، و ابتنى[7] دوره بالكوفة و مصر و الإسكندرية ، و ترك بعد وفاته خمسين ألف دينار و ألف فرس و ألف عبد و أمة . و كذلك طلحة بن عيد الله التيمى كانت غلته من العراق

(١) فى بن : التزوج .
(٢) فى بن : أباه .
(٣) فى الأصلين : ستا .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) فى الأصل : و بنا — و يلاحظ أن العبارة القادمة برمتها فيما يتعلق بشراء الصحابة فى عهد عثمان وردت قبلئذ فى بن كما هو واضح من حاشية سابقة .
(٦) فى الأصل : بنا .
(٧) فى الأصل : ابتنا .

فى كل يوم ألف دينار . و كذلك عبد الرحمن بن عوف الزهرى كان على مربطه ألف فرس و له ألف بعير و عشرة آلاف شاة من الغنم ، و بلغ بعد وفاته الربع من ماله أربعا و ثمانين ألفا . و لما مات زيد بن ثابت خلف من الذهب و الفضة ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الأموال و الضياع بقيمة مائة ألف دينار . و مات يعلى بن منبه و خلف خمسمائة ألف دينار و ديونا على الناس و عقارات و غير ذلك مما قيمته ثلاثمائة ألف دينار . و هذا باب يكثر وصفه فيما تملك و اقتنى فى أيام عثمان بن عفان . و لم يكن قبل ذلك فى عصر عمر بن الخطاب شىء مما ذكر ، بل كانت جادة واضحة و طريقة بيّنة .

و كانت [1] قصة عمر رضى الله عنه فى استسقائه بالعباس عم النبى صلى الله عليه و سلم ، فقال : اللهم إنا كنا نستسقى بنبيك صلى الله عليه و سلم إذ كان بين أظهرنا ، و هذا عمه فاسقنا . فسقاهم الله حتى فاض الماء و طفق الناس يمسحون بالعباس أركانه ، و يقولون هنيئا لك ساقى الحرمين ، و بنو العباس يفتخرون بذلك . و قيل خرج عمر يستسقى بالمدينة و معه العباس ، و قد أقحطوا و خرج الناس معهما ، قال: فأقبل عمر على الناس بوجهه فقال : أيها الناس استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، و يمددكم بأموال و بنين ، و يجعل لكم جنات ، و يجعل لكم أنهارا . ثم قال: اللهم إنا كنا نستسقى بنبيك محمد صلى الله عليه و سلم ،

(١) القصة من هنا إلى خلافة على بن أبى طالب ساقطة من بن و يستأنف الكلام بالعبارة « و ولى الخلافة بعد قتل عثمان ـ الخ » مع بعض الاختلاف اللفظى .

و قد قبضته إليك ، و إذا نتوجه إليك بعم نبيك و نستسقيك به فاسقنا . قال بعضهم ، فنظرت إلى العباس و كأن وجهه ورقة مصحف ، و عيناه تهملان ، و سبابتاه تجولان ، و هو يقول : إنك لم تهمل الرعية ، و لم تدع الكسير بدار مضيعة ، و قد ضرع الصغير ، و رق الكبير . فتدارك عبادك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فانه لم يقنط من رحمتك إلا القوم الخاسرون . قال فنشأت طرة من غيم كالية الخروف ، ثم تفرقت فى السماء و هدرت ، فاعتلقوا الحدا (كذا) و قلصوا المأزر والملا ، و أهمت القوم أنفسهم من شدة المطر ، [١٧٥ : ب] و طفقوا تمسحا بالعباس و يقولون : هنيئا لك ساقى الحرمين و فى ذلك يقول الفضل بن العباس :

بأبى استسقى[1] عمر فأنزل الله المطر

قال بعضهم: سمعت أعرابيا يقول: باكرنا وسمى[2] و خلفه ولى[3] ، فصارت الأرض كأنها ديباجة رقشاء قد أحكم نسجها ، فبينما نحن كذلك إذ أقبلت رجل من الجراد ، فأخربت البلاد ، و أهلكت العباد ، فسبحان الذى يهلك القوى الأكول بالضعيف المأكول . قال الشاعر :

إنزل الجراد على زرعى فقلت له إنزل بخير ولا تنزل بإفساد
فجاوبتنى إحداهن قائلة إنا على سفر لا بد من زاد

فالجراد إذا بات فى زرع يانع ، لم يصبح به بلغة لجائع ، بل يحصده

(١) فى الأصل : استسقا . و قد صحح هجاء الكلمة بقلم آخر .
(٢) الوسمى أول مطر الربيع .
(٣) الولى المطر الذى يلى الوسمى .

حصدا ؛ و يصيّر أرضه سودا ، فالجراد جائحة من الجوائح ، يقال للذكر و الأنثى جرادة ؛ و الجرادة تكنى أم عوف ، قال الشاعر :

و ما صفراء تكنى أم عوف   كأن رجيلتيها منجلان

حكى أن الجراد وقع على زرع كان لرابعة العدوية ، فلما جاءها الخبر خرجت فرأت الجراد قد ارتكبه ، فرمقت بطرفها نحو السماء و قالت : إلٰهى رزقى قد تكفلت به ، فان شئت فأطعم رزقى أعداءك[1] ، و إن شئت فأطعمه أولياءك[2] ؛ فطار الجراد جميعه عنه .

و حكى أن موسى عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه إلى واد كثير الذئاب ، و كان قد بلغ من[3] التعب و الجهد ، فبقى متغيرا[4] ، إن اشتغل بحفظ الأغنام عجز عن ذلك لغلبة النوم عليه و التعب ، و إن هو طلب الراحة و السكون عاثت الذئاب فى الأغنام ، فرمق طرفه إلى السماء و قال : إلٰهى أحاط علمك ، و نفذت[5] مشيئتك . ثم وضع رأسه و نام ، فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عنقه و هو يرعى الأغنام ، فعجب من ذلك ، فأوحى الله إليه : يا موسى كن لى كما أريد أكن لك كما تريد - انتهى .

---

(١) فى الأصل : اعداك .
(٢) فى الأصل : أولياك .
(٣) كذا فى الأصل ، و لعل الكلمة : منه .
(٤) كذا فى الأصل ، و لعل الكلمة : متحيرا .
(٥) فى الأصل : نفدت .

[خلافة علي بن أبي طالب]

[١] و ولى الخلافة بعد قتل عثمان علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١] . فكانت خلافته أربع سنين و ثمانية أشهر و ستة عشر يوما . و قتل يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة . و دفن ليلا ، و أعمي قبره[٢] فمنهم من قال إنه حمل إلى المدينة و دفن عند قبر فاطمة . و منهم من قال إنه حمل على جمل في تابوت[٣] ، و ان الجمل تاه به و وقع [١٧٦ : الف] إلى بلاد طي . و كان مولد علي[٤] في الكعبة ، و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم[٥] بن عبد مناف ، و كان إسلامه و هو ابن خمسة عشر سنة . و قال له[٦] النبي[٧] صلى الله عليه و سلم : « من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه ، و عاد من عاداه » . و قال النبي صلى الله عليه و سلم : « أما ترضى[٨] أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبي بعدي » .[٩] و بهذا الحديث سمت[٩]

(١–١) في بن : تم بويع لعلي ابن ابي طالب بالخلافة بعد قتل عثمن رضي الله عنهما.

(٢) زيد في بن : و قد تنوزع في قبره فمنهم من قال إنه دفن في مسجد الكوفة ، و منهم من قال – الخ .

(٣) في بن : تابوته .

(٤) زيد في بن : رضي الله تعالى عنه .

(٥) في بن : هشام .

(٦) ساقطة من بن.

(٧) في هامش ر بقلم غير قلم الناسخ « فيه نظر بل دون ذلك كما في السير » .

(٨) في بن [١٢٦ : ب] ترضى .

(٩–٩) في بن : الحديث سمته .

الشيعة على بن أبي طالب «الوصى»، و قالوا فيه إنه استخلفه على أمته، إذ جعله بمنزلة هارون[1] من موسى، لأن هارون[1] كان خليفة موسى على قومه إذا غاب عنهم. و قال السيد الحميرى:

إنى أدين بما دان الوصى به   و شاركت كفه كفى بصفّينا

و صفّين موضع حرب أهل العراق. و جمع النبى صلى الله عليه و سلم عليا[2] و فاطمة و الحسن و الحسين فألقى عليهم كساءه و ضمهم إلى نفسه، ثم تلى[3] هذه الآية: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا[4]" و قال: «هؤلاء أهل بيتى». و لقوله «انى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله و عترتى[5]» فتأولت الشيعة الرجس هاهنا الخوض فى غمرات الدنيا و لذاتها. و قال النبى صلى الله عليه و سلم يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله لا ينثنى حتى يفتح الله له»، فدعى[6] عليا و كان أرمد فتفل فى عينيه و قال: اللهم قه أذى الحر و البرد» فكان يلبس كسوة الشتاء فى الصيف و كسوة الصيف فى الشتاء و لا يضره. و قال على بن أبى طالب: أنا أخو رسول الله[7] و ابن عمه لا يقولها بعدى إلا كذاب. و قال الشعبى: مثل على بن أبى طالب فى هذه الأمة مثل المسيح بن مريم فى بنى إسرائيل،

---

(١) فى بن: هرون.
(٢) فى هامش بر «مطلب، أخبار سيدنا على و إسلامه و أخبار الكساء».
(٣) فى بن: تلا.
(٤) قرآن كريم ٣٣: ٣٣.   (٥) من بن، و فى بر «و عثرتى».
(٦) فى بن: فدعا.
(٧) زيد فى بن: صلى الله عليه وسلم.

أحبه

أحبه قوم فكفروا فى حبه، و أبغضه قوم فكفروا فى بغضه. و[1] قال النبي عليه السلام[1]: الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة، و أبوهما خير منهما[2]. و قال أبو الحسن: كان على بن أبى طالب يقسم بيت المال فى كل جمعة حتى لا يبقى منه شىء، ثم يرش له و يقيل فيه، و يتمثل بهذا البيت:

هذا جناى و خياره فيه   إذ كل جان يده إلى فيه

قال: و كان على إذا دخل بيت المال و نظر إلى ما فيه من الذهب و الفضة فيقول: ابيضى و اصفرى و غرّى غيرى، إنى من الله بكل خير. قال القاضى ابو حازم: إجماع الخلفاء الأربعة حجة لقوله عليه السلام: عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى. و قيل إجماع الشيخين لقوله[3]: اقتدوا بالذين من بعدى [١٧٦: ب] أبو بكر و عمر. و قال

(١ - ١) ساقطة من بن.

(٢) زيد هنا فى بن: و كان محمد بن على بن ابى طالب و هو ابن الحنفية و اسمها خولة بنت جعفر من سبي اليمامة ولد فى صدر خلافة عمر و رأى عمر و روى عنه وعن أبيه على و عن عثمن و عن ابى هريرة و غيرهم و روى لـه الجماعة وسمته الشيعة المهدى وهم يزعمون انه لم يمت وانه مقيم بجبل رضوى عنده عسل وماء، و كان محمد بن الحنفية من الفرسان و اولى القوة. حكى المبرد فى الكامل أن اباه عليا استطال درعا كان له من ورد فقال له تقص منها كذا و كذا خلقة فقبض محمد إحدى يديه على ذيلها و الأخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى قدّره ابوه. و كان عبد الله بن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب و اعتراه رعدة لأنه كان يغبطه على قوته. و كان محمد بن الحنفية يلبس الخز و يتعمم بعمامة سوداء.

(٣) زيد فى بن: عليه السلام.

بعضهم يمدح الخلفاء الأربعة [1] رضوان الله عليهم[1] :

قـوم هم الخلفاء الراشـدون و من   أقام ربى بهـــم للـــدين أركانا
[2]قوم إذا ذكرت عندى فضائلهم   شممت من جنة الفردوس ريحانا[2]
منهـم أبو بكر الصديق أولهـــم   مقـــدم القـوم أبطالا و فرسانا
و بعـده عمر الفاروق صاحبه[3]   ذاك الذى لم يزل للدين معوانـا
ثم ابن عفانـــ لا تنسى فضائله   أعنى بذاك شهيد الدار عثمانـا
و فى الإمام أبو السبطين حيدرة   فضل غدا فى كتاب الفضل عنوانا
فأهل بيت رسول الله حبهـــم[4]   أرجو[5] به عند رب العرش غفرانا

[قصص و أخبار من عهد معاوية و يزيد]

[6]و أما أبو قرضابة صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم فـكان يغزو سنة ، و ابنه عياض يغزو سنة . ثم أسر عياض فى أرض الروم ، فـكان أبو قرضابة يقوم فى مواقيت الصلاة فيقول : يا عياض ؛ الصلاة

(١-١) ساقطة من بن .

(٢-٢) هـذا البيت ساقط من بر و وارد فى بن ، و جاءت لفظة « ريحانه » فيه « ريحنا » .

(٣) فى بن : صاحب .

(٤) ساقطة من بن [١٢٧ : الف] .

(٥) فى بن : ارجوا .

(٦) زيد هنا فى بن : و أما العبـاس عم النبى صلى الله عليه و سلم فقال عمر بن الخطاب فى استسقائه بالعباس رضى الله تعـالى عنهما : اللهم إنا نستسقى بنبيك صلى الله عليه و سلم إذا كان بين أظهرنا و هذا عمه .... [الكلمة مطموسة] =

= .... فسقاهم الله حتى فاض الماء و طفق الناس يتمسحون بالعباس أركانه و يقولون هناك ساقى الحرمين ، و بنو العباس يفتخرون بذلك . و قيل خرج عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته يستسقى بالمدينة و معه العباس و قد أقحطوا و خرج الناس معهما، قال فأقبل عمر على الناس بوجهه فقال: استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهارا . ثم قال: اللهم إنا كنا نستسقى بنبيك محمد صلى الله عليه و سلم و قد قبضته إليك و إنا نتوجه إليك بعم نبيك محمد صلى الله عليه و سلم و نستسقيك به فاسقنا . قال بعضهم فنظرت إلى العباس و كأنه ورقة مصحف و عيناه تهملان و سبابتاه تجولان و هو يقول: إنك لم تمهل الرعية و لم تدع الكسير بدار مضيعة و قد ضرع الصغير و رق الكبير فتدارك عبادك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لن يقنط من رحمتك إلا القوم الخاسرون. قال: فنشأت طرة من غيم كالية الخروف ثم تفرقت فى السماء و هدرت فاعتلقوا الحذا و قلصوا المآزر و الملا و اهمت القوم أنفسهم من شدة المطر و طفقوا تمسحا بالعباس يقولون هنيئا لك ساقى الحرمين. و فى ذلك يقول الفضل بن العباس:

بأبى استسقى عمر فأنزل الله المطر

قال بعضهم سمعت أعرابيا يقول: باكرنا وسمى و خلفه ولى ، فصارت الأرض كأنها ديباجة رنشاء قد أحكم نسجها . فبينما نحن كذلك إذ أقبلت رجل من الجراد فأخربت البلاد و أهلكت العباد فسبحان الذى يهلك القوى الأكول بالضعيف المأكول . قال الشاعر :

نزل الجراد على زرعى فقلت له انزل بخير و لا تنزل بافساد
فحاوبتنى إحداهن قائلة إنا على سفر لا بد من زاد

فالجراد إذا بات فى زرع يانع لم يصبح به بلغة لجائع بل يحصده حصيدا و يصير أرضه بعد الخضرة سودا فالجراد جائحة من الجوائح و الجوائح الريح تسقط الثمر و المطر و البرد، و الجراد و الجليد و الطير الغالب و انقطاع الماء فهو جائحة فى القليل و الكثير باجماع ، و أما ما كان اكتسابه من المخلوقين المكلفين=

الصلاة[1] . فيجيبه عياض و هو بأرض الروم . و أما [2]أبو أيوب[2] خالد

= و لا يمكن الاحتراس منه كالجيش و السارق فاختلف فيه ، فقال ابن القسم هو جائحة و قال نافع الجيش ليس بجائحة دون السارق . انتهى

نعود و نقول للذكر و الأنثى جرادة و الجرادة تكنى أم عوف . قال الشاعر :

و ما صفراء تكنى أم عوف　　كأن رحليها منخالان (كذا)

الجرادة رجلاها ستة و رأسها رأس فرس و عنقها عنق ثور و صدرها صدر أسد و جناحاها جناحا نسر و رجلها رجل جمل (مة !) و ذنبها ذنب حية . و قال الشاعر فى النمل و العصفور و الجراد :

ثلاثة فى الأرض لا تزاد　　النمل و العصفور و الجراد

حكى أن الجراد وقع على زرع كان لرابعة العدوية فلما جاءها الخبر خرجت و رأت الجراد قد ارتكبه فرمقت طرفها إلى السماء و قالت إلهى رزقى قد تكفلت به فان شئت فأطعم رزقى أعداءك و إن شئت فأطعمه أولياءك . فطار الجراد عنه . و حكى أن موسى عليه السلام انتهى ذات يوم بأغنامه الى واد كثير الذئاب و كان قد بلغ به الجهد فبقى متحيرا إن اشتغل بنظر الأغنام [١٢٧ : ب] عجز عن ذلك و غلب النوم عليه و التعب و إن هو طلب الراحة و السكون عاثت الذئاب فى الأغنام فرمق طرفه إلى السماء و قال إلهى أحاط علمك و نفذت مشيئتك ، ثم وضع رأسه و نام فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عنقه و هو يرعى الأغنام فعجب من ذلك فأوحى الله تعالى « يا موسى كن لى كما أريد أكن لك كما تريد » . انتهى .

نعود ، و أما أبو قرضابة - الخ .

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) فى بن : و من ذلك قصة أبى أيوب . - و بهامش بر : قصة أبى أيوب خالد مع يزيد بن معاوية .

ابن

ان زيد مع يزيد بن معاويــة فى غزوة القسطنطينية [١] فانه مات بها [١]، وقبر [٢] فى سور القسطنطينيـة، فأشرف أهـل القسطنطينيـة فقالوا [٣]: إنما فعلتم هـذا بعظيم من عظمائكم أحب أن يجاهدنا حيا وميتا، فان رحلتم لنخرجنّه. فقال يزيد بن معاوية [٤]: فان فعلتم لا مررت بكنيسة ما بينى وبين الشام إلا خربتهـا. قالوا: فالمتاركة. فارتحل يزيد [٥] بن معاويـة [٥] وتركهم. وكانوا إذا محلوا كشفوا عن قبره، فاستسقوا به فينزل لهم المطر. وكان يزيـــد بن معاوية [٦] قد أحب أُرَيْنب بنت إسحاق [٧] [٨] فى أيام والده معاويـــة [٨] [٩] وبلغ والده محبته لها، فتحيل له على أن يزوجه بها، فما نفعت حيلته. وسأذكرها إن شاء الله تعالى [٩].

قال عبد الملك بن عبدون الحضرمى فى كتابه الموسوم بالدرة الفريدة فى شرح القصيدة الموسومة بزهر الكمامة [١٠] وقطر الغمامة [١١]،

(١-١) فى بن: ومات أبو أيوب خالد بن زيد بها.
(٢) زيد فى بن: بها.
(٣) ساقطة من بن.
(٤) فى بن: معوية وحكمه ٤١ - ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٨٠ م وحكم يزيد ٦٠ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م.
(٥-٥) ساقطة من بن.
(٦) زيد فى بن: ابن ابى سفيان - وبهامش بر: قصة يزيد مع ارينب بنت إسحاق.
(٧) فى بن: اسحق.
(٨-٨) فى بن: قبل أن يلى الخلافة.
(٩-٩) الجملة ساقطة من بن.
(١٠) فى بن: الكمام.
(١١) فى بن: الغمام.

قوله[1] فيها :

وفى ابن هند[2] وفى ابن المصطفى حسن أتت بمعضلة[3] الألباب و الفكر[4]

فقال فى[5] شرح هذا البيت بعد أن ذكر خبر معاوية [6]و أمه هند و ولدهما يزيد[6] أن أرينب بنت إسحاق[7] زوج عبد الله بن سلام القرشى ، و كان عبد الله هذا واليا على العراق ، و كانت أرينب هذه من أجمل نساء وقتها و أحسنهن أدبا و أكثرهن مالا . و كان يزيد بن معاوية[8] سمع بجمالها [9]و ما هى عليه[9] من الأدب و حسن الخلق و الخلق ، ففتن بها ، فلما عيل صبره ذكر ذلك لأبيه معاوية[8] ، فقال له معاوية[8] : مهلا يا يزيد . فقال يزيد : علامَ تأمرنى يا أمير المؤمنين بالمهل [١٧٧ : الف] و قد انقطع منها الأمل[10] ؟ قال

---

(١) فى بن : و قوله .

(٢) فى بن : غندر .

(٣) فى بن : بمعطلة .

(٤) هذه القصيدة لأبى محمد عبد المجيد بن عبدون . راجع « نهاية الأرب » ج ٥ ص ١٨٨ .

(٥) ساقطة من بن .

(٦–٦) ساقطة من بن .

(٧) فى بن : اسحق .

(٨) فى بن : معوية .

(٩–٩) فى بن : بما عليه .

(١٠) فى بن : الأصل .

معاوية[1] : فأين عقلك و مروءتك؟ فقال له يزيد : قد عيل العقل[2] ، و لو كان أحد ينتفع فيما يبتلى بـه من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به[3] . قال له : اكتم بابنى خبرك ، فان البوح به غير نافعك ، و الله بالغ أمره فيك ، و لابد مما هو كائن . و أخذ معاوية[1] فى الحيلة يريد رضى ولده فيها ، فكتب معاوية[1] إلى عبد الله بن سلام زوج أرينب ، و كان استعمله على العراق : أن[4] اقبل لأمر فيه حظك إن شاء الله و لا تتأخر . و كان عند معاوية[1] يومئذ بدمشق أبو هريرة و أبو الدرداء ، فلما قدم عليه عبد الله بن سلام ، أمر معاوية[1] أن ينزل منزلا قد هيأه له . ثم قال لأبى هريرة و أبى الدرداء : إن الله قد قسم على عباده نعما [5]و أوجب عليهم حفظها ، فحبانى عز و جل بأتم الشرف و أفضل الذكر ، و أوسع على رزقه[5] ، و جعلنى راعى خلقه ، و أمينه فى بلاده ، و الحاكم فى أمر عباده ، ليبلونى أ أشكر أم أكفر ، و قد بلغت لى ابنة أريد تزويجها فى تنحل من يتزوجها ، لعل من يكون بعدى يقتدى[6] بهديى ، و يتبع فيه أثرى ، فانه قد يلى هذا الملك بعدى من يغلب عليه

---

(١) فى بن : معوية .

(٢) فى بن : و العقل .

(٣) فى هامش بر بغير قلم الناسخ : انظر قبيح اعتذاره و تهوره و كيف احتج على غلبة هواه بنبى الله و خليفته .

(٤) فى بن : بأن .

(٥ ــ ٥) الجملة ساقطة من بن .

(٦) زيد فى بن : فيه .

زهو الشيطان إلى تعطيل بناتهم ولا يرون لهن كفوا و لا نظيرا . و قد رضيت لها عبد الله بن سلام لدينه و شرفه و فضله و مروءته و أدبه . فقال له أبو هريرة و أبو الدرداء: إن أولى الناس رعاية نعم الله و شكرها و طلب مرضاته فيما خصه بها منها، لأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم و كاتبه و صهره . قال[١] معاوية[٢]: فاذكرا لعبد الله بن سلام ذلك عني، و قد كنت جعلت لها في نفسه[٣] شورى، غير أني أرجو ألا تخرج من أمري[٤] إن شاء الله تعالى . فخرجا من عنده متوجهين إلى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية[٢]. ثم دخل معاوية[٢] على ابنته فقال لها: إذا دخل عليك أبو الدرداء و أبو هريرة فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام و تزويجي إياك منه و حضاك على المسارعة إلى هواي فقولي لهما[٥]: عبد الله كفؤ و قريب حميم، غير أن تحته أرينب بنت إسحاق[٦]، و أنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء فأتناول منه ما يسخط الله فيه، فيعذبني عليه[٧]، و لست بفاعلة حتى يفارقها .

(١) زيد في بن [١٢٨ : الف] : لها .
(٢) في بن : معوية .
(٣) واردة في بن ، و ساقطة من بر .
(٤) في بن : اربي .
(٥) في بن : لهم .
(٦) في بن : اسحق .
(٧) ساقطة من بن .

فلما ذكر ذلك [١]أبو الدرداء و أبو هريرة[١] لعبد الله بن سلام ، و أعلماه بالذى [٢]أمره معاوية[٢] ، فرح بذلك و حمد الله و بعثهما إليه خاطبين عليه . فقال لهما معاوية[٣] إذ جاءاه خاطبين : قد تعلمان رضائى به [١٧٧:ب] و حرصى عليه ، [٤]و كنت قد[٤] أعلمتكما الذى جعلت لها فى نفسها من الشورى[٥] ، فادخلا عليها ، و اعرضا الذى [٦]رأيت لها[٦] ، فدخلا عليها و أعلماها ذلك[٧] . فقالت لهما كالذى[٨] قال لها أبوها ، [٩]و أعلماها بالذى ارتضاه لها أبوها[٩] ، فأعلما عبد الله بن سلام بذلك . فلما ظن[١٠] أنه لا يمنعها منه إلا عدم[١١] فراق زوجته أرينب ، أشهدهما على طلاقها ، و بعث بهما إليه خاطبين . و أعلما معاوية[٣] بالذى كان من فراق عبد الله امرأته طالقا[١٢]

(١ – ١) الاسمان معكوسان فى بن .

(٢ – ٢) فى بن : امرهما به معوية .

(٣) فى بن : معوية .

(٤ – ٤) فى بن : و قد كنت .

(٥) كذا فى بن ، وهى فى بر : الشورا .

(٦ – ٦) فى بن : ذلك عليها .

(٧) فى بر كلمة « الشورى » زائدة وهى غير موجودة فى بن وهو الأصح .

(٨) فى بن : الذى .

(٩ – ٩) الجملة ساقطة من بن .

(١٠) فى بن : علم .

(١١) ساقطة من ، بر و واردة فى بن .

(١٢) ساقطة من بن .

لما يرضى ابنته، فأظهر معاوية[1] كراهية لفعله[2] و قال[3]: ما استحسنت له طلاق[4] امرأته. و أقام عبد الله بن سلام ينتظر إنجاز الأمر، فقالت ابنة معاوية[1]: إن أرينب بنت إسحاق[5] ذات حظ من الجمال، و قد بان لى من أمر[6] هذا الرجل أنه ملول مطلاق، و أخشى عاقبة أمرى معه. فتوقف الأمر إذ ذاك: و أمر معاوية[1] أبا الدرداء أن يتوجه إلى العراق وكيلا فى خطبة أرينب بنت إسحاق[5] ليزيد ولده. فتجهز و توجه إلى العراق، فلما وصل الكوفة مر بالحسن بن على بن أبى طالب مسلما[7] عليه، و سأله الحسن عن أمره، فأعلمه الخطبة ليزيد بن معاوية[1] على أرينب بنت إسحاق قال له[8]: اعرضنى عليها فى خطبتك. فلما دخل عليها أبو الدرداء قال لها: إن عبد الله بن سلام بتّ طلاقك[8]، و قد جئتك خاطبا ليزيد ابن[9] [10]أمير المؤمنين[10] معاوية[1] و هو صاحب عقده، و ولى أمره[11]، و الخليفة من بعده، و من عند الحسن

(١) فى بن: معوية.
(٢) فى بن: فعله.
(٣) «و قال» مكررة فى ر.
(٤) عن بن، و فى ر: خلاف.
(٥) فى بن: اسحق.
(٦) ساقطة من بن.
(٧) فى ر: مسلم. و فى بن: فسلم عليه.
(٨) زيد فى بن منذ كذا و كذا و قد انقضت عدتك.
(٩) فى الأصل: بن.
(١٠-١٠) ساقطة من بن.
(١١) فى بن: عهده.

ابن[1] بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سيد شباب أهل الجنة يوم القيامة[2]، و قد بلغك سناؤهما و فضلهما، و جئتك خاطبا عليهما، فاختاري أيهما شئت. فسكتت طويلا ثم قالت: يا أبا الدرداء لو أن هذا الأمر جاءني و أنت غائب لاستخصصت[3] فيه[4] الرسل إليك، و اتبعت فيه رأيك، و لم أقتطعه دونك، فأما إذا كنت المرسل فيه، فقد فوضت أمري بعد الله إليك، و جعلته في يديك، فاختر لي ارضاهما لديك، و الله شاهد عليك، فاقض في قضائي بالتحري، ولا يصدنك [5]عن ذلك[5] اتباع هوى، فليس أمرهما عليك خفيا، و لا أنت [6]عما طوقتك[6] غبيا. قال أبو الدرداء: إنما عليّ إعلامك، و عليك الاختيار لنفسك. قالت: عفى الله عنك[7]، أنا بنت أخيك، و من [8]لا غنى به عنك[8]، فلا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوقتك، فقد وجب عليك أداء[9] الأمانة فيما حملتك[10]، و الله خير من روعي و خيف، إنه

---

(١) في بر: بن، وهي كذا في بن.

(٢) في بن: القيمة.

(٣) في بن: لا شخصت.

(٤) ساقطة من بن.

(٥-٥) ساقطة من بن.

(٦-٦) في بن: بما طوقتك به.

(٧) في بن: انما.

(٨-٨) في بر: لا عنايه عليك. وصحتها في بن: لا غنا به عنك.

(٩) مطموسة في بن.

(١٠) زيد في بن: و فيما حملت.

بنا خبير لطيف . فلما لم يجد بدا من القول و الإشارة قال : أى بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم أحب (١٧٨ : الف) إلى لك و أرضى عندى و الله أعلم بخيرهما لك ، و قد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم واضعا شفتيه على شفتى حسن[١] . قالت : قد اخترته و رضيته . فتزوجها الحسن بن على و ساق لها مهرا عظيما . و بلغ معاوية الخبر و ما كان من فعل أبى الدرداء فى ذلك ، و تزويج الحسن إياها ، فتعاظمه جدا و لامه شديدا و قال : من يرسل ذا بَلَهٍ و عِىٍّ يركب خلاف ما يهوى . و كان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل[٣] فراقه بدرة مملوءة دُرًّا ، و كان ذلك أعظم مال[٤] لديه و أحبه إليه ، و قد كان معاوية[٥] قطع عنه جميع روافده لسوء قوله فيه ، و تهمته أنه خدعه ، فلم يزل يحيره[٦] حتى عيل صبره ، و قل ما فى يديه ، ولام نفسه على المقام لديه[٧] ، وهو يتوقع جحود أرينب لسوء فعله و طلاقها لغير شىء أنكره عليها . فلما قدم العراق لقى حسنا فسلم عليه ، ثم قال له :

(١) فى بن [١٢٨ : ب] : الحسن .
(٢) فى بن : معوية .
(٣) فى بر : بعد ، و صححتها من بن .
(٤) كذا فى بن ، وهى فى بر : ماله .
(٥) فى بن : معويه ، و زيد بعدها : أصرحه .
(٦) فى بن : يجبره .
(٧) زيد فى بن : فرجع إلى العراق وهو يذكر مساله الذى كان استو(د) عه إياها ولا يدرى كيف يصنع فيه و كيف يصل إليه وهو يتوقع – الخ .

قد عرفت ما كان من[1] خبرى و خبر أرينب، و كنت قبل فراقى إياها استودعتها[2] مالا عظيما، و كان الذى كان[3] و لم أقتضه[4]، والله ما أنكرت منها فى طول صحبتها فتيلا، و لا أظن بها إلا جميلا، فذاكرها أمرى، و احضضها على رد مالى، فان الله يحسن عليه ذكرك، و يجزل به أجرك.

فلما انصرف الحسن إليها قال لها: قد قدم عبد الله بن سلام، و هو يحسن الثناء عليك، و يحمد[5] النشر عنك، فى حسن صحبتك، و ما أنسه قديما من أمانتك، فسرنى ذلك[6]، و أعجبنى منه ذلك، و ذكر أنه قد استودعك مالا فأد إليه أمانته، و ردى عليه ماله، فانه لم يقل إلا صدقا، ولا يطلب إلا حقا. قالت: صدق، استودعنى مالا لا أدرى ما هو، و إنه لمختوم عليه بخاتمه، و ها هو ذا فادفعه إليه[7]. فأثنى عليها حسن[8] خيرا و قال: بل أدخله عليك حتى تتبرأ إليه منه كما دفعه إليك. ثم لقى[9] عبد الله ابن سلام و قال: ما أنكرت أرينب مالك، و زعمت أنه بختمك كما

(١) ساقطة من بر، و واردة فى بن.
(٢) فى بن: استوعتها، و ظاهر أنه خطأ قلمى
(٣) ساقطة من بن.
(٤) فى بن: اقضه.
(٥) فى بن: و يحمل.
(٦) ساقطة من بن وهو الأصح.
(٧) فى بن: إليك.
(٨) فى بن [١٢٨ : ب]: الحسن.
(٩) فى بن: القى.

دفعته إليها، فادخل ا و خذ مالك منها ا كما دفعته إليها و تبرئها منه إذا أدته إليك . فلما دخل عليها قال لها ٢ الحسن ا هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته، فأدّ إليه أمانته . فأخرجت إليه تلك الدُّرة، فوضعتها بين يديه و قالت: هذا مالك . فشكر و أثنى[٣] عليها، و فض عبد الله ختمه و حثا[٤] لها من ذلك و قال: خذى فهذا قليل لك منى . و بكيا حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفا على ما ابتليا به، فرقّ الحسن لهما للذى سمع منهما فقال: أشهد الله أنها طالق ثلاثا، اللهم قد تعلم أنى لم [١٧٨ : ب] أتزوجها رغبة فى مالها و لا جمالها، و لكنى أردت إحلالها لبعلها فطلقتها . و لم يأخذ شيئا مما ساق إليها فى مهرها .

١ فسألها عبد الله أن ترد على الحسن ما كان أعطاها[٥]، فأجابته إلى ذلك شكرا لما صنعه بها . فلم يقبله الحسن و قال: الذى ٢ أرجو عليه من الثواب خير لى . فلما انقضت[٦] عدتها، تزوجها عبد الله بن سلام، و بقيا زوجين متصافيين[٧] إلى أن فرق الموت بينهما، و حرمها الله [على-[٨]]

(١-١) فى بن: و حده .
(٢) ساقطة من بن .
(٣) فى ر: و ثنى، و صححتها من بن .
(٤) فى بن: و حتى .
(٥) فى بن: أعطاه لها .
(٦) فى ر: انتقصت، و صححتها من بن .
(٧) فى بن: متصادقين .
(٨) ساقطة من الاصلين، و لزومها واضح من السياق .

يزيد بن معاوية[١] . و قيل : كان يزيد يتعاطى الشراب ، وهو القائل :

لولا الحيا لشربتها ما بين زمزم و الحطيم
و جلوتها فى كأسها فوق الصراط المستقيم

[موت الحسن بن على]

[٢]و قيل كان موت الحسن بن على من سمٍّ سم به ، يقال إن زوجته جعدة بنت الأسود بن قيس الكندى سقته إياه . و يذكر و الله أعلم بحقيقة أمورهم أن معاوية[٣] دس إليها بذلك على أن يوجه لها مائة ألف و يزوجها من ابنه يزيد . فلما مات الحسن وفا لها معاوية بالمال ، و قال إنى أحب حياة[٤] يزيد .

و ذكروا أن الحسن قال عند موته : لقد[٥] خاءت[٦] شربته ، و الله

---

(١) زيد فى بن : وكان يزيد هذا أدم شديد الأدمة عظيم القامة بوجهه أثرجدرى بين يبادر بلذاته و يجاهر بمعصيته و يستحسن خطأه و يهون الأمر على نفسه فى دينه إذا صحت له دنياه و كان ممن يتعاطى الشراب – الخ .

(٢) زيد قبل هذه العبارة فى بن : و كان الحسن على بن أبى طالب كنيته أبو محمد صفته كان أحد الشبيهين برسول الله صلى الله عليه و سلم .

(٣) فى بن [١٢٩ : الف] : معوية .

(٤) فى بن : حيوة .

(٥) كذا فى الأصلين ، ولعل صحتها : لئن .

(٦) فى بن : حاقت .

لأوفى[١] لها بما وعد ، و لا صدق فيما قال . و فى سمه يقول رجل من الشيعة [٢]بعد قتل الحسين[٢] :

تعزّ فكم لك من سلوة   تفرج عنك غليل الحزن
بموت النبى و قتل الوصى   و قتل الحسين و سم الحسن

انتهى[٣] .

[فى القطب و الأقطاب]

نعود ، و إنما بدأ القشيرى فى رسالته بالفضيل بن عياض و إبراهيم ابن أدهم ، لأنهما كانا تقدم لهما زمن قطّعة[٤] ، كما قال إن الفضيل كان قاطعا للطريق ، و ابن أدهم كان ملكا ببلخ ، ثم أقبلا على الله تعالى ، فأقبل الله[٥] عليهما ، فبدأ بذكرهما فى رسالته بسطا لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت منهم المخالفات ، ثم رجعوا إلى استقراع أبواب العنايات. إذ لو بدأ فى رسالته بالجنيد و سهل بن عبد الله التسترى و عتبة الغلام و المحاسى و أمثالهم ، منهم[٦] ممن نشأ فى طريق الله[٦] ، لقال قائل : [٧]و هل يدرك هؤلاء الذى لم تسبق[٧] منهم زلات ، و لم تتقدم منهم مخالفات ؟

(١) فى بن : لأوفا .
(٢-٢) ساقطة من بن .
(٣) فى بن زيد ما يلى : و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب سبب قتل الحسين وكيفية قتله إن شاء الله تعالى - انتهى .
(٤) كذا فى الأصلين ، و لعلها « قطيعة » .
(٥) زيد فى بن : تعالى . (٦) ساقطة من بن .
(٧-٧) فى بن : و من يدرك الذين لم تقبل .

و سئل

و سئل الشيخ[1] أبو الحسن الشاذلى ، قيل له : يا سيدى ، لمَ بدأ صاحب الرسالة بابراهيم بن أدهم دون غيره ؟ و ربما كان غيره مقدما عليه فى التاريخ . فقال : لأن إبراهيم بن أدهم كان من ملوك الدنيا ، فأصبح و هو كذلك ، فجاء وقت الظهر و هو من الأولياء ، فبدأ به صاحب الرسالة ليُعلم أن فضل الله ليس بعمل . وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى من الأقطاب . [١٧٩ : الف] و القطب[2] هو الغوث . و القطب هو الذى تدور عليه الرحا و الكرة . و قطب الكون هو الرجل الذى لأجله وجد الكون و عليه مدار كونية الدارين . و لكل[3] عصر قطب و هو صاحب الوقت . و قطب الأقطاب هو الذى لم يكن قبله و لابعده مثله ، و هو محمد صلى الله عليه و سلم . و هذا فى الحقيقة لم يزل فى العلم الأزل . كذلك الأوتاد[4] أربعة على أربعة جهات العالم . و الأبدال[5] سبعة على حكم أيام الأسبوع و الكواكب السيارة ، و سموا[6] أبدالا لأنه إذا مات الغوث الذى هو القطب بدله واحد منهم . قال بزرجمهر حكيم الفرس : إن شئت أن تصير من جملة الأبـدال فحول أخلاقك إلى أخلاق الأطفال . فقيل له : كيف ذلك ؟ فقال : فى الأطفال خمس[7] خصال لو كانت فى الكبار لكانوا أبدالا ، و هى : انهم لايغتمون للرزق ، و إذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم ، و أنهم لايأكلون الطعام مجتمعين ، و إذا تخاصموا لم يتحاقدوا و سارعوا إلى الصلح ، و أنهم يخوفون فيخافون بأدنى تخويف و تدمع أعينهم ـ انتهى[8] .

(١) ساقطة من بر . (٢) فى بن : القطب ـ و بهامش بر : القطب .
(٣) فى بن : لكل . (٤) فى هامش بر : الأوتاد .
(٥) فى بن : الأبدال ـ و بهامش بر أيضا : الأبدال . (٦) فى بن : سموا .
(٧) فى هامش الأصل : مناقب الأطفال . (٨) فى بن : آخره .

[١]او للقطب رجلان عن يمين و شمال ، فهو بهم ثلاث[١] . و الأوتاد بهم[٢] سبعة . فالعالم وجد لغاية هى قطب الأقطاب ، فابتدأ مترقيا حتى ظهرت ، ثم ينحط إلى أن ينفد ظهور أرباب الكمالات الذين هم أقطاب أعصارهم بعده كما كانوا قبله . فاذا توجهوا إلى الآخرة[٣] خربت الدنيا ، لأنها لم تكن إلا من أجلهم ، و هم من أجل الغوث .
و قد قال ابن الفارض :

فى دارت الأفلاك فاعجب لقطبها الـ ـمُحيط بها و القطب مركز نقطة

المعنى : لما كنت[٤] سبب وجودها ، و غاية ظهورها ، كنت قطبها . و لما كانت بما فيها مسخرة لى ، و كلها صور صفاتى[٥] ، كنت محيطا بها[٢] إحاطة الإنسان بالحيوان و النبات و المعدن ، لا إحاطة الإناء بالماء – انتهى .

[عود إلى جزر بحر الروم]

نعود إلى[٦] الجزر . - جزيرة رواد[٧] قريبة من ساحل الشام .

(١-١) ساقطة من بن .
(٢) ساقطة من بن .
(٣) فى بن : آخره .
(٤) فى بن : كانت .
(٥) فى بن : صفاتى .
(٦) زيد فى بن : ذكر .
(٧) و كانت تدعى قديما Aradus بالقرب من Tortosa على الساحل السورى . و اسمها القديم Antaradus

و كانت الفرنج [١] بها قاطنين، تعبث فيها بمراكب المسلمين المارة بهم فى البحر، فرفع أمرها إلى السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاون [٢]، فأرسل لها مراكب فيها الرجال الشجعان، قتلوا أهلها و أخربوها إلى الآن.

جزيرة اغرَوْه و هى مقابلة لبوقير فى البحر الملح. و بوقير ظاهر الإسكندرية، و هذه الجزيرة ترسى مراكب الفرنج بساحلها [٣]، يستقون منها ماء الأمطار المتحصل فيها فى الأماكن المنخفضة منها، و يتوارون بجبالها عن نظر المتوكلين [١٧٩ : ب] بحراسة مينة بوقير [٤]، فلما فهم [٥] المسلمون منهم ذلك غوروا [٦] طرق الماء حتى صارت الأمطار إذا انحدرت من جبالها تجرى إلى البحر الملح تنصب فيه [٧]، فصارت الجزيرة المذكورة خالية من الماء العذب دائما.

و جزر بحر الروم كثيرة يطول الكلام عليها، و هى كثيرة [٨] فى البحر الأخضر، ذكر بطليموس الفيلسوف أن فيه سبعة و عشرين ألف جزيرة،

(١) فى بن : قاطبين بها .

(٢) و كان حكمه على ثلاثة دفعات ٦٩٣ – ٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ – ١٢٩٤ م و ٦٩٨ – ٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ – ١٣٠٨ م و ٧٠٩ – ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ – ١٣٤٠ م .

(٣) عن بن [١٢٩ : ب]، و الكلمة ساقطة من بر .

(٤) فى بن : أبى قير

(٥) فى الأصلين : فهمت .

(٦) فى بن : مضوا إليها و غوروا .

(٧) زيد فى بن : بسرعة .

(٨) فى بن : كبيرة .

و كذلك الجزر كثيرة فى البحر الزفتى . و البحر الأعظم يحيط بالأرض من جميع الجهات تتفرع منه البحار ،و منها البحر الآخذ من المغرب إلى الجنوب . و يأخذ من المغرب إلى القلزم ، و يمر إلى أرض السند و الهند ، و منه جناح يأخذ إلى بلاد فارس . و البحر الرومى يأخذ من أنطاكية إلى أقصى بلاد المغرب ، و هناك يلتقى بالبحر المظلم ، و بحر الهند هو البحر الحبشى و هو بحر الصين[١] . و الكلام على البحار و الأنهار[٢] و الجزر[٢]، يطول[٣] ، فلنقتصر على هذا القدر[٤] .

[عود إلى مرثاة ابن أبى حجلة]

و[٥] لنرجع الآن إلى قوله[٥] ابن أبى حجلة فى مرثيته :

و من لى بفرسان الجزيرة عند ما[٦] تعامل أهل الكفر فى البحر بالنحر

يعنى بها جزيرة الأندلس أو المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء بالأندلس . و الأندلس فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . و كانت[٧]

(١) زيد فى بن : و فيه جزر كثيرة .

(٢) عن بن، و الكلمة ساقطة من بر .

(٣) زيد فى بن : ذكرها .

(٤) زيد فى بن : و سيأتى ذكر الأنهار و ما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

(٥–٥) فى بن : نعود إلى ما قاله .

(٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد فى بن : «المدينة المعروفة» بالجزيرة الخضراء – أى Algeciras فى اسبانيا .

الجزيرة الخضراء للمسلمين ، فحاصرها[1] الفرنج نحو السنتين ، فخرج[2] أهلها المسلمون منها لطول الحصار و لعدم القوت سالمين من أسر الفرنج الكافرين ، و ذلك أن الفرنج أرسلوا يقولوا[3] للمسلمين : إن اخترتم الحصار حاصرناكم طويلا إلى أن تموتوا جوعا و عطشا ، و إن أردتم الخروج من البلد بأموالكم و حريمكم و ذراريكم من غير أن يتعرض أحدمنا لكم فعلنا ذلك ، و ما قصدنا إلا البلد خاصة . فتشاور[4] المسلمون فيما بينهم و قالوا : إن البلد تُخلَف بغيرها[5] ، و الرجال لا تخلف إذا هلكت . فخرجوا منها و تركوها لهم بعد أن أمَّنهم ملك الإفرنج على أنفسهم و أموالهم و حريمهم و ذراريهم . فخرجوا منها ينجرّون[6] بين عساكر الإفرنج ، قد أخلت الإفرنج[7] لهم طريقا ينصرفون[8] منها ، فصاروا سائرين فى تلك الطريق[9] من غير معارض لهم ، فبينما هم كذلك و إذا بعلج محتشم[10] تعرّض لامرأة جميلة معها[11] أمها ، فقبض على يدها و مضى بها إلى خيمته ، فصرخت أمها ، فسمع ملك الإفرنج[7] من سرادقه[12] صراخا عاليا مستمرا[12] ، فسأل عنه ، فأعلم بالخبر ، فادعى بالمرأة الصارخة و سأل

(١) فى الأصلين : فحاصرتها . (٢) فى الأصلين : فخرجت .
(٣) زيد بهامش بن : لأهلها ، و فى الأصلين الكلمة : يقولوا .
(٤) فى الأصلين : فتشاور . (٥) ساقطة من بن .
(٦) فى الأصلين : ينجروا – بمعنى الانسحاب و السير بصعوبة .
(٧) فى بن : الفرنج .
(٨) فى الأصلين : ينصرموا .
(٩) زيد فى بن : التى بينهم .
(١٠) زيد فى بن : من أكابرهم .
(١١) فى بن : مع .
(١٢–١٢) فى بن : صراحها .

عن أمرها و ما سبب صراخها، فقالت: أيها الملك أنت قد أمنّتنا [١٨٠: الف] على أنفسنا[1]، و قد [2]أخذت ابنتي[2] منى. قال: من أخذها؟ قالت: رجل من أصحابكم صفته كذا و كذا، فادعى الملك به فحضر. فقال: الآن تحضر [3]ابنة هذه[3] المرأة[3]. فأحضرت[4] سريعا، فقال[5] له

٥ الملك: أما سمعت أماننا للسلمين؟ و إنا[6] إذا أعطينا الأمان وفينا به، و لم نغدر و لم ننكث، و أنك قد غدرت و خالفت و فعلت الفعل القبيح، و خرجت عن شرع المسيح؛ انزعوا ماله منه جميعه حتى ملبوسه الذى عليه. فامتثل أمره، فقال: [7]أعطوا ذلك كله للمرأة[7] و ابنتها ليتطهر هذا الباغى من الغدر الذى غدره، و الكدر الذى كدره فى دين النصرانية

١٠ و ابتدعه بهمته الشيطانية. [8]فقبضنا حينئذ[8] مال العلج المذكور، و مضتا بالفرح و السرور، فاستغنتا بعد فقر، مع طول حصر. و ارتحل[9]

(١) زيد فى بن [١٣٠: ألف]: و حريمنا و أموالنا و أولادنا و العهود منكم الوفاء و عدم الغدر فيما تؤمنون به من أردتم أمانه.

(٢-٢) ساقطة من بن.

(٣) زيد فى بن: المأخوذه.

(٤) ساقطة من بن.

(٥) فى بن: فلما احضرها.

(٦) فى بن: أما تعلم أنا.

(٧-٧) فى بن: اعطوه لتلك المرأة.

(٨-٨) فأخذا.

(٩) فى بن: و انتقلت، و الكلمة فى بر: و ارتحلت.

الفرنج من ظاهر البلد [١]سكنته و ملكته[١] ، فأقاموا[٢] به نحو الثلاثين سنة ، و رجع البلد بعد ذلك للسلمين . و سيأتى ذكر كيفية رجوعهم إليه إن شاء الله تعالى .

[السلطان أبو الحسن على بن يعقوب المرينى]

و كان السلطان أبو الحسن على[٣] بن يعقوب المرينى[٤] صاحب مدينة فاس و أعمالها حاصر مدينة تلمسان بأرض المغرب مدة سنتين ، و بنى[٥] إلى جانبها مدينة و سماها المنصورة ، و قال: لا أبرح حتى أملكها . و [٦]كان صاحبها[٦] إذ ذاك أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى[٧] بن عمران ابن زيان العبد الوادى ، و كانوا ملوكا أحرارا[٨] ، و كان أبو الحسن المرينى [٩]أصوله عبيدا[٩] ، فأرسل خطب فاطمة بنت أبى تاشفين[١٠] ،

(١–١) فى بن : الى باطنه و ملكته و استوطنته

(٢) فى بن : قاموا .

(٣) زيد فى بن : بن عثمن بن يوسف .

(٤) المرينى أى Merinid و هو سلطان مراكش و حكمه ٧٣١ – ٧٤٩ هـ/١٣٣١ – ١٣٤٨ م .

(٥) كذا فى بن ، و هى فى بر : بنا .

(٦–٦) ساقطة من بن .

(٧) زيد فى بن : بن زيان .

(٨) زيد فى بن : فقال لهم بنو عبد الواد .

(٩–٩) فى بن : أسود اللون أمه جارية حبشية .

(١٠) جائز أن يكون ابو تاشفين عبد الرحمن الثانى الزيدى سلطان تلمسان =

فرد رسوله و قال: نحن أحرار لم نزوج بناتنا من [١]أصله عبدا[١]. فاتكا له[٢] أبو الحسن[٣]، ثم إن أبا تاشفين أرسل وزراءه و قواده إلى مدينة تونس يحاربون[٤] سلطانها أبا بكر[٥]. فلما قدموا إليها هرب منهم أبو بكر لكثرتهم و قوتهم، فاستغلبوا على تونس، و أخذوا زوجته بنت الرصافى و أولاده و حريمه، و نهبوا بعض أمواله، و رجعوا إلى تلسان، فحصلت العداوة بين صاحب تلسان و صاحب تونس. فأرسل أبو الحسن المرينى صاحب[٦] فاس خطب فاطمة بنت أبي بكر صاحب تونس، فزوجه بها نكاية فى أبي تاشفين[٧]. ثم إن أبا الحسن حاصر تلسان بسبب فعله بصهره[٨] و بما رد به رسوله إليه من نسبته

= و هو المذكور فيما بعد بهذا النص من الجزائر و حكمه ٧٨٨ - ٧٩٦ هـ/١٣٨٦-١٣٩٣ م. و هنالك أيضا ابو عمر تاشفين المرينى و حكمه ٧٦٢ - ٧٦٣ هـ/١٣٦١م و تاريخه أقرب لتاريخ الحسن. فى بن: قاشين المذكور.

(١-١) فى بن: ابن جارية.

(٢) فى بر: لها.

(٣) زيد فى بن: المرينى.

(٤) فى الأصلين: يحاربوا.

(٥) من المعلوم أن الاحتلال المرينى لتونس كان سنة ٧٤٧ هـ/ ١٣٤٦ م و سلطانها وقتئذ كان أبو حفص عمر الثانى و هو خلف ابى يحيى أبي بكر المتوكل و حكمه ٧١٨ - ٧٤٧ هـ/١٣١٨ - ١٣٤٦ م.

(٦) زيد فى بن: مدينة فاس و أعمالها.

(٧) زيد فى بن: صاحب تلمسان.

(٨) زيد فى بن: أبي بكر.

لأصوله

[1]لأصوله الغير أحرار[1] ، فطالت محاصرته لها حتى ملكها[2] ، و ذلك أن أبا تاشفين كان مشتغلا باللذات ، مستغرقا فى الشهوات ، و سماع أصوات الغانيات ، عــلى حسّ الدفوف[3] و النايات . و لم يباشر الحرب بنفسه [4]نحو سنة[4] من حين حصاره . و كان يقول لحريمه[5] : و الله لا سلّمتكن[6] لأبى الحسن أبدا ، فاذا [١٨٠ : ب] غلبت ذبحتكن[7] فنصب أبو الحسن المجانيق على البلد ، فجعل على باب كشوط سبعة[8] مجانيق ، و على باب الجياد ثلاثة ، و فى باب العقبة اثنين ، و فى باب القرمادين[9] اثنين ، و صار[10] يبنى الحائط بعد الحائط لتمنع السهام التى تأتى من رماة السور ، إلى أن هدم مواضع[11] من السور[12] و دخلها . فلما رأى أبو تاشفين الغلبة أتى

(١-١) فى بن : إلى أمه الحبشية و سواد لونه .
(٢) زيد فى بن : بعد سنتين من حصاره لها .
(٣) فى بن : المزاهر .
(٤-٤) ساقطة من بن .
(٥) زيد فى بن : و جواره .
(٦) كذا فى بن و هى فى بر : سلمتكم .
(٧) كذا فى بن ، و فى بر : ذبحتكم . و زيد فى بن : عن آخركن .
(٨) فى الأصلين : سبع .
(٩) فى بن : باب القرادين ــ و لعله الصواب .
(١٠) واردة فى بن و ساقطة من بر .
(١١) كذا فى بن و هى فى بر بألف التنوين .
(١٢) فى بن : سورها .

[١] إلى حريمه[١] بسيفه يقتلهن[٢] كما وعدهن[٣]، فغلقن[٤] الأبواب فى وجهه فسلمن[٥]. فقبض عليه أبو الحسن فقتله صبرا، وأخذ أمواله قهرا[٦]. فلما فتحها أبو الحسن فى[٧] العشر الآخير من رمضان[٧] سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، قويت سلطنته، ووقعت[٨] فى القلوب هيبته، فملك البلاد، وأطاعته العباد، وفزعت منه الفرنج التى بجزيرة الأندلس. [٩] فلما كان بعد[٩] ذلك حدثته نفسه بجهاد الفرنج ومحو آثارهم منها، وأن يجعلها دار إسلام ليصير له بذلك الذكر على طول الأيام، فجهّز الجيوش وجمع المقاتلة وعدّى[١٠] بها من زقاق سبتة[١١]، وذلك فى بضع وأربعين

(١-١) ساقطة من بن.
(٢) كذا فى بن، وهى فى بر: يقتلهم.
(٣) كذا فى بن، وهى فى بر: وعدهم.
(٤) كذا فى بن، وهى فى بر: فغلقوا.
(٥) فى الأصل بر: فسلموا، وفى بن: فسلمن منه.
(٦) زيد فى بن: وحريمه أسرى.
(٧-٧) ساقطة من بن [١٣٠ : ب].
(٨) فى بن: ووقع.
(٩-٩) فى بن: فعند.
(١٠) كذا فى بن وهى فى بر: عدا.
(١١) زيد فى بن: وهو الخليج الذى حفره الإسكندر المتقدم ذكره وكان دخول جيش ابى الحسن المذكور الجزيرة المذكورة فى بضع - الخ - وكلمة «وذلك» فى بر ساقطة من بن.

و سبعمائة . و قد تبعه من المسلمين[1] خلق كثير بنسائهم و ذراريهم، قاصدين أرض النصارى يسكنون[2] ديارهم، و يتسعون[3] بنهب أموالهم [4]و زراعة أراضيهم[4] . [5]فكان جيشه كما[5] قيل مائتى ألف مقاتل . و تبع ذلك الجيش من المقاتلة المتطوعة أضعافها[6] . و استصحب أبو[7] الحسن معه زوجته فاطمة بنت السلطان أبي بكر[8] و حريمه و خزائن أمواله، ليملك البلاد و يخليها من النصارى[9] أهل العناد[9] بقتله فيهم الكبير و الصغير، و يطهر جزيرة الأندلس من الخمر و الخنزير، و يمحو[10] منها[11] الصليب، و يجعلها سكنى لكل عبد منيب . فلما تكامل جيشه بجزيرة الأندلس اجتمع به سلطان المسلمين بها، و هو المعروف بابن الأحمر،

---

(١) زيد في بن : المرابطين .

(٢) كذا في بن، و هي في بر : يسكنوا .

(٣) كذا في بن، و هي في بر : و يتسعوا .

(٤-٤) في بن : و زرعهم لأراضيهم .

(٥-٥) في بن : و كان جيش أبي الحسن على ما .

(٦) زيد في بن : و أضعافها .

(٧) في الأصلين : أبا .

(٨) زيد في بن : صاحب تونس .

(٩-٩) زيد في بن : الضلال و العناد .

(١٠) في الأصلين : يمحى .

(١١) زيد في بن : دين .

وكرسى مملكته مدينة غرناطه، و جارى عادة المسلمين[1] بها و بأعمالها يحاربون النصارى، و النصارى تحاربهم أيضا، فتارة لهم و تارة عليهم، فتغنم كل طائفة غلبت من الطائفة المغلوبة[2]، فاذا وقع بينهم الصلح، يصير المسلم يحرث فى أرضه، و النصرانى يحرث فى أرضه المجاورة لأرض المسلم، بينهما حدّ[3] الزرع، لا يعارض الواحد الآخر.

قيل[4] لبعض المسلمين المجاورين لأرض النصارى[5]: اما تخشون مكر النصارى و خبثهم؟ فقال: كيف نخشاهم و الذى يحبونا يحمينا، لولا الحباية سقطت الحماية.

[ذكر الزراعة]

و إذ قد ذكرت الزراعة، فلنذكر ما قيل فيها، و نرجع إلى خبر أبى الحسن المذكور[7] إن شاء الله تعالى. يقال لموضع الزرع مزرعة و مزدرع[8]، و الزرع أيضا طرح [١٨١ : الف] الحب فى الأرض، و الزرع أيضا الإنبات. يقال زرعه الله أى أنبته، و منه قوله تعالى :

(١) زيد فى بن: القاطنين.
(٢) زيد فى بن: الأخرى.
(٣) ساقطة من بن.
(٤) فى بن: فقيل.
(٥) زيد فى بن: فى الزراعة.
(٦) فى الأصلين: يحيينا.
(٧) زيد فى بن: فى غزواته تلك.
(٨) فى بن: و مزدرعا.

أ أنتم

" أ أنتم تزرعونه أم نحن الزّرعون [١] " . و يقال للصبى : زرعه الله أى – جبره ، و فى الصحيح من حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يغرس مسلم غرسا ، و لا يزرع زرعا ، فيأكل منه إنسان ، و لا طائر ولا دابة و لا شيء ، إلا كانت له صدقة » و الزارع [٢] يقال له الكافر ، و الجمع كفار ، قال الله تعالى : " كمثل غيث أعجب الكفار نباته [٣] " ، و الكفر ضد الإيمان ، و الكفران جحود النعمة ، و الكافور نوع من الطيب ؛ و الكافور كمّ العنب قبل أن ينوّر ، و سمى كافورا لأنه كفَر الوليع أى غطّاه ، و الكفر من الأرض ما بعد عن الناس لايكاد ينزله ولا يمر به أحد ، و من حل بتلك المواضع فهم الكفور – و يقال للكفور القرى واحدها كفر – انتهى .

[حروب أبى الحسن المرينى و ابن الأحمر فى الأندلس]

نعود إلى ما كنا فيه من ذكر غزوة أبى الحسن المرينى لنصارى الأندلس ، و ذلك أنه لما كملت جيوشه بجزيرة الأندلس ، [بن ١٣٠ : ب] [٤] نصب لأبى

---

(١) قرآن كريم ٥٦ : ٦٤ .

(٢) وردت فى بن بسقوط الواو .

(٣) قرآن كريم ٤٨ : ١٩ .

(٤) هذا القسم ساقط من بر ، و لكنه وارد فى بن ، ويظهر من السياق أن الكلام يكتمل به ولذلك آثرنا إدراجه فى النص [بن ١٣٠ : ب – ١٣١ : الف] .

الحسن قبة عالية من الخشب فى وطاقه، فلما صعدها و رأى ذلك العسكر العظيم الذى فرش الأرض أعجبته نفسه لما رأى من كثرة الخلائق التى اتبعته بعيالها و ذراريها ليقاتل [بن ١٣١ : الف] كل رجل عن حريمه و لا يفر، فلما نزل من القبة إلى الأرض لحقه الإعجاب فأخذ مزراقه و هزّه و قال: لا مزراق أعلا من هذا المزراق فى هذا اليوم . فكان قوله ذاك سبب خذلانه، ولو ترك الإعجاب و تواضع لرب الارباب نصره العزيز الوهاب، و لكنه صار كما قال الشاعر :

ما طار طير و ارتفع	الا كما طار وقــــع

عن الشيخ أبى يعقوب السائح قال: أقمت مدة ثلاثين سنة سائحا فى الجبال و كانت الأحوال تطرقنى فأهيم على وجهى مجردا و تسفى علىّ الرياح إلى أن بقى فوق جلدى جلد آخر من الوسخ فجاءنى ذئب فنظر إلى مبتسما و لحس جلدى كله حتى تركه كالجمار ثم ذهب عنى، فداخلنى العجب فرجع الذئب إلىّ و نظر إلىّ مغضبا ثم بال علىّ و انصرف فأتيت عين ماء فاغتسلت و قلت هذا جزاء الإعجـاب أن تبول على المعجب الذئاب - انتهى .

[1]ثم إن الملكين أبا الحسن المرينى و ابن الأحمر[2] اتفقا و سارا[3] يقصدان قطع جادة الكفر فاجتازا[4] فى طريقهما بمدينة للنصارى يقال

(١- ١) العبارة ساقطة من بر، وواردة فى بن .
(٢) فى الأصلين : ابو .
(٣) فى بر : و صارا - و صححتها من بن .
(٤) فى بر : فاجتازوا - صححتها من بن .

لها طريف، فقال السلطان ابن الأحمر للسلطان أبي الحسن: افتح بنا هذه المدينة و لا تتركها خلفنا. فقال أبو الحسن: هذه أقل وأذل من أن نبتدئ[1] بفتحها، وإن بها الأموال الكثيرة، و[2] نخشى أن نفتحها أولا، ينهب العسكر أموالها، [3]فاذا أخذناها اجتمعت لنا أموالها[3]، و لا[4] نبتدئ الآن إلا بمثل مدينة[5] قرطبة و إشبيلية و طليطلة و أشباهها. و أعجبته نفسه بما معه من العساكر التي هي كالبحر الزاخر. و لم يخطر بباله في ذلك الوقت إلا أنه هو المنصور، على كل رجس كفور، [6]و لم يذكر[6] حينئذ قوله تعالى: " و يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا و ضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين[7] ". ثم إن أبا الحسن نصب سرادقه و وطاقه بأميال يسيرة من مدينة طريف، و ترك هناك خزائن أمواله و حريمه و طائفة من رحاله. و كانت النصارى التي بطريف لما عاينوا جيوش المسلمين ينجرون[8] كالسيل في النهار[9] و الليل. أيقنوا بالذل

(١) كذا في بن وهي في بر: يبتدى.
(٢) واو العطف ساقطة من بن.
(٣ - ٣) الجملة ساقطة من بن.
(٤) في بن: و لسنا.
(٥) ساقطة من بن.
(٦ - ٦) عن بن، و في بر: لا ذكر.
(٧) قرآن كريم ٩ : ٢٥.
(٨) في الأصلين: ينجروا.
(٩) في بن: بالنهار.

و الويل ، و صاروا من الفزع حيارى[1] ، و قالوا ذهب[2] و حق المسيح ملك[3] النصارى فغلقوا أبوابها ، و أقاموا ينتظرون الموت ، عند وقع[4] الصوت . و كان ملك النصارى المعروف بالفنش[5] ، و هو أول ملوك النصارى السبعة التى بالأندلس ، قد اهتز لجيش أبى الحسن ، و فزع منه و قال : ذهب ملك النصرانية ، و انقضت دولة الرومانية [١٨١ : ب] و انقرضت أهل ماء المعمودية ، و غلبت الملة الحنيفية ، على جميع ممالك الملة المسيحية[6] . فصار فى حزن وهموم ، بسبب انقضاء دولة الروم . ثم سأل عن مدينة طريف هل هى سالمة[7] أم لا ؟ فقيل له : إنها سالمة . لم يحصل لها من جيش المسلمين ضرر ، و أهلها مقيمون بها . فقال : إن فيها خمسة آلاف مقاتل ، و يمضى إليها خمسة آلاف أخرى ، فأرسلهم لها من غير طريق[8]

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن : ذهبت .

(٣) فى بن : دولة .

(٤) ع بن : وقوع .

(٥) الغالب انه الفونس الرابع « الجسود » Alfonso IV—The Brave و حكمه ١٣٢٥ – ١٣٥٧ . و من المواقع المعروفة فى هذا العهد التى انهزم فيها المسلمون موقعة سلادى salade سنة ١٣٤٠ م تحالف فيها ملوك قشطاله Castille و البرتغال .

(٦) زيد هنا فى بن : وعادت الجزيرة الأندلسية جميعها إسلاميه كما صارت البلاد الشامية والديار المصرية والاسكندرية كذلك و صار الفنش فى حزن ـ الخ .

(٧) زيد فى بن : من معرة هذا الجيش .

(٨) فى بن : أن يعلم جيش .

أبى الحسن

أبى الحسن . و حرج الفنش بعساكره من مدينة إشبيلية ، و كان الفنش قدم القول مع الخمسة آلاف التى أرسلهم بجدة لطريف ، أن تكونوا أنتم و الخمسة آلاف التى بها من وراء عسكر المسلمين ، و نحن من بين أيديهم ، و تعتمدوا على [1]نهب سرادقات[1] أبى الحسن و وطاقه[2] ، و تقتلوا من فيه ، و تأخذوا خزائن أمواله[3] [4]فان فى ذلك ذلته و كسرته[4] ، فخرج جيش مدينة طريف العشرة آلاف مقاتل و من تبعهم من نصارى البلد فى الليل ، كبسوا الوطاق [5]الذى به حريم أبى الحسن و خزائن أمواله[5] ، فملكوا الخزائن و الحريم بعد قتلهم لمن كان به من حماته ، فأتى الخبر إلى أبى[6] الحسن بذلك ، فعلم أنه هالك مع ما وقع فى جيشه من الغلاء الكبير لكثرة الخلائق التى معه ، فزحف الفنش على أبى الحسن و ابن الأحمر مع زحف مقاتلة أهل مدينة طريف من [7]خلفهما كسرهما فلما انكسر جيش المسلمين قتل منه كثير من العالمين[7] ، و شرد من شره فى القفار و البرارى

(١-١) كذا فى بن ، و فى الأصل بر « سرادق » فقط .

(٢) زيد فى بن : الذى تركه حلفه بعد أن تقتلوه (كذا) من فيه - الخ .

(٣) زيد فى بن : و سائر أحواله .

(٤-٤) فى بن : فان فعلتم ذلك فهو سبب حذلانه .

(٥-٥) فى بن : و اجالوا على من فيه السيف .

(٦) فى بر : « ابو » ، و صححتها من بن .

(٧-٧) فى بن [١٢١ : ب] : خلفهم كسروه و قتل من المسلمين كثير .

و أسر[1] الفرنج الحريم[2] و الذرارى . فرجع السلطان ابن الأحمر طالبا مدينة غرناطة مهزوما ، وكذلك أبو الحسن رجع مهموما مغموما ، قد نهبت خزائنه ، و أسرت فاطمة[1] زوجته ، فانكسرت همته ، و طالت حسرته ، فعدّى من زقاق سبتة ، و أتى مدينة فاس فى نكاية و بهتة .

هذا ما كان منه ، و أما ما كان من زوجته فاطمة بنت السلطان أبى بكر صاحب[3] تونس ، فانها أمرت جواريها و خدمها أن يقاتلوا معها من يأتيهم من الفرنج يأخذهم ، فلما أتاها[4] الفرنج بكثرتهم ، لم تستطع قتالهم ، فقالت عند ذلك : لا يأخذنى إلا ابن ملك ، لأنى بنت ملك و زوجة ملك ، فأتوا إليها [5]على ما قيل بابن الملك[5] الفنش ، و قالوا له تسلم بيدك بنت ملك المسلمين ، و تمتع[6] بزوجة ملك المسلمين و تهنّ بها أيها الملك [7]و ابن الملك[7] . فمد يده مسك[8] بيدها ليمضى بها ، فضربته بسكين كانت أعدتها له ، فوقعت فى بطنه [9]شقته ، فخرجت[9]

(١) فى الأصلين : و أسرت .
(٢) واردة فى بن ، و ساقطة من بر .
(٣) زيد فى بن : مدينة .
(٤) فى بر : أتتها ، و فى بن : اتت اليها .
(٥-٥) فى بن : كما قال بابن ملك .
(٦) زيد فى بن : فى خلوتك .
(٧-٧) ساقطة من بن .
(٨) فى بن : ابن الملك فاخذ .
(٩-٩) فى بن : فشقته فبرزت .

حشوته بارزة[1] ممزقة ، فوقع[2] على وجهه يتشحط فى دمه[3] . فلما رأت مماليكه و غلمانه ما فعلته به ، وثبوا عليها بسيوفهم[1] قتلوها مع [١٨٢ : الف] جواريها ، فمُتْنَ كريمات شهيدات . فحصل[4] للفنش بقتلها لولده نكاية ظاهرة[4] بما فعلته تلك الحرّة الطاهرة . فبلغ فعلها ذلك زوجها أبا الحسن فترحّم عليها ، و أعجبه فعلها . فأرسل خطب أختها من أبيها و تزوج بها . و حصل له الندم الأكبر ، لمخالفته للسلطان ابن الأحمر ، فى تأخيره فتح مدينة طريف التى تركها خلفه ، حتى جاءه العدو من بين يديه و من خلفه .

و كان أبو الحسن لما دخل الأندلس[5] معه من الجيوش[6] الكثيرة و العساكر[7] المجرورة ، أعجبته نفسه و اغتر بتلك الجنود ، [8] التى هى كالدود فكان إعجابه بنفسه ، مضرة عليه و على حريمه و عرسه ، و لو جعل اعتزازه بالله ، و سلم أمره إلى الله ، انتصر و ما انكسر ، و انجبر و ما انقهر[8] . و لله در القائل حيث يقول :

---

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن : و وقع .

(٣) زيد فى بن : و يتخبط فى عندمه .

(٤) فى بن : و حصل .

(٥) زيد فى بن : بما .

(٦) فى بن : العساكر .

(٧) فى بن : و الجيوش .

(٨-٨) فى بن : كما تقدم .

ليكن بربك كل عزك   يستقر و يثبت
فاذا اعتززت بمن يمو   ت فان عزك ميت

و فى منثور الحكم «اغترّ [1]من اعتزّ بغير الله[1]، فالعزيز من أعزه الله، و الذليل من أذله الله». و ليس من التعزيز و التذلل[2] بأيدى المخلوقين شيء، فان الله تعالى يعز من يشاء، و يذل من يشاء. ألا ترى [3]أن إخوة يوسف أرادوا إذلال يوسف، فأذلهم الله عز وجل[3]، و أعزه حتى قاموا بين يديه، و قالوا: «يأيها العزيز مسنا و أهلنا الضر[4]». و اعلم أن من تعزز بالله لم يذله سلطان، و من [5]توكل عليه[5] لم يضره شيطان. قال الشيخ أبو مَدين: الحق تعالى[6] مطالع على السرائر و الظواهر فى كل نفس و حال، فأيما قلب رآه مؤثرا له حفظه من طوارق المحن، و مضلات الفتن. و الأعمال بالنيات معناه[6] أن العبادات التى [7]ينتفع بها[7] عند الله، ما أخلصت النية فيه لله، و لايزال المؤمن يكابد دنياه، حتى يلقى مولاه، جبر الله صدع[8] قلوبنا، و غفر عظيم ذنوبنا، و جعلنا من أوليائه و أهل طاعته.

روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: «لو لم تذنبوا

(١-١) كذا فى بن و هو الصواب، و فى بر: بمن اعتز.
(٢) فى بن: و التذليل.
(٣-٣) فى بن: الى اخوة يوسف لما أرادوا إذلاله أذلهم الله تعالى.
(٤) قرآن كريم ١٢: ٨٨.
(٥-٥) فى بن: استعان بالله.
(٦) الكلمة ساقطة من بن.
(٧-٧) فى بن تنفع.
(٨) ساقطة من بر، و واردة فى بن.

لخشيت عليكم أكثر من ذلك العجب العجب » . عن مطرق قال : لَأَنْ أبيت نائما، و أصبح نادما ، أحبّ إلىّ من أن أبيت قائما ، و أصبحَ معجبا . و روى أن عمر بن الخطاب رضى الله[1] عنه لما قدم الشام ، لقيه جنوده[2] و عليه إزار و عمامة ، و هو آخذ برأس راحلته ، و يخوض الماء و قد [3]خلع نعليه و جعلهما تحت إبطيه[3] ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين الآن تلقاك الجنود و بطارقة الشام[4] و أنت على هذا الحال . فقال : إنا قوم أعزّنا الله بالإسلام فلم نلتمس عزّا بغيره . قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : و الله ما رأيت العزّ إلا فى رفع الهمة عن الخلق . [١٨٢ : ب] و قد رأيت كلبا فى محجة الإسكندرية و معى شىء من الخبز ، فوضعته بين يديه ، فلم يلتفت إليه ، فاذا يقول فى سرى - أفّ لمن يكون الكلب أزهد منه . و اعلم أن رفع الهمة عن الخلق شأن أهل الطريق ، و صفة أهل التخصيص و لقد سئل الجنيد : أيزنى العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا . و لله در القائل :

حرام على من وحّد الله ربّه و أفردَه أن يجتدى أحدا رفدا
و يا صاحبى قف لى مع الحق وقفة أموت بها وجدا و أحيى بها وجدا
و قل لملوك الأرض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يُباع و لا يُهدَى

و كان من تواضع عمر[5] رضى الله عنه أنه كان فى خلافته يلبس جبّة

(١) زيد فى بن : تعالى .
(٢) فى بن : الجنود .
(٣-٣) فى بن : أخذ بنعليه وجعلها تحت إبطه .
(٤) فى بن : الروم .
(٥) زيد فى بن : بن الخطاب .

صوف مرقوعة[١] و يمر بالنّوى فيلتقطه ويلقيه فى منازل الناس لينتفعوا[٢] به[٣]، و كان يطوف بالليل وحده عسسا. [٤]و مناقب عمر كثيرة تقدم منها لمع[٥]، و سيأتى منها أيضا إن شاء الله تعالى. انتهى.

[تبادل الرسائل و القذف بين الفنش و المرينى]

نعود إلى ذكر مكاتبة الفنش ملك النصارى للسلطان أبى الحسن المرينى بعد ظفره بعسكره[٦]، و جواب أبى[٧] الحسن عنها، و ذلك أن نصارى الأندلس[٨] لما ظفروا بالمسلمين[٩] أسروا منهم فى كسرة السلطان أبى الحسن [١٠]خلائق كثيرة[١٠]. قيل إنهم أسروا من أولاد المسلمين أربعة و عشرين ألف صبى و صبية. و أما الرجال و النساء فلم يُعْلَم لهم عدد، [١١]منهم من قتل، ومنهم من أسر[١١]. ثم إن الفنش اللعين، الكلب المستهين، كتب كتابا أرسله للسلطان أبى الحسن المرينى صاحب مدينتى

(١) فى بن: مرقعة.

(٢) فى بن: ينتفعوا.

(٣) زيد فى بن: وأكل فى الرمادة الخبز والزيت حتى حال.

(٤) ساقطة من بن من هنا إلى «إن شاء الله تعالى».

(٥) فى بر: لمعا.

(٦) فى بن: بعسكر أبى الحسن.

(٧) كذا فى بن، و هى فى بر: ابو.

(٨) فى هامش بر: كتاب ملك النصارى.

(٩) ساقطة من بر، وواردة فى بن.

(١٠-١٠) فى بن: خلق كثير.

(١١-١١) فى بن: من أسر منهم.

فاس و تلمسان و أعمالها يقول فيه: باسمك اللهم فاطر السماوات و الأرض، و مخرج النبات، و محيي العظام و هي رفات، و العالم بما مضى و ما هو آت، و صلى الله على الفصيح، صاحب الدين الصحيح، و المنهج القويم الرجيح، عيسى بن مريم المسيح، الذي تزنّر بالزنار، و قفا أثر الحواريين و الأنصار، و صلى من الجهات شرقا، لربّ يقا. من الأمير الفنش بن الأمير جانه صاحب قشتيلية و طليطلة و قرطبة و إشبيلية، إلى أمير المسلمين أبي الحسن المريني. ـ أما بعد، أيها الأمير فانه لا يخفى على كل[1] ذي لُبّ عازب، و ذهن ثاقب، أنك أمير المملكة الحنيفية، كما أنا صاحب المملكة النصرانية. و[2] قد تعلم أيها الملك ما أصحابكم عليه بالأندلس من التخاذل و التواكل، و إهمالهم الرعية، وجورهم في القضية، و ما بأيديهم من بلاد الأندلس، فأنا[3] أسيمهم بسيمة الخسف، و أشينهم بشيمة[4] [١٨٣ : الف] العسف، فأخرب البلاد، و أقتل العباد، و أسبي الحريم و الأولاد، و أقتل الشباب و الرجال، و أذيقهم مُرّ النكال، وثبت عندكم أنّا نحن الكفرة، بل أنتم الشياطين الفجرة، سلّطنا عليكم من بيده أمور مقدّرة، و أحكام مدبرة، فكثيركم عندنا قليل، و عزيزكم عندنا ذليل. من طلب أماننا سلم، و من رام حربنا خسر و ندم. أكلتم الحرام و أظهرتم البدع،

---

(١) ساقطة من بن. (٢) واو العطف ساقطة من بن.
(٣) في بن: فا ـ و هو خطأ قلمي.
(٤) في بن: بشينة.

فدعاؤكم

فدعاؤكم عندنا[1] لا يجاب و لا ينفع . و أنتم تزعمون أنكم تهمون[2] بنصرهم ، و تساعدون ابن الأحمر علينا ، و تصلون[3] شركم إلينا . فما نعلم هذا الجبن أبطا بكم ، أو تكذيبا لما نزل على نبيكم ، و قد قلتم إنه نزل [4]على نبيكم[4] فى كتابكم أنه كتب[5] الله على كل واحد منكم عشرة منا ، و لكن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفا ، و قد صار كل واحد منا يغلب منكم ألفا . و أنتم تزعمون أنكم لم تجدوا للجواز من خليج سبتة سبيلا ، و أمر الحزم عندكم بخيلا . و الآن [6]أبدى لكم ما فيه الكفاية ، و أبث لكم ما فيه النهاية[6] ، و أرشد عليكم بالدليل[7] و البرهان ، و أحلف عليكم[8] بأعظم الأيمان ، على ما فى أيديكم من القطائع و الطرائد و الأجفان ، تسوقونها[9] بأيديكم[10] ، فان كان الغلب لكم[10] فنعمة أنعمها الله عليكم ، و إن كان الغلب لنا ، فجاء لمثلكم الأحزان ، و شاط لكم النيران ، لأن

---

(١) فى بن : علينا .

(٢) فى بن : تنقمون .

(٣) فى الأصلين : تصلوا .

(٤-٤) ساقطة من بن .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) فى بن : أبث لكم ما فيه الكفاية و أبدى لكم ما فيه النهاية .

(٧) فى بن : الدليل .

(٨) فى بن : لكم .

(٩) كذا فى بن ، و هى فى بن : تسوموها .

(١٠) ساقطة من بر ، و واردة فى بن [١٣٢ : ب] .

نساءكم[١] فى أيدينا، و أولادكم خول[٢] لنا، و قد تنتت بلادنا من خبث القتلى، و قد أصبح عقدكم منحلا، و قد رثينا بما نزل بكم من الشنار، و ما تركتم فى الملة الحنيفية من العار، لأنكم تزعمون أنكم تغلبون. فلما تراءت الفئتان ولّيتم الأدبار، دون طعان و لا نضال[٣]. و لقد حلفنا بالصليب الأكبر، وكتابنا الإنجيل الأشهر، لا رجعنا حتى نأخذ حصونكم و أموالكم و اليمن[٤] و الشام، و يحير منكم الأوهام. و الله الموفق لإسعاده و المحب لمن اختار من عباده.

فلما وقف السلطان أبو الحسن المرينى على كتاب الفنش، أمر برد الجواب، بأحسن خطاب، [٥]فكتب جواب الكتاب[٥]: من أمير المسلمين [٦]ابن أمير المسلمين[٦] على بن يعقوب [٧]بن العباس[٧] المرينى إلى الأمير[٨] الفنش ابن جانه صاحب المملكة النصرانية، دمرها الله تعالى و سلبها عزها، و أباد

---

(١) فى بر: نساوكم، و فى بن: نساكم.
(٢) فى بن: خدم.
(٣) زيد فى بن: و لا قتال.
(٤) ساقطة من بن.
(٥-٥) فى بن: فأمر أرباب الفصاحة و البلاغة أن يجاربوه بأحسن جواب وأبلغ خطاب فأجاب كل واحد بجواب فلم يعجبه إلا جواب طالب علم فقير، فلما وقف على جوابه ألقى الأجوبة كلها و أمر بجواب ذلك الطالب بعد أن أحسن اليه وأثنى عليه و قدمه على غيره، و آمده بطوله و خيره، وكان جواب الكاتب.
(٦-٦) مكررة فى بن.
(٧-٧) ساقطة من بن. (٨) فى بن: أمير.

ركزها . أما بعد ، أيها الامير ، الكافر بالعليم الخبير ! فقد وصل كتابك ، و فهمنا خطابك ، و ما حدثتم به نفوسكم الكاذبة ، و ظنونكم الخائبة ، من الوعد و الوعيد ، و الحركة و التشديد ، و قد وصفتم أصحابنا أهل الأندلس بأنهم أهل الذل ، وهم قد[1] أهلكوكم بالأسر[2] و القتل[1] ، فهم و الله الرجال و أبناء الرجال ، و الدليل على هذا بيان صبرهم لشركم ، و إقامتهم مجاورين [١٨٣ : ب] لأرضكم ، و قتلهم أكثركم ، فكم قتلوا منكم رجالا ، و سلبوا منكم عيالا ، و أذاقوكم كأس النكال . فأورثهم الله الظفر[3] بكم ، و أورثهم بلادكم و أرضكم . و أما فخركم بالهزيمة ، و ما[4] تحصل بأيديكم من السلب و الغنيمة ، فتلك عادة الله فينا و فيكم ، فلم يزل يبتلينا و يبتليكم ، حتى يعلم المجاهدين ، و يزيد أجر المحسنين ، فهى فى أيديكم أمانة ، حتى تأخذها بالإهانة . و قد نزل على سيد المرسلين ﷺ و الناس: "و تلك الأيام نداولها بين الناس[5]" . و أما قولكم إنا ولينا الأدبار ، دون طعن[6] ولا نضال ، فقد داخلنا العجب حتى ضيعنا الرجال ، فلم تخطروا لنا على بال ، حتى عرفتم طرق الاحتيال ، فمن مات منا مات شهيدا ، و من عاش منا عاش سعيدا . فلا بد لنا من الكرة ، و إطفاء تلك

(١-١) فى بر: أهلكوا بالقتل ، و العبارة كذلك فى بن وهى الأصح كما أخذناها بالنص .
(٢) فى اصلين : بالأصر .
(٣) فى بن : الحصر .
(٤) ساقطه من بن .
(٥) قرآن كريم ٣ : ١٤٠ .
(٦) فى بن : طعان .

الجرة. فان كان النصر لنا فنعمة من الله، و إن كانت الأخرى فشيئا فى سبيل الله. فأمور المسلمين باقية، و سيوفهم بالموت قاضية. فلا بد من فتح بركم، و إطفاء ناركم. و قد كان لكم اليمن و الشام فى الزمن السابق، و ملكتم [1] المغارب و المشارق[1]، و الحصون و المدائن، و المواضع و الأماكن، فنزعناها [2] من أيديكم، و نصرنا عليكم و أخرجناكم، و ملكنا الله مصر و الشام و اليمن إلى البحرين و أشحطناكم[3] من بلادكم، و أذقناكم الشين، فصرتم منا منفيين، إلى أطراف البلاد منجليين. فلو وجدنا الطريق لكم مبينا، أرسلنا لكم عذابا مهينا. و أما قولكم إن الله كتب على كل واحد منا قتال اثنين منكم و الرجل منا[4] يلقى[5] ألفا بقوة الإيمان، و ما وعد الله عز و جل من الثواب [6] فى جنة الرضوان[6]. بل[7] الأندلس عشر من أعشاركم، فقد قتلوا [8] أمراءكم و كبراءكم[8]. فها[9] نحن عائدون، [10] وعلى مقابلتكم عازمون[10]. فينصر الله من يشاء من عباده، و يورثه أرضه و بلاده. و السلام على من اتبع الهدى، و أطاع الملك الأعلى.

(١-١) فى بن: المشارق و المغارب.
(٢) فى بن: فنزعناهم.
(٣) فى بن: و اشخصناكم.
(٤) ساقطة من بن.
(٥) فى بن: يلقا.
(٦-٦) ساقطة من بن
(٧) فى بن: فى بلد.
(٨-٨) فى بر: أمراؤكم وكبراؤكم. ـ و فى بن: امراكم وكبراكم.
(٩) فى بر: فهذا. ـ و صححتها فى بن كما فى النص.
(١٠-١٠) فى بن: على مقاتلتكم.

[غزوة الأندلس سنة ٧٦٨]

قال المؤلف غفر الله له [1] و لوالديـــه ، و للأقربين إليه ، و لجميع المسلمين[1] : وردت الأخبار من الأندلس إلى الإسكندرية بأن المسلمين انتصرت على الفنش و جنوده الكافرين ، و ذلك[2] فى سنة ثمان و ستين و سبعمائة[3] ، و أخذوا منهم[4] تلك الأمانة بالإهانة ، و قتلوا من الإفرنج[5] أضعاف ما قتلت الإفرنج[5] من المسلمين فى كسرة السلطان أبى الحسن و [6] ابن الأحمر[6] ، و حرثوا مدنهم بالبقر . ثم أن المسلمين فتحوا[7] بالأندلس أيضا[7] المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء[8] المتقدم ذكر أخذ الفرنج لها من أيدى المسلمين [9] بطول المحاصرة[9] ، فأخرج[10] المسلمون الفرنج منها ذليلين حقيرين ، بعد أن أقاموا فيها ثلاثين سنة . و قد زرعوا أرضها زيتونا ، و لم يكن [١٨٤ : الف] شجر الزيتون قبل ذلك بها[2] . و زرعوا

(١–١) ساقطة من بن [١٣٣ : الف] .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) فى هامش بر : سنة ٧٦٨ قتلوا من الإفرنج .
(٤) فى بن : منه .
(٥) فى بن : الفرنج .
(٦–٦) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .
(٧) زيد فى بن : أيضا .
(٨) أى مدينة Algeciras .
(٩–٩) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .
(١٠) فى الأصلين : فأخرجت .

أيضا بها البساتين و الكروم ، و زادوا فى عمارة أرضها و دورها . فلما فتحها المسلمون [1]فى سنة إحدى و سبعين و سبعمائة[1] ، رسم السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر [2]سلطان الأندلس[2] أن ينادى فى البلاد أن كل من له دار بباطنها أو أرض[3] بظاهرها أو مزرعة بأراضيها يمضى إليها و يأخذها إن كان حيا ، و إلا ورثته تقتسمها[4] على حكم الفريضة الشرعية [5]إن كان ميتا[5] من غير منازع و لا مدافع . فرجع[6] أهلها المسلمون إليها سكنوها[7] و استوطنوها . فمن كان فقيرا استغنى بما صنع الله له على يد الفرنج الكافرين . و من كان غنيا زادت أمواله بالألوف و المئين ، فخاب سعى الفرنج الضالين ، و صاروا على ما تعبوا عليه و[8] بانشائه لأنفسهم[8] نادمين ، لعنة الله[9] عليهم أجمعين . [10]فان قيل كيف قدر[11] المسلمون على الإقامة بجزيرة الأندلس فى مسيرة سبعة أيام و النصارى فى مسيرة سبعة[12] شهور و فيها من النصارى

(١-١) ساقطة من بن ، و ورد بهامش بر : فلما فتحها المسلمون سنة ٧٧١.

(٢-٢) ساقطة من بر ، و واردة فى بن . و قد ذكره لسان الدين بن الخطيب فى « كتاب أعمال الأعلام » تحقيق ليفى بروفنسال (بيروت ١٩٥٦) ص ٢٨٧ - ٢٩١ .

(٣) فى الأصلين : دارا . . . أو أرضا . (٤) فى بن : يقتسمونها .

(٥-٥) ساقطة من بر ، و واردة فى بن . (٦) فى الأصلين : فرجعت .

(٧) فى بن : و سكنوا بها . (٨-٨) عن بن ، و فى بر : و أنشوه لأنفسهم .

(٩) زيد فى بن : تعالى .

(١٠) من هنا تبدأ عبارة زائدة فى بن وساقطة من بر وقد آثرنا ادماجها فى النص لاستقامة السياق بذكرها .

(١١) فى الأصلين : قدرت . (١٢) فى الأصلين : سبع .

ما لا يحصى كثرة و المسلمون شرذمة قليلة؟ قيل ان ملوك النصارى السالفة غزاهم المسلمون[1] فحصل للنصارى الهيبة منهم فتركوا محاربتهم لما تيقنوا أنهم كلما غزوهم خذلوا. فلذلك تركهم[2] النصارى مقيمين[3] معهم فى جزيرتهم حتى كانت وقعة أبى الحسن المرينى، فانتصر[4] النصارى على المسلمين و ذلك لإعجاب أبى الحسن بنفسه فى تلك الغزوة التى ظن أنه لم يكن ملك بالأرض إلا و هو دونه لكثرة جيوشه - انتهى[5].

و اعلم أن الأندلس درب الإسلام و حصنه، ليس وراء أهله المسلمين[6] إلا الكفرة الضالون، و العرش يهتز من تكبير المسلمين المقيمين. و ذلك لما روى عن [7]أبى أيوب[7] الأنصارى قال: بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس ذات يوم إذ توجه تلقاء المغرب و سلم و أشار بيده، فقيل له[8]: على من يا رسول[9] الله سلمت و أشرت بيدك إليه؟ قال: "رجال من أمتى يكونون فى هذا المغرب الأقصى بجزيرة يقال لها الأندلس، حيهم مرابط، و ميتهم شهيد[10]". و هم ممن استثنى الله فى كتابه فى قوله تعالى:

(١) فى الأصل [بن١٣٣: الف]: غزوهم المسلمين.
(٢) فى الأصلين: تركتهم.   (٣) فى الأصل [بن]: مقيمون.
(٤) فى الأصلين: فانتصرت.
(٥) هنا تنتهى الزيادة من بن و يستأنف الأصل بر فيما يلى.
(٦) فى بر: المسلمون... و صححتها فى بن.
(٧-٧) عن بن، و فى بر: أبى موسى.
(٨) كلمة «له» مشطوبة فى بر و يستقيم بها السياق.
(٩) فى الأصل: يرسول... و "سلمت" وردت فى بن قبلها.
(١٠) فى الهامش: مطلب، قوله تعالى "فصعق من فى السموات" - الآية بسورة الزمر، فى حق أهل الأندلس، فهم آمنون من الصعق.

"و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الأرض إلا من شاء الله[١]" فهم آمنون من الصعق .

قال الشيخ أبو العباس المرسى : كنت ليلة من الليالى جالسا بالإسكندرية أكتب كتابا لبعض أصحابنا ، و إذا بالشيخ البشتيلى[٢] فى الهواء ، فقلت : إلى أين انتهت سياحتك فى هذه الليلة ؟ فقال : خرجت من بشتيل[٣] القناطر ، و انتهيت إلى جبال الزيتون بالمغرب[٤] الأقصى ، و أنا أريد أن أذهب إلى بيت المقدس ، و أعود إلى بلدى ، و لو بسطت لى أكثر من ذلك لانبسطت . قال الشيخ أبو العباس فقلت[٥] : ليس الشأن أن تذهب إلى جبال الزيتون و تعود من ليلتك ، و لكن أنا الساعة [٦]لو أردت[٦] آخذ بيدك و أضعك على جبل قاف و أنا هاهنا فعلت .

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله[٧] : سمعت الشيخ أبا العباس

(١) قرآن كريم ٣٩ : ٦٧ .
(٢) فى الأصلين : البشتيلى . انظر الحاشية التالية فى أصل اشتقاق الكلمة .
(٣) بشتيل من نواحى مركز امبابه بمديرية الجيزة .
(٤) فى بن : بالغرب .
(٥) ساقطة من بن .
(٦–٦) فى بن [١٣٣ : ب] : إن أردت أن .
(٧) فى بن : ابن عطا .

المرسى يقول: كنت و أنا صبي عند المؤدب جاء[1] رجل فوجدني أ كتب في لوح، فقال لي[2]: الصوف[3] لا يسود بياضا . قال فقلت له: ليس الأمر كما زعمت، و لكن يسود بياض الصحائف بسواد الذنوب . [4] قال [١٨٤ : ب] فسكت و لم يبد جوابا[4] . قال ابن عطاء: دخلت[5] عليه و قد جاء من السفر لأسلم عليه، قال: يا أحمد كان الله لك و لطف بك و سلك بك سبيل أوليائه و بهاك بين خلقه، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء – انتهى .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة]

نعود إلى قول ابن أبي حجلة في مرثيته:

على أن في مصر على الجيش قائد يبيت و لا يعطى القياد على القسر[6]

يعني بالقائد المذكور الأمير الأتابكي يلبغا الخاسكي، قائد الجيوش المنصورة . أي لا يقيم على الذل و القهر، بعد أن جرى على الإسكندرية في أيام عزه و حكمه ما جرى . فعزم على عمارة المراكب الحربية،

(١) في بن: جاءني .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن: الصوفي .

(٤–٤) ساقطة من بر، و واردة في بن .

(٥) في بن: و دخلت .

(٦) في بن [١٢٣ : ب]: الكفر .

و اجتهد

و اجتهد [1] فى عمل [1] الأسلحة المنكية، و السفر إلى الجزيرة القبرسية، يطهرها [2] من الصليب و الخنزير، بعد قتل من فيها من كبير و صغير. و يسكنها للمسلمين [3]، أو يجعلها خرابا على مر السنين [4]. و لعل أن يظفره الله تعالى بصاحبها ريير الملعون، يذيقه العذاب الهون [5]، و يقتله بسيفه البتار، كما قتل الملك المهراج [6] لصاحب قمار [7].

[قصة ملك قمار و المهراج]

و ذالك أن ملك قمار من أرض الهند، و من هذه المملكة و الصقع [8] يحمل العود القمارى و إليها يضاف، [9] و أن ملك قمار [9] جلس يوما فى

(١) فى بن: فيها و عمل.

(٢) فى بن: ليطهرها.

(٣) زيد فى بن: يقيمون بها الدين.

(٤) زيد فى بن: لتصير مأوى البوم و الجرادين.

(٥) زيد فى بر: من هذه ــ و الجملة مشطوبة و زائدة.

(٦) أى المهراجا: Maharaja.

(٧) انظر ذكر هذه القصة فى «مروج الذهب» للمسعودى (ج١ ص١٧٠-١٧٥) و قد جاء فى «معجم البلدان» لياقوت أن «قمار بالفتح و يروى بالكسر، ينسب إليه العود، هكذا تقول العامة، و الذى ذكره أهل المعرفة قامرون موضع فى بلاد الهند يعرف منه العود النهاية فى الجودة». راجع أيضا دائرة المعارف الاسلامية تحت موضوع Zabag و كذلك كتاب Georges Coedes: The Making of South East Asia. Tr. H. M. Wright. (Berkeley, University of California Press 1966).

(٨) فى بر: و الصعق. و صحتها كما جاءت فى بن و أوردناها فى النص.

(٩-٩) ساقطة من بر، و واردة فى بن و بها تكتمل الجملة.

قصره على سرير ملكه ، [1] و هو مشرف [1] على نهر عظيم [2] يجرى بالماء العذب ، و بين قصره و البحر الملح مسيرة يوم ، و وزيره بين يديه ، إذ قال لوزيره و قد جرى ذكر مملكة المهراج و جلالتها ، و كثرة عمارتها [3] ، و ما تحت يده من الجزائر : فى نفسى شهوة كنت أحب بلوغها . فقال له الوزير و كان ناصحا : و ما هى أيها الملك ؟ فقال : كنت أحب أن أرى رأس المهراج ملك الجزائر [4] كالزابج و كله و سرنده [4] فى طشت بين يدى . فعلم الوزير أن الحسد أثار هذا الفكر فى نفسه ، و أخطر هذا بباله ، فقال : أيها الملك ما كنت أحب أن يحدث الملك نفسه بهذا ، إذ لم يجر بيننا و بين هؤلاء القوم من [5] قديم الزمان وحديثه ترة و لا رأينا منهم سوءا ، و هم [2] فى جزائر نائية عنا ، غير مجاورين لنا فى أرضنا ، و لا طامعين فى ملكنا . و بين مملكة القمار [6] و مملكة المهراج عشرة ايام إلى عشرين يوما عرضا فى البحر الملح . ثم قال له الوزير : ليس ينبغى أيها الملك أن يقف على هذا أحد ، و لا يعيد الملك فيه قولا . فغضب

(١-١) الجملة ساقطة من بن .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) فى بن : عماراتها .

(٤-٤) فى بن : كالرابج و ككه و سرنده . و الغالب أنها أسماء بعض الجزائر التابعة لساحل الهند و قد وردت فى « معجم البلدان » و قيل إنها تابعة للجزائر المعروفة فى أيامنا باندونيسيا .

(٥) فى بن : فى .

(٦) فى بن : قمار .

و لم يسمع من الناصح ، و أذاع ذلك لقواده ، و من كان يحضره من وجوه أصحابه ، فنقلته الألسن حتى شاع و اتصل بالملك[1] المهراج[2] . و كان المهراج جزلا متحركا ، قد بلغ من السن مبلغا متوسطا . و كان ملك القمار حدث السن لم يجرب الأمور . فدعا الملك المهراج بوزيره ، و أخبره بما اتصل به ، و قال : إنه ليس يجب مع ما قد شاع من أمر هذا الجاهل و تمنيه ما تمنى[3] [١٨٥ : الف] بحداثة سنّه و غرته ، و انتشار ذلك من قوله ، أن يمسك عنه ، فان ذلك مما يقدح فى الملك و يضع منه . و أمره ستر ما جرى بينهما ، و أن يعدّ له ألف مركب من أوساط المراكب بالأنهار ، و ينتدب لكل مركب من حملة السلاح و فَرَهة الرجال ما يستقل به ، و أظهر أنه يريد التنزه فى جزائر مملكته ، و كتب إلى نوّابه الذين هم فى هذه الجزائر و تحت طاعته و جملته بما عزم عليه من زيارتهم ، و التنزه بجزائرهم ، حتى شاع ذلك ، و تأهب كل صاحب جزيرة بما يصلح للملك المهراج . فلما استتمت أموره ، و انتظمت مراكبه ، دخل المراكب ، و عبر بها بالجيش إلى مملكة القمار ، فطرح رجاله من المراكب ، و أحدقوا به[4] على سبيل غرة ، فاحتوى على داره ، و صار[5]

(١) فى بن : لملك .
(٢) زيد فى بن : فقال الوزير لا قوة إلا بالله ، نصحته فلم ينتصح كما وعظ بعضهم سكرانا ، فقال أما يستحى أن يعظ سكرانا .
(٣) فى الأصلين : تمنا .
(٤) فى بن [١٣٤ : الف] : بملك القمار .
(٥) فى الأصلين : و طار ــ و واضح أنه خطأ قلمى .

أهل المملكة بين يدى المهراج ، فأمر بالنداء بالأمان ، و جلس على السرير الذى كان يجلس عليه ملك القمار [1] ، و قد أخذه أسيرا ، فأحضره و أحضر وزيره ، فقال للملك : ما حملك على تمنى ما ليس فى وسعك و لا لك فيه حظ لَوْ نِلته ، و لا أوجبه سبب يسهل السبيل إليه . فلم يجد جوابا ، و قال [2] المهراج : أما أنك لو تمنيت مع ما تمنيتـــه من النظر إلى رأسى فى طشت بين يديك إباحة أرضها أو ملكها أو الفساد فى شيء منها لاستعملت ذلك فيك ، و لكنك تمنيت شيئا بعينه ، فأنا فاعله بك ، و راجع إلى بلدى من غير أن أمدّ يدا إلى شيء من بلدك ، مما قلّ وجلّ ليكون عظة لمن بعدك ، و لا يتجاوز كل قدره ، و ما قسم له ، و أن يستغنم العافية من لبسته . ثم ضرب عنقه ، و أقبل على وزيره ، و قال [3] : جزيت خيرا من وزير ، فقد صح عندى أنك أشرت على صاحبك بالرأى لو قبل منك ، فانظر من يصلح للملك من بعد هـــذا الجاهل [4] فأقيمه [5] مقامه . و انصرف [6] من ساعته [6] راجعا إلى مملكته . فلما رجع إليها و قعد على سريره وضع [7] الطشت بين يديه و فيه رأس ملك القمار

(١) فى بى : قمار .
(٢) فى بن : قال له .
(٣) زيد فى بن : له .
(٤) زائدة فى بن .
(٥) فى بن : فأقمه .
(٦-٦) ساقطة من بن .
(٧) فى بن : و وضع .

و أحضر

و أحضر وجوه مملكته و حدثهم بخبره ، و السبب الذى حمله على ما أقدم عليه ، فدعا له أهل مملكته و جزوه خيرا . و أمر بالرأس فغسل و طيب و جعل فى ظرف و ردّه إلى الملك القائم ببلاد القمار [1] ، و كتب إليه : إن الذى حملنا على ما فعلناه بصاحبك بغيه علينا ، و تأديبا لأمثاله ، و قد بلغنا ما أردناه ، و رأينا رد رأسه إليك ، إذ لا دَرَك لنا فى حبسه ، و لا نخرنا [2] لما ظفرنا به منه . و اتصل الخبر بملوك الهند و الصين ، فعظم المهراج فى أعينهم ، و صارت ملوك القمار من بعد ذلك كلما أصبحت قامت وجوهها نحو بلاد الزابج و سجدت و كفّرت للمهراج تعظيما [١٨٥ : ب] له .

و كذلك الأمير يلبغا الأتابكى إذا ظفر برير القبرسى و قتله و أخرب قبرس بعد أسر من فيها ، خافت جميع الفرنج [3] منه و ارتعبت و أقرت لمملكة الديار المصرية و الشامية بالقوة و الحمية ، كما خاف من جحد و كفر من السلطان أبى عبد الله محمد الشهير بابن الأحمر بما جرى عليهم [4] منه من إخرابه لبلادهم ، و قلعه لأصولهم و أوتادهم و أسره لحريمهم و أولادهم بجزيرة الأندلس ، كما سيأتى ذكر ذلك مفصلا إن شاء الله تعالى [5] . انتهى .

(١) فى بن : قمار .
(٢) فى بن : نفخر .
(٣) فى بن : الإفرنج .
(٤) فى بن : على الإفرنج .
(٥) زيد فى بن : يا جنود الصبر اثبتوا إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، تذكروا عز الأقدام و احذروا هتيكة العزيمة اذا لاحت أعلام التقى لم يبق منزل دون المنزل و يخ المستكبرين من الخطايا ألا يظن أولئك انهم مبعثون (كذا) ليوم عظيم .

[عود إلى مرثاة ابن أبي حجلة و عودة الأمير صلاح الدين بن عرام سنة ٧٦٨]

نعود إلى قول ابن أبي حجلة فى مرثيته :

أقام لنا بالثغر جيشا عرمرما   و فيه ابن عرام المؤيد بالنصر

أقام ، يعنى به الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى مقدم الجيوش المنصورة ، بعث للاسكندرية بعد وقعة القبرسى بها جيشا سعيدا ، حازما شديدا ، يقيم بها لحفظها . و فى ذلك الجيش الأمير صلاح الدين خليل بن عرام واليا بها ، فكان قدومه إليها ثانى ولاية له بها فى شوال سنة ثمان و ستين و سبعمائة ، و ذلك بعد عزل الأمير سيف الدين الأكز[1] منها ، و بعد أن كان شاد الدواوين بالقاهرة ، فنصره الله تعالى على عدوه [2] الوزير الفخر بن قرونيه[2] ، فهو الذى كان السبب فى عزله من الإسكندرية ، كما سيأتى ذكره[3] إن شاء الله تعالى .

و كان الأمير صلاح الدين المذكور فى ولايته الأولى سافر إلى الحجاز الشريف بعد أن استأذن الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى فأذن له فى السفر ، و ولى [4] الأمير يلبغا[4] الأمير جنغرا [5] كما تقدم[5] ذكره نائبا للأمير[6] صلاح الدين بها[3] مدة سفره . فجرى على الإسكندرية

(١-١) وردت هنا فى الأصل : الأكر . ثم جاءت فى ص ٢١٢ : الأكز . و قد وحدناهما كالثانية لإمكان سقوط النقط فى الأولى .
(٢-٢) فى بن [١٣٤ : ب] : و الوزير بالقاهرة ابن قرونيه .
(٣) الكلمة ساقطة من بن (٤-٤) الجملة ساقطة من بن .
(٥-٥) فى بن : المتقدم (٦) فى بن : عن الأمير .

فى غيبته بالحجاز الشريف ما جرى من ظفر الإفرنج[1] بها على يد الأمير جنغرا، كما تقدم ذكره. فلما قدم الأمير صلاح الدين من الحجاز الشريف إلى القاهرة حين الوقعة، أرسله الأمير يلبغا إلى الإسكندرية سرعة ليتقدمه إليها، فدخلها خامس عشرين المحرم رابع يوم الوقعة[2]. فنزع ما كان على سورها من أعلام صلبان النصارى المشركين، ونصب عليها اعلام المسلمين الموحّدين. ووجد أسطول[3] الفرنج محصنا بالبحر، فتيقن العدو الملعون أن النجدة وصلت لما رأى أعلام الصلبان عن[4] السور قلعت، وأعلام المسلمين عليه قد نصبت[5]، فكان[6] فعله ذلك إيهاما لهم. ثم إنه راسلهم مع يهودى يسمى يعقوب فى قارب يقول لصاحب قبرس: إن كنت ملكا فانزل إلى البر، وقابل جيش مصر، وإلا فالذى فعلته ليس هو كفعل[7] [١٨٦ : الف] الملوك، بل فعلت كفعل[7] اللصوص، سرقت وهربت، إلى غير ذلك من القول. فقال: ما سوينا عند ابن عرام أن يراسلنا إلا[8] مع يهودى[9].

(١) فى بن: الفرنج.
(٢) زيد فى بن: سنة سبع وستين وسبعمائة، فنزع - الخ.
(٣) عن بن، والكلمة فى ر: اصطول.
(٤) فى بن: من.
(٥) زيد فى بن: ورفعت.
(٦) فى بن: وكان.
(٧) فى بن: فعل.
(٨) «إلا» وردت فى بن قبل «يراسلنا».
(٩) زيد فى بن: كوهى - والمقصود بالكلمة غامض.

[قصة يعقوب اليهودى مع بطرس لوسنيان]

و حدث الشريف محمد الحسينى قال: حدثنى يعقوب اليهودى المذكور – إنى لما أرسلنى الأمير صلاح الدين لصاحب قبرس ، [1]فتشنى الفرنج ثم كتفونى[1] ، و صار على رأسى افرنجيان معهما سيفان بجردان[2] ، الواحد عن يمينى، و الآخر عن شمالى ، ماشيان معى ، فتحطوا بى أربعين غرابا ملصقة بعضها لبعض ، و أنا أشاهد أسارى الإسكندرية المسلمين و اليهود و النصارى الذميين ، الرجال منهم و النسوان و الإماء [3]و الأطفال و الصبيان[3] ، إلى أن وصلت[4] إلى الملك فى آخر الغربان ، و إذا به جالس[5] فى خيمة كبيرة لها شبابيك مخيطة بها ينظر منها إلى البحر ، وعن يمينه راهب ، و عن يساره آخر[6] . فلما أوقفونى[7] بين يديه قال: من هو هذا ؟ قالوا: رسول أتى من عند الأمير صلاح الدين بن عرام نائب السلطان بالإسكندرية . فقام عند ذلك قائما على قدميه ، [8]وقام الراهبان لقيامه خدمة له . ثم جلس الملك و جلسا بجلوسه[8] . قال ثم قال

(١–١) فى بن: فتشتنى الافرنج ثم كتفتنى .
(٢–٢) فى الأصلين: افرنجيين معهما سيفين مجردين .
(٣–٣) فى بن: و الولدان (٤) فى بن: و صلوا بى (٥) فى الأصلين: جالسا .
(٦) فى بن: راهب . و أغلب الظن أنهما مستشار الملك Philippe de Mezieres و بطريرك القسطنطينية اللاتينى Pierre de Thomas . انظر فى ذلك مؤلفنا بعنوان The Crusade in the Middle Ages (London 1938) .
(٧) ف : وقفوا بى .
(٨–٨) فى بن: و قام الراهبان ثم جلس الملك وجلسا معه . و فى بر: وقامت الرهبان و الأصح ماجاء فى بن فأوردناه بالنص .

الملك

الملك إجلس فجلست . و إذا بين يدى الملك من نسوان الإسكندرية جماعة كبيرة حسان الوجوه ، و على رأس الملك تاج من الذهب[1] بأعلاه جوهرة مضيئة ، و عليه الجوخ[2] الرفيع المزرّر بأزرار الذهب و اللؤلؤ المنظوم . فقال لى : فيم[3] أتيت ؟ فقلت : يقول لك نائب السلطان إن عندنا ثمانية و أربعين إفرنجيا تجارا[4] أعطنا المسلمين و نعطيكم . فقال[5] : سلّم على نائب السلطان و قل له [6]يكتب لنا[6] كل واحد منهم كتابا بخطه[7] الرومى يعرفنا اسمه و اسم أبيه و أمه و كم فى الشهر الرومى من يوم مسك[8] ، فاذا صح لنا ذلك علمنا أنهم بالحياة[9] ، نفديهم بأسارى الإسكندرية ، و ما لنا إقامة إلا إلى غد[10] العصر و نرتحل . قال اليهودى فرجعت أعلمت[11] نائب السلطان بذلك ، و كان[12] المسلمون أخرجوا .

---

(١) فى بن : ذهب .

(٢) ريد فى بن : الاشكالاط .

(٣) فى بن : فيما .

(٤) ساقطة من بر ، وواردة فى بن .

(٥) مطموسة فى بن .

(٦–٦) فى بن : يأمرهم أن يكتبوا لنا خطهم .

(٧) فى بن : بالخط .

(٨) عن بن ، و هى ساقطة من بر .

(٩) فى بن : أحياء .

(١٠) فى الأصلين : غدا .

(١١) فى بن : و اعلمت .

(١٢) فى الأصلين : و كانت .

تلك الفرنج حين الوقعة من الإسكندرية إلى ناحية دمنهور[1] . فلما طلبوا لم يصلوا إلا و الفرنج[2] التى بالمراكب لما عاينوا قدوم عساكر مصر قد أقبلت كالجراد المنتشر لم يلبثوا أن سافروا .

[دخول يلبغا الخاسكى الإسكندرية]

و لما دخل الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى الإسكندرية ، و رأى وشاهد ما آل أمرها إليه من الهدم و الحريق و القتلى المطروحة بظاهرها و باطنها بكى[3] على ما أصابها و أصاب أهلها فى أيام عزه و حكمه . فلاَمَ نفسه على عدم التركيز بها حين بلغه أن العمارة بجزيرة قبرس . و أمر حينئذ الأمير[4] صلاح [١٨٦ : ب] الدين بدفن القتلى فدفنها ، و أمده بالأموال لعمارة ما خرب منها ، فاجتهد فى العمارة ، و شق خندقا إلى جانب السور الذى توصلت منه الفرنج إلى الإسكندرية لم يكن قبل ذلك، فعمّره فى أسرع وقت . و هذا الخندق المتجدد محاذ[5] للوضع المسمى من داخل السور بدار الصناعة[6] و ديوان الخمس ومجارى الأقنية، وصله بالخندق[7] الأصلى الذى أوله ساحل بحر السلسلة و الباب الأخضر إلى

(١) زيد فى بن : رحبوا (كذا ولعلها و ضعوا) بسجنها .

(٢) فى بن : و الإفرنج .

(٣) كذا فى بن [١٣٥ : الف] ، و هى فى بر : بكا .

(٤) كذا فى بن ، و هى فى بر : للأمير .

(٥) فى الأصل : محادى.

(٦) فى بن : الصاغة .

(٧) فى بن : الخندق .

قلعة ضرغام، فزاد من القلعة المذكورة إلى أن وصله بحر[١] المينة الشرقية، و كأن البحر كان فى الزمان القديم يضرب فى السور إلى عند قلعة ضرغام، فلذلك ترك[٢] المتقدمون ذلك الموضع بغير خندق، ثم انطرد البحر عن السور [٣] بعد ذلك[٣]، فصار ذلك المكان بغير خندق، و طال الأمن و عدم الخوف، فأهمل[٤] المسلمون ذلك [٥] الموضع من حفر [٥] خندق. و ضرب الدهر ضرباته لإطالة الزمان وتغير الأوقات و تقلب الدول و صار[٦] المسلمون فى أمان و اطمئنان[٧] ليس عندهم همّ[٨] و لا نكد لإطالة الأمد، فوجد العدو مكانا خاليا من خندق و رجال و عدد كما تقدم ذكر غلق باب الديوان [٩] خوفا من أن تدخل البضائع البلد منه بغير حق[٩]، فتوصل العدو[٨] بسبب غلق بابه و منع المقاتلة من طلوع سوره من تلك الجهة إلى البلد فجاس فى خلال الديار و عربد.

[ولاية صلاح الدين بن عرام الثانية للاسكندرية]

ثم إن الأمير صلاح الدين بن عرام عمر فى ولايته الثانية خندقا

(١) فى بن : بخندق.
(٢) فى الأصلين : تركت.
(٣ — ٣) ساقطة من بن.
(٤) فى الأصلين : فأهملت.
(٥—٥) فى بن : بغير حفر.
(٦) فى الأصلين : و صارت. (٧) فى بن : و اطمانان.
(٨) ساقطة من بر و واردة فى بن.
(٩—٩) فى بن : من داخل البلد خوفا من التجار البضائع (كذا) منه بغير حق وجب عليها.

غربى السور ، و هو المكان المعروف بالمطرق ، أوله قلعة الباب الأخضر وآخره القلعة المجاورة لدار السلطان و باب الخوخة ، وصله بالخندق المحيط بالإسكندرية من جهة البر ، فصار ذلك خندقا و مطرقا و مكمنا لدخول نجدة المسلمين منه فى خفاء ، لإقامة حائطه الذى يلى البحر [1] إلى أن يخرجوا منه على حين غفلة إلى الجزيرة وقت حرب الفرنج إن أتوا لذلك .

ثم إنه عمرّ أيضا المطرق الشرقى المحاذى لدار الإمارة . ثم غرق الحجارة بالمينة الغربية حفظا لمراكب المسلمين ، و زمّ فوهة التغريق بسلسلة ضخمة . و عمل أيضا [2] مشطا حديدا [2] لباب الصناعة الغربية من جهة المطرق المذكور ، تخرج منه الرماة إلى المينة و تدخل منه وقت الحرب ، و أبواب الإسكندرية حينئذ مغلقة . فان دهم العدو المسلمين دخل [3] المسلمون منه بحماية رماة السور التى بأعلاه إياهم [1] إلى أن يدخلوا بأجمعهم . فاذا حصلوا داخله أرخى عقيب دخولهم المشط الحديد الذى [4] لا يرفعه غير المسلمين [4] [١٨٧ : الف] من أعلى [5] السور بالسرياقات الدائرة المحيطة [1] على لوالب الأتراس لثقله و جفوه . و كانت عمارته للطرق الغربى

(١) ساقطة من بن .
(٢-٢) كذا فى بن وهى فى بر: مشط حديد.
(٣) فى الأصلين : دخلت .
(٤–٤) فى بن : يرفع .
(٥) كذا فى بن ، وهى فى بر : أعلا .

و باب

و باب المشط الجديد فى سنة تسع و ستين و سبعمائة . و سيأتى فيما يرد من هـذا الكتاب ذكر تغريق الحجار بمينة [١] بحر السلسلة ، و تاريخ حفره للخندق الجديد البارز عن الخندق العتيق و صفة[٢] حفره إن شاء الله تعالى .

فالأمير صلاح الدين بن عرام المذكور هو الذى غرق الحجار [٣] لحفظ مراكب المسلمين[٣] و حفر الخندق الجديد و المطرقين و ما خرب[٤] من الإسكندرية ، و هو الذى أقام أبواب البحر الأول و الثانى عوضا عن البابين اللذين[٥] أحرقتهما[٦] الفرنج . و كذلك أقام بابى رشيد اللذين[٧] أحرقتهما أهل الاسكندرية حين الوقعة لتجد النجدة الآتية من مصر مكانا مفتوحا تدخل منه إلى قتال الفرنج بها . و كذلك أحرق[٨] المسلمون باب الزهرة لتدخل النجدة منه أيضا . ثم إن الأمير صلاح الدين أقام أيضا أبواب دار الصناعة الشرقية و أبواب الديوان و سد الباب الأخضر و باب الخوخة و باب الزهرى و باب الأقية ، فحصل بعمله المستبين ، النفع

---

(١) فى بن : و مينة ـ مكررة .

(٢) فى بن : وكيفية .

(٣-٣) واردة فى بن [١٣٥ : ب] و ساقطة من بر .

(٤) فى بن : أخربته الفرنج .

(٥) فى بن: اللتان.

(٦) فى بن : حرقتهما.

(٧) فى بن: اللتان ، و فى بر : التى .

(٨) فى الأصلين : أحرقت .

للسلمين [١] وفيه يقول الشاعر [١]:

فالله يحفظه و يحفظ سعيه و يمده ويمده بالخير والبركات
ويديم نعمته على طول المدى [٢] ويحفه بالنصر فى الحركات
و يقرّه فى مستقرّ خالد بحظيرة [٣] الفردوس فى الجنات

ثم إن الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى [٤] طلب الأمير صلاح الدين وولاه بالقاهرة شاد الدواوين، و ولى الأمير سيف الدين الاكز [٥] الاسكندرية، أقام بها سنة واحدة و عزله منها، و أعاد إليها [٦] الأمير صلاح الدين [٧] فى التاريخ المتقدم ذكره. و فى أيام ولاية الأكز ركب على الباب الأخضر أبوابه الثلاثة [١] بعد أن كان مسدودا بالحجر و الجير [١] و ذلك فى يوم الوقعة سنة سبع و ستين و سبعمائة.

[المراثى الأخرى للاسكندرية]

قال المؤلف: [٨] غفر الله له ولوالديه و للاقربين إليه و للسلمين اجمعين [٨]:

(١-١) ساقطة من بر، و واردة فى بن.
(٢) فى بن: المدا.
(٣) فى بن: بحضيرة.
(٤) فى بن: الخاصكى.
(٥) فى بن: الأكر.
(٦) ساقطة من بن.
(٧) زيد فى بن: ابن عرام.
(٨-٨) فى بن: رحمه الله تعالى.

و إذ قد ذكرت ما تيسر ذكره على مرثية ابن أبي حجلة ، فساذكر الآن[١] المراثى التى رثيت بها الإسكندرية إن شاء الله تعالى . فنها قول الشيخ الفاضل أبي عبد الله محمد بن حسن الشاطبي [٢] أسعده الله تعالى[٢] :

همت يا لقومى بالدموع عيون   لمعظم شجوى و انبعاث شجونى
و أمسيت صبّا شاكيا من صبابتى   و صار منآى[٣] اقتراب منونى
أصعّد أنفاسى و أبدى[٤] تأوّهى   لخطب جليل هاج منه أنينى
[١٨٧:ب] إذا جنّ ليلى أقلقتنى خواطرى   كأنى مصاب فى الدجى بجنون
هجرت منامى مذ كسى[٥] جسمى الأسى   و قد ظل تسهيدى حليف جفونى
و من عظم ما بى لو رأتنى معارفى   لتغيير أحوالى لما عرفونى
و قد لامنى قوم لكثر[٦] توله   ببث خطوب طال ما دهمونى
فلو نال عذّالى قليلا من الذى   منيت به فى الدهر ما عذلونى
ألا يا أخلائى اندبوا ويحكم معى   و جودوا بدمع لا يكفّ[٧] هتونى

(١) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٢-٢) فى بن : رحمه الله .

(٣) فى بن : شانى .

(٤) كذا فى بن ، و الكلمة فى بر : و ابدو .

(٥) فى بن : كسا .

(٦) فى بن : لعظم .

(٧) فى بن : لا ينفك .

ومن أعظم الأوصاب[1] أن مسلما[2] غدا ... يحوز و يحوى لا يدين بدين
تجرأ بعد الروم بالنهب عاديا ... و لم يخش ما يلقاه بعد منون
و لم يرتقب سوء الحساب و هوله ... و ضبط حفيظ كاتب و ظنين
إلى الله أشكو جور عادٍ و معتدٍ ... ظلوم أثيم مفسد و خؤون[3]
ألا بأبي يا ثغر قلبي مقلّب ... على جمرات قد أهَجْنَ سكوني
ألا بأبي يا ثغر هل لا تبسّما ... كما قد عهدنا و انبساط فنون
ألا بأبي يا ثغر أين أحبّتي ... أ بعد وصال ما لهم هجروني
نثرت لآلى الدمع حين تناثرت ... لآليك و استحكمت عقد غبوني
دعوت اصطباري و الكرى و تعقّلي ... فلا و أبي يا صاح ما قربوني
و كيف و فقدان الأحبة مُذهلي ... و شأنهم يضنى[4] جميع شؤونى[5]
يقول فقيد الأهل بالحال معلمي ... أ لم تر حزب الشرك قد ملكوني
فها أنا بعد العزّ فى ذلّ أسرهم ... و بعد سراحي فى مضيق[6] سجوني
و بعد انشراحي فى هَنَا لذة المنى ... أقاسي قسيّ القلب غير حنين

(١) فى بر: الأوصاف، و الكلمة أصح فى بن كما فى النص .
(٢) فى الأصلين: مسلم ـ و يقتضى الوزن نقل « غدا » إلى الشطر الأول .
(٣) فى الأصلين : خون، وزيد هنا فى بن :
ألا بأبي يا ثغر اسكنت باطنى ... خبالاً به شدى اضمحل (كذا)
وقد آثرنا ترك البيت فى الهامش لما به من خبل فى اللفظ و المعنى و الوزن .
(٤) كذا فى بن وهى فى بر: يصمى .
(٥) فى الأصول: شؤن .
(٦) فى بن : ضيق .

أبيت الليالى لا فتـــور لمدمعى   و أصبح فى ذلٍ [١]يذوب و هون[١]
وكل أسير كالذى قلت قائـل   فبالله من حسن الدعاء هبُونى
عضضت بنانى عند ذا من تأسّنى   و أسقطت حُزناً فى التراب جبينى
و واصَل نوحى للسهاد[٢] فلا أرى   مصـاحبة بين الـكرى و عيونى
ذرُونى أبـكى كل مسمع[٣] له   حجا و أثير الحزن فيه ذرُونى
فيا ليت شعرى هل لثأرى طالب   يجلى صدًا قلبى بفك رهُونى
/ أيا معشر الإسلام بالله فاضرعُوا[٤]   باخلاص قصد و اصطحاب يقين [ب:١٨٨]
بتمكين أرباب النهى من عدونا   [٥]بنصر و فتــح للأنام[٥] مبين
بحرمة من بالرعب أيّد و انكفا   بكف تراب منـــه أى مكين

و للشاطى أيضا مرثية فى الإسكندرية[٦] و هى:

أى جفن له المنـام يـدانى   عند صدم العدو بالأجفـان
عنْ حرب من الشـام إلى الثغر   ظلتـاهُ خائب الرأى عـانى
[٧]فى خميس[٧] وافا لنـا بخميس   و إلى الجمعــة التـق الجمعَان
و غراب الفراق ينعب[٨] فينا   فرقا من تفرق الغربان[٩]

(١ - ١) فى بر: يدوب و هين ، والأصح كما فى بن بالنص .
(٢) فى بن: الشهاد .
(٣) فى بن: ذى سمع .
(٤) فى بن: فاسرعوا .
(٥ - ٥) فى بن: بفتح قريب للامام .
(٦) زيد فى بن: أول كل بيت منها كآخره .
(٧-٧) فى بن: و خميس .
(٨) فى بن: ينعق .
(٩) فى بن: العربان .

هوّن المسلمون أمر لقاهم   فأذيقوا منهم أشدّ الهوان
سنّ للثغر ذا الخبيث سنانا   فتعدّى[1] بها على الأسنان
مكّن النذل فى الحريم و فى الـ   ـمال و ألقى الأذى بكل مكان
قر الثغر ويله فعليه   لعنة الله ما بدا القمران
أعرب القول بعد ذا فى فريقين   رعاع العوام و العربان
طُعِنوا فى كبودهم بالطوا   عين لأجل الفرار يوم الطعان
[2]و دنوا لانتهاب[2] كل مكان   فى النواحى و كل قاص و دانى
مكن الله منهم كل دان[3]   مستمر الدوام بالإمكان
و علاهم من الضنا و الرزايا   فى حماهم فوق الذى قد علانى

[4]ذكر المرثية التى رثا[4] بها الإسكندرية [5]عقيب الوقعة[5] الشيخ الفاضل[6] أبو[7] عبد الله محمد بن طاهر الأخميمى ، [8]و ما أضيف إليها من أخبار مصر ، و ذكر بعض ملوكها و نيلها و خيرها و بركتها و خصائصها و عجائبها و غير ذلك على سبيل الاستطراد[8]:

(١) فى بن : فتعدّ .
(٢ – ٢) فى بن : و دموا الالتهاب .
(٣) فى بن : دا .
(٤ – ٤) فى بن : و من المراثى التى رثيث .
(٥ – ٥) فى بن : مرثية .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧) فى بن : ابى .
(٨ – ٨) الجملة ساقطة من بن .

حادث

حادث حل أرى الناس العبر فيها قد هال منه يُعتَبرْ
يا له من حادث ما مثله طرق الإسلام من عهد عمر
و بلاء قد دها الناس فلم نر منه قط أدهى و أمر
جرّع الإسلام سما ناقعا وعليهم سيف بغى قد شهر
فلكم أطرش سمعا واعيا[١] ذكره و لكم أعمى بصر
مادت الأرض له و اضطربت ولقد حل بها كل العبر
/ليس رجا للهنا من أوبة لا و لا صفو زمان من كدر [الف: ١٨٩]
و بنو الأصفر فى ثغر الهدى جعلت أسيافهم فيه ثغر
ليس يحيي منهمُ فى أخذه أحد بل كان فى لمح البصر
و أبادوا بالقنا[٢] حماته وإليه كل علج قد عبر
و استباحوا ذمة الله و لم يرْعَ لله ذماما من كفر
لو ترى[٣] العالَمَ لما نظروا جيش أنصار الهدى قد انكسر
و همُ جُفلا من الرعب كما تجفل الأنعام من ليث زأر
و من الأسوار يلقوا أنفسا ليس تخشى من وقوع فى خطر
خيفة الأعداء لما منهمُ كل قلب خاف منه وانذعر
كم أراقوا [٤]من دم فيه[٤] وما رق قلب منهم و لا انزجر

(١) فى بن: واعى.
(٢) فى الأصلين: بالضبا (أو) بالصبا [بن ١٣٦: ب] و واضح أنه خطأ قلمى لا يستقيم به المعنى.
(٣) فى بن: تر.
(٤-٤) فى بن: فيه من دم.

ولكم شيخ تفانى[1] عمره ذبحوه بالمُدا[2] ذبح البقر
وصغير بضّعوه ثم ما رحموا من كفرهم منه الصغر[3]
ولكم طفل نجيب قارئ حسبه من عمره درس السّور
أخذوه ثم لا برحمة أحد منهم إليه قد نظر
وإذا لم ينظر الله له أخرجوه عن هُدى[4] خير البشر
ولكم ستر غدا مُنهتكا وبدا للناس منه ما ستر
ومبانٍ زخرفت أرجاؤها فوّهى ما طال منها واندثر
وغدت بالنار قاعا صفصفا ما يرى من رسمها إلا الأثر
ولكم منها بدُور أخذت هين فى مثلها بذل البدَر
ومن الأموال ما لو قصدوا حصر نزر منه يوما ما[5] انحصر
ولقد أضحى بها من كان فى أعظم العز ذليلا محتقر
قد خلت أوطانه من أنعم وهو من بعدَ الغنى قد افتقر
ليت يوم دخلوه عنوة صبحه الواضح ما كان انفجر
أسفرت غرّته عن فتنة ذهل البادُون منها والحضر
أورثتهم بحر حرب زاخر وقليل منهم عنه صدر

(١) فى بن: تفانا.
(٢) فى بن: بالمدى.
(٣) فى بن: صغر.
(٤) فى بن: يدى.
(٥) فى بن: لما (أو) لما.

غرقوا من هوله فى لجج طاميات من دم قد انهدر
والعدا فى حربهم قد فتحوا باب غدر وسيلق من غدر
/ واستهاب المسلمون حربهم وبدا منهم ملال وضجر [١٨٩:ب]
وعلى الأعقاب ولّوا هربا والعدا ¹من خلفهم¹ تقفو الأثر
قبحها عن² اللّقا تولّية فهى عند الله من إحدى الكبر
لو ³بهم كان³ شجاعا باسلا بقتال ذلك اليوم اشتهر
لمحَى⁴ عن حوزة الدين الردا بالرُّدينيات والعضب الذكر
وحمى ثغر الهدى لكنه فى الدجا يعرف مقدار القمر
وبه كانت تنغاث فرقة من عراب البر قد جاؤا زمر
ينصروا الإسلام لكن فى الوغا لم يكن نجاهم إلا المفر
وهم كانوا عليه ضررا لا لكن⁵ جنغرا أصل الضرر
غرّ بالعالم إذ أخرجهم للقا الأعداء عُبّاد الصور
خارج الأبواب إذ فتّحها وهو منه كان خطأ وغرر
لو على الأسوار أضحى راكبا ثم بالخندق قد أجرى نهر
كان للثغر وقاة والعدا لم تنل منه مدى الدهر وطر

(١-١) فى بن: منهم.
(٢) فى بن: عند.
(٣-٣) فى بن: كان بهم.
(٤) فى بن: لمحا.
(٥) عن بن، وفى بر: ولكن.

بل أضاع المسلمون رأيه   حين لا أسعده حكم القدر
لو أراد الله أن ينصره   كان بالرعب له قد انتصر
لكن الله الذى أخذله   وعليه للأعادى قد نصر
لم يكن فى ذلك اليوم الذى   شره كان على الناس استطر
نفع الإسلام سُور مانع   أحكمت من حكم بانيه المرَر[1]
لا ولا دافع عنهم مدفع   للعدا من ناره يرمى شرر
لا ولا أسلحة معتدّة   للقا الأعداء كانت تدّخر
لا ولا نيران نفط لا وَلا   منجنيق قد رمى ثانى حجر
لا ولا جيش يقول من رأى   فى العدا حَملاته لله دَر
لا ولا عبد تقى قد دعا   بانتصار الدين فى وقت السحر
فلكم سيف نبا من بعد ما   كان فى الصخر لحدّيه أثر
ولكم رمح طويل هزّه   رامح يبغى الطعان فانكسر
ولكم قوس رمى[2] نحو العدا   فأتى فى رميهم عنهم قصر
ولكم من قامة مفلوقة   فلقتها البيض تفليق الشجر
[١٩٠:الف] . /ولكم رأس على وجه الثرى   من على الأبدان تجرى كالأكر
ولكم من سابق فارسه   إذ كبا من فوقه للأرض خر
كل هذا فعل ربّ قادر   كل أمر منه يجرى بقدر
يا لها من كسرة يجبُرُها   من إذا ما شاء للكسر جبر

(١) مطموسة فى بن .
(٢) فى بن : جرى .

بالمقر

بالمقر الأشـــرف العالى الذى   جوده كالشمس فى الأرض انتشر
يلبغا ليث الوغا من سيفـــه   للطغـاة المارقــين لم يـــذر
فارس الإســلام ليث جاسر   و يهاب الليث يومـا إن زأر[1]
فهو للـــدين خفـــير يـقـظ   و الـــذى يخفـر يحمى ما خفر
مُـذ رَقا ما قـد جرى مسمعـــه   حين وافاه من الثغر الخـــبر
سار بالجيش مجدًّا قاصـــدا   ساعه[2] الوقت إليـــه ما فتر
ملأ البـــر جيوشا شوسهـا   من أولى العزم صناديـــد غرر
و خيـول صافنـات ضُمَّـر   للقا الأعـدا لهـا كرٌّ و فـر
قادهـا الليث المصُور[3] يلبغا   من على الدين بمـرأه خفر
يأخـذ الثار من الأعـــدا فلم   يلـق للأعـــداء فى الثغر أثر
بـل همُ لمـا رأوا جيوشـــه   أقبلت[4] لحربهم مثـــل المطر
أيقنـوا [5]أن لا[5] نجاة لهــــمُ   من عظيم حربـــه إلا السفر[6]
و استهابوا الثغر من سَطوتـــه   ثم عنهـمُ بعدوا [7]مـدا النظر[7]
لو عـلى البـــر إليـــه نزلوا   ما نجا من سيفه [7]منهـــم نفر[7]

(١) فى الأصل: أزر، و هو خطأ قلمى واضح، و صححته فى بن [١٣٧ : الف] .
(٢) فى بن: بساعة .
(٣) فى بن: الحضور .
(٤) فى بن: قد أقبلت .
(٥-٥) فى بن: ألا .
(٦) مطموسة فى بر، و وردت فى بن .
(٧-٧) مطموسة فى بر، و واردة فى بن .

وغدوا بالأسر فى قبضته   ونهى فيهم بما شاء وأمر[1]
واشتفت منهم قلوب حرّها   لو على الصخر[2] الأصم لانفطر[2]
فهو سيف للعدا[3] مجرّبٌ   حده دون السيوف مختبر
ولقد أضمر فى نصر الهدى   وسيقضى عن قريب ما ضمر
فاله العرش قد عوّده   منه بالنصر العزيز والظفر
أيها المولى الأمير والذى   من نداه وابل السحب انهمر
إن دين الله أنت سيفه   وعلى نصرتك الدين اقتصر
وإذا ما لم تقم فى نصره   طمع الافرنج فيه والتتر
لا تنم عن نصره واجفو الكرى   واسهر العين فذا وقت السهر
/ وأعمر السفن كثيرا مثل ما   ذلك[4] الكلب اللعين قد عمَر [١٩٠:ب]
وبها للحرب جمل[5] عدد[6]   كى بها اللابس[7] فى الحرب يُسر
لا تكن فى حملها مختصرا   فعدوّ الله فيها ما اختصر

(١) مطموسة فى بر، وواردة فى بن.

(٢-٢) مطموسة فى بر وواردة فى بن.

(٣) فى بر: على العدا. وصحتها فى بن كما أوردناه فى النص.

(٤) فى بن [١٣٧ : الف]: ذالك.

(٥) كذا فى الأصول وقد تكون «حمل» بسقوط نقط الجيم، وواضح أنه بالبيت غموضا ووزنه مكسور.

(٦) فى بن: عددا.

(٧) فى بن: اللبس - والمعنى غامض.

ولتكن أبطالها مشهورة   مثل سيف فى الوغى[1] قد انشهر
من كماة الترك كلّ باسل   ثابت عند اللقا فحل ذكر
وتوجه بهمُ لقبرس   واركز الصنجق فيها فوق بر
وضع السيف ولا تترك سوى   من لتوحيد الإله قد ذكر
واكسر الصلبان واحرق قبرسا   ثم لا تترك [2]بناه من حجر[2]
وخذ السلطان مأسورا كما   لحريم المسلمين قد أسر
واقترح ما شئت فى تعذيبه[3]   فهو كلب للأنام قد عقر
ولأسرى المسلمين ردّهم   لحماهم أيها المولى الأقر[4]
لتكون الآخذ الثار الذى   لك فى الدنيا له عظم الفخر
ثم لم يبق بأرض ملك   بعدها إلا لعُلياك[5] أقر
ويعود الثغر فى الدنيا حمىً   بك يخشاه العدوّ إن حضر
لكن [6] الآن غدت[6] أحواله   حزنا يبكى عليها من نظر
أسف الدنيا على الثغر الذى   كان للعلم الشريف مستقر
كان ركنا للهدى مشيّدا[7]   ولأرباب النهى فيه مقر

(١) فى بن: الوغا.
(٢-٢) فى الأصلين: مبنيا حجر. - ولا يستقيم بها الوزن.
(٣) فى بن: تعيينه.
(٤) كذا فى الأصلين، وربما كانت الكلمة: الأغر.
(٥) فى بن: لعياك.
(٦-٦) فى بن: الاعدا الاعد... وهو خلط واضح.
(٧) فى بن: سيدا.

كان ثغرا بالهنا[1] مبتسما و له دون الثغور يفتقر
كان للملك بـه جلالـة و لـه فخر بـه إذا افتخر
منـه جيد الملك أضحىَ عـاطلا مثل قوسٍ عطّلت منه الوتر
نُكب الإسلام فيـه نكبة أرّخت أخبارها الناس سير
إن يكن حكم القضا أباده و عليـه حادث الـدهر جسر
فـله العقبى بنصر عاجـل من إله العالمين ينتظر
و إذا مـا أنفـذ الله القضـا لم يكن [2] لمخلوق فيه[2] مفر

و قد عارض هذه المرثية الشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد النستراوى بمرثية على قافيتها . و سأذكرها فيما يرد من هذا الكتاب [3]إن شاء الله تعالى[3] .

حدثنى محمد بن طاهر الإخميمى قال : لما كمل نظم هـذه المرثية[4] كتبتها بخط [١٩١ : الف] حسن ، و مضيت بها إلى الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى ، فاستأذنته[5] فى قراءتها ليسمعها[6] ، فأذن لى فى ذلك .

(١) فى بن : بالهنى .
(٢-٢) فى بن : فيه لمخلوق .
(٣-٣) وردت الجملة فى بن بعد «و سأذكرها» . - ثم زيد فى بن [١٣٧ : الف - ب] : و أولها :
خطر فاجأ الورى لما خطر أورث الناس الرزايا و الخطر
قال المؤلف رحمه الله تعالى حدثنى ابو عبد الله محمد بن طاهر الإخميمى - الخ .
(٤) زيد فى بن [١٣٧ : ب] : التى أولها حادث حل أرى العبر .
(٥) فى بن : لستأذنته .
(٦) فى بن : لمجلس حضرته .

فقرأتها

فقرأتها بمجلسه[1]، فاهتز لها و بكى[2] هو و من كان حاضرا بمجلسه، فلما فرغت من قراءتها أخذها، فكانت سببا لقوة عزمه و اجتهاده فى عمارة[1] المراكب الحربية[3] و عمل الأسلحة المنكية - انتهى كلامه.

[عمارة الاسطول المصرى[1] لغزو الفرنج]

ثم إن الأمير[1] يلبغا جدّ فى عمارة المراكب الحربية بمصر و الشام، فجهز منها مائة و خمسين مركبا، منها طرائد للخيل، و شوانى للغزو. فلما كملت[4] المراكب المصرية[5]، و كانت مائة مركب، أشحنها بالرجال و الأبطال، و الأسلحة الثقال، و أمر الغزّ أن تلبس الزرد النضيد، و مصفحات الحديد، بالبر فلبستها، و تسلحت بأسلحتها، و ركبت خيولها و الغز جمع غاز. [6]ثم جذفت المراكب فى النيل، و تبعتها الغزّ بشاطئه[6]، فصار الجيشان[7] البحرى و البرى، كما قال ابن الفارض [8]فى قصيدته التائية[8]:

---

(١) ساقطه من بن.

(٢) فى بن: و بكا.

(٣) زيد فى بر: بمصر و الشام بجهز منها. - ثم شطبت الجملة لورودها فيما بعد بالنص.

(٤) زيد فى بن: عمارة.

(٥) فى بن: التى بنيل مصر.

(٦-٦) ساقطة من بن.

(٧) فى بر: الجيشين. - وفى بن: الجيش البرى و البحرى.

(٨-٨) ساقطه من بر و واردة فى بن.

و تنظر الجيشين[١] فى البر مرة   و فى البحر تجرى الفلك فى كل لجة
لباسهم نسج الحديد لِبأسهم[٢]   و هم فى حِمى حدّى ظبا و أسنة
فأجناد جيش البر ما بين فارس   على فرس أو راجل رب رجلة
فمن ضارب بالبيض فتكاً و طاعن   بسمر القنا العسّالة السّمهرية

ثم إن الأمير يلبغا أمر باحضار رسل صاحب الكيتلان، لينظروا الجيشين[٣] الذين[٤] هم[٢] كالنسور و العقبان، و الأسد و الغيلان. و كانوا إذ ذا[٥] قد[٢] قدموا بسبب الصلح، و زعموا أنهم لم يكونو اظاهروا القبرسى على المسلمين، و لا حضر أحد منهم وقعة الإسكندرية. فلما حضروا نظروا[٦] لتلك المراكب الحربية، و إلى ما فيها من الهمم العلية، و رأوا تلك الجنود، التى هى كالدود، قد تهيأت للقتال، و الحرب و النزال، [٧]و قد جذفت[٧] تلك الطرائد و الغربان، الشبيهة [٨]لألوان طيور[٨] الغربان ببحر النيل حادرة و صاعدة، تودّ لو أنها حينئذ لجزيرة قبرس قاصدة،

(١) فى بن: للجيش.
(٢) ساقطة من بن.
(٣) فى الأصلين: الجيشان.
(٤) فى بن: اللذان.
(٥) فى بن: ذاك.
(٦) فى بن: و نظروا.
(٧-٧) فى بن: وجذفت.
(٨-٨) فى بن: لونا بطيور.

بعد أن سترت جوانبها بالطوارق المدهونه، و بياطنها الأسلحة المسنونة، و قد صارت برجال الحرب[1] مشحونة، و الأعلام بالرياح تخفق، و الأبواق تزعق، [2]و الطبول تضرب، و النفط بناره ملتهب، و قد زمرت الزمور، و تهيأت الأمور، لقتال كل علج كفور[2]. وقد اجتمع لرؤية تلك المراكب [3]من الخلائق الألوف[3]، صاروا على شاطئ النيل [4]صفوف صفوف[4]، ينظرون لتلك المراكب التى صارت من أعجب العجائب، و القياد[5] بمجاذيفها تجذف، تارة تستقيم فى جريانها و تارة [١٩١ : ب] تنحرف. و قد صارت تلك المراكب من خفة دورانها، كاللوالب، و هى تنجلى كالعرائس بزينتها التى حكت انتشار أجنحة الطواويس، و قد صارت كما قال بعضهم[6]:

لله يوما بشاطئ النيل مبتهجا ... تبدو الشوانى فيه كالكراديس
تراهم طالعين النيل فى قرن ... و نازلين به مثل القواديس
كأنهم و سيوف النصر تقدمهم ... و قد تحلّوا بانواع الملابس
غربان بَيْن على الأعداء تَفْرقهم ... لكنهم بيننا مثل الطواويس

و كما قال بعضهم أيضا:

إذا زينوا ظهر الغراب بعدّة ... غدا بازيا يُصمِى الطريدَة أشهبا

---

(١) زيد فى بن: الشجعان.
(٢-٢) فى بن: والمزا مير ترمى وللأبطال بأصواتها والطبول تضرب، والنفط بشراره ملتهب.
(٣-٣) فى بن: ألوف ألوف.
(٤-٤) فى بن: صفوف. غير مكررة، و صحتها صفوفا تركناها كما هى للسجع.
(٥) فى بن: و القواد.
(٦) فى بن: الشاعر الماهر.

وقد كان فى جوف الصناعة حيّة   فعاد بظهر البحر بالجدف عقربا

فعند ذلك انخلعت قلوب[1] الكيتلان من رؤية[2] المراكب الحربية، التى عمرت بسبب أخذ ثأر[3] الإسكندرية، وسرعة عمارتها فى عام واحد، فتحققوا أن يلبغا لإخراب قبرس[4] قاصد، وقالوا: ما فى الممالك مثل مملكة هذا الوادى، الذى حلاوة مائه يروى ظمأ الصادى، ويزول برؤيته عن العين الرمد، [5]وهو يجرى بالذهب والعسجد[5].

حدود مصر

وقد ذكر من له معرفة بالمساحة أن[3] وادى مصر حده من العريش إلى أرض برقة[6]. قال الشاعر:

سقى واديا بين العريش وبرقة   من الغيث هطّال الشآبيب هتّانُ
وحىّ النسيم الرطب منى إذا سرى   هُنالك أوطانا إذا قيل أوطان
بلاد إذا ما جئتها جئت جنة   لعينيك فيها كل ما درت رضوان
تخيل لى الأشواق أن ترابها   وحصباءها[7] مسك يفوح وعِقيان

(١) زيد فى بن [١٣٨ : الف] : رسل صاحب .
(٢) زيد فى بن : تلك .
(٣) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٤) زيد فى بن : سائر الجزيرة .
(٥-٥) فى بن : و يجرى ديما (كذا) بتبر العسجد .
(٦) زيد فى بن : و لذلك .
(٧) فى الأصلين : و حصباؤها .

الحقيان الذهب [1]وكذلك المسجد[1]. ولبعضهم فى وادى مصر:

وادٍ بـه أهل الحبيب نزول   حيّا معاهدها الحيا والنيـل[2]
واد يفوح المسك من جنباته   ويصحّ [3]منه للنسيم[3] عليل

فى مصر النيل

ولبعضهم فى مصر والنيل تورية، والتورية إظهار شيء يكون المراد به[4] غيره يخفيه:

كأنّ لمصر[5] ميرة   بالنيل مُذ وّلى خلت
كأنّـه بعـلٌ لها   وبعـده ترمّلت

أى بنزول النيل انقطعت الميرة التى تأتى بها[6] المراكب الكبار المعروفة بالدرامين - وأحدها درمونة - [7]يحملونها سائر الحبوب[7] من صعيد مصر و[8]تنحدر بها إليها[8]. معناه كأن النيل زوج لمصر ينفق عليها من

(١-١) ساقطة من بر، وواردة فى بن.
(٢) الكلمة مطموسة بالترميم فى بن.
(٣-٣) فى بن: فيه والنسيم.
(٤) ساقطة من بر، وواردة فى بن.
(٥) فى بن: بمصر.
(٦) فى بن: لها.
(٧-٧) كذا فى بن، والجملة فى بر: يحملها لها.
(٨-٨) كذا فى بن والجملة فى بر: ويجريها اليها. وكلمة «تنحدر» فى بن «تحدر».

حمل مراكبه الميرة إليها فى أبان[1] زيادته كما ينفق [١٩٢ : الف] الزوج من كسبه ويحمله إلى زوجته، فاذا طلّقها صارت أرملة[2] لعدم النفقة، وعند نقص النيل عن مصر ترملت[3]، أى صارت رملا ناشفا لانقطاع عنها [4]نفقة النيل عليها[4]، كأنّ زوجها الذى كانت تمتار منه[5] مات عنها، فصارت كالأرملة من النساء [6]التى مات عنها زوجها أوطلقها، فانقطعت النفقة[6] والترمل ينطلق على الذكر والأنثى.

قال جرير من قصيدة مدح بها أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز[7]:

هذى[8] الأرامل قد قضّيت حاجتها[9]
فمن لحاجة هـذا الأرمل الذكر

فالأرمل الذى لا زوجة له، والأرملة التى لا بعل[10] لها. وقال ابن السكيت: الأرامل المساكين من رجال ونساء - انتهى.

---

(١) فى بن: أوان.

(٢) الكلمة ساقطة من بن.

(٣) زيد فى بن: مصر.

(٤-٤) فى بن: النيل عنها بنقصانه فى زمن احتراقه.

(٥) زيد فى بن: بنقل المراكب اليها ما يأتيها به فكأنه.

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن.

(٧) زيد فى بن: رضى الله عنه.

(٨) فى بن: حاذى.

(٩) فى بن: حاجاتها.

(١٠) فى بن: زوج.

نعود[1]، [2]فلنذكر الآن ما قيل فى روضة مصر[2]، أما جزيرة مصر التى [2]تسمى الروضة[2] جهتها القبلية تواجه مصر و جهتها البحرية تواجه بلد وسيم . قال على بن عبد الله القصرى فيها :

ذات وجهين فيهما قُسم الحسنُ فأصبحت بها القلوب تهيمُ
ذا يلى مصر فهو مصر و هذا يتولى وسيم فهوَ وسيم
قد أعارت عصر التصابى صباها و أبادت فيها الغموم الغيوم[3]

و لبعضهم[4] فى جزيرة[5] الروضة المذكورة :

و روضة حُسن لا تُرى [6]مثل حسنها[6] مساكنها مثل النجوم تلالا
أتاها عباب النيل من بعد غاية كزائر مَشغوف يريد وصالا
فعانقها من فرط شوق لحُسنها و مد يمينا نحوها و شمالا

[7]فلنذكر ما قيل فى أرض مصر[7] عن كعب الأحبار أنه قال : من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة فلينظر إلى[8] مصر إذا أخرفت و إذا أزهرت و إذا

---

(١) ساقطة من بن .

(٢-٢) العبارة هنا ساقطة من بر ، و واردة فى بن ، و قد جاءت بعد « وسيم » فى بر .

(٣) فى بر : الغموم . و صحتها ظاهرة فى بن و لو أن الكلمة مطموسة جزئيا بها .

(٤) فى بن : و قال بعضهم .

(٥) ساقطة من بن .

(٦-٦) فى بن : قط مثلها .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٨) زيد فى بن : ارض .

فكانت

انطردت أنهارها، و تدلت ثمارها، وفاض خيرها، و غنّى طيرها، بفنون الألحان، على[1] الأغصان، حين هبّت نسمات الأشجار، على رياض الأزهار: تسبّح بحمد ربها الملك القهار. و لله در القائل حيث يقول [2]في حمامة تغرد[2]:

ربّ ورقاء هتوفٍ في الضحى ... ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت ألفا و دهرا صالحا ... فبكت[3] حزنا فزادت حزني
فبكائي ربما أرّقها ... و بكاها ربّما أرقني
فاذا تسعدني أسعدها ... و إذا أسعدها تسعدني
و إذا تشكو[4] فما أفهمها ... و إذا أشكو[5] فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها ... و هي أيضا بالجوى تعرفني
[١٩٢:ب] يا نديمي صف معاني حسنهم ... فمعاني حسنهم يطربني
و إذا ما لاح من حيهم ... بارق في سحر فأذكرني
ذلك الوادي و أيام منًى ... ما أحيلا ذكرها في أذني

عن عبد الله بن عمر قال: «من أراد أن ينظر إلى الفردوس فلينظر إلى مصر حين يخضرّ زرعها، و يزهر ربيعها، و تكتسي بالنوار[6]

(١) زيد في بن: عيدان.
(٢-٢) العبارة ساقطة من بر، و واردة في بن.
(٣) في بن [١٣٨: ب]: فبكيت.
(٤) في بن: اشكو.
(٥) في بن: تشكو.
(٦) كذا في بن، وهي في بر: بالنور.

أشجارها، . قال الصنوبرى يصف فصل الربيع و زهرته:

ما [1]الدهر إلا[1] الربيع المستنير إذا   جاء الربيـــع أنار النور و النور
فالأرض ياقوتة و الجو لؤلؤة   و النبت فيروزج[2] و الماء بلور
من شم ريح[3] رياحين الربيع[3] يقل   ما المسك مسك ولا الكافور كافور

و قال الصنوبرى فى المسك و الطيب و المهاداة بهما[4]:

الطيب يهدى و يستهدى طرائفه   وأشرف الناس يهدى أشرف[5] الطيب
والمسك أشبه شيء[6] بالشباب فهب[6]   شبه الشباب لبعض العصبة الشيب

و الربيع[7] يكون فيه الغيم و الصحو كما[8] قال الشاعر:

اليوم يعذب ورد فيه تكدير   و يستفيق من الهجران مهجور
يوم أتاك من الأيام ذى قصر   و ما به من مدا[9] اللذات تقصير

(١-١) ساقطة من بن .
(٢) كذا فى بن، و فى بر: فيروزجة .
(٣-٣) كذا فى بن ، وهى فى بر: الرياحين .
(٤) كذا فى بن ، و فى بر: به .
(٥) فى بن: اطيب .
(٦-٦) فى بن بالشبا بهو .
(٧) فى بن: الربيع - بسقوط واو العطف .
(٨) ساقطة من بن .
(٩) فى بن: مدى .

[1]صحو وغيم يروق العين حسنهما   فالصحو فيروزج و الغيم سمّور

[2]قيل: إن مداومة النظر للسمّور يقوى النظر . و السمور[2] هو الفرو الذى تجعل[3] منه تجار الأعاجم رقابا لفراجيهم .

و بصعيد مصر بلد[4] يقال لها أسيوط . ذكر أنه صور للرشيد الدنيا فما استحسن منها غير[5] عمل أسيوط . فان مساحته ثلاثون ألف فدان فى دست واحد . و لو قطرت فيه قطرة ماء فاضت على جوانبه ، يبدر فيه جميع الحبوب فلا يكون على الأرض بساط أعجب منه . من جانبه[6] الغربى جبل أبيض على صورة الطيلسان ، و يحيط به من جانبه الشرقى النيل ، كأنه جدول فضة لا يسمع فيه الكلام من شدة أصوات الطير . قال الشاعر فيه:

لله يوما فى سيوط و ليلة   قط الزمان بأختها لا يغلط
بتنا و عمر[7] الليل فى غلوائه   و له بنور البدر فرع أشمط
و الطل فى سلك الغصون كلؤلؤ   رطب يصافحه النسيم فيسقط
فالطير يقرأ و الغدير صحيفة   و الريح يكتب و الغمام ينقط

(١) فى هامش بر : اسيوط .
(٢-٢) ساقطة من بن .
(٣) فى بن : يتخذ.
(٤) فى بر : بلدا .
(٥) فى بن : دون .
(٦) فى بن: جانب.
(٧) فى بن : عمل.

و قال بعضهم فى روضة يانعة نزل هو و أصحابه بها فى يوم غيم :

[١٩٣: الف] ولقد نزلت بروضة حزنية[١] رتعت نواظرنا بها و الأنفس
فجعلتُ أعجب من تناهى حسنها و المسك من جنباتها يتنفس

و لبعضهم فى خليج مصر :

لم أنس يوما بالخليج و ليلة أفنيت فيها من عفا فى ما بقى
و الليل بحر مزبد بنجومه والسحب موج والهلال كزورق

[٢]و لبعضهم فى نيل مصر :

يوما لنا بالنيل محتضر و لكل وقت مرة قِصَر
والسفن تعلو كالخيول لنا فيه و جيش الماء منحدر
فكأنما أمواجه عكن و كانما داراتـــه سرر

و لبعضهم فى بركة ماء :

و لقد طربت على محاسن بركة زرقاء تحسبها مُذاب الجوهر
قد كللت جنباتها[٣] بربيعهـا تتفقد[٤] الأبصار بهجة منظر

---

(١) فى بن: جزيرة .

(٢) هذا القسم من النص إلى « كتب عمر بن الخطاب » ساقط من بر، ووارد فى بن [١٣٨ : ب - ١٣٩ : الف] فأدخلناه فى النص .

(٣) الكلمة غير واضحة و قد تكون كما اوردناه فى النص و ينتظم بها ميزان البيت و معناه .

(٤) فى الأصل: فقتد . بنقص فى النقط ، وجائز أن تكون كما أوردناه بالنص .

فكأنما المرآة فى تدويرها قد طوّقوها طوق شمع أخضر

[بن ١٣٩ : الف] و لبعضهم فى حداول ماء :

وجداول كأراقم حصباؤها كبطونها و حبابها كالأظهر

الجداول واحدها جدول ، و الأراقم واحدها أرقم و هم الثعابين .

و لبعضهم فى جدول هب عليه النسيم و مالت عليه الغصون :

وجدول ترد الأغصان سلسله كورد ظمآن لم يصددا[1]

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عمرو بن العاص و هو والٍ على مصر : إن أرضك واسعة رفيعة و قد أعطى[2] الله[3] أهلها جَلَداً و قوة فى بر و بحر و عالجتها الفراعنة و عملوا فيها محلا محكما مع شدة عتوهم ، فاكتب لى بصفة أرض مصر حتى كأنى أنظر إليها ، و السلام .

فكتب إليه عمرو : إن أرض مصر تربة سوداء ، و شجرة خضراء ، بين جبل أغبر ، و رمل أعفر ، و خطها مسيرة راكب شهر ، كأنها بين جبلها و رملها بطن أقب ، [4]أو ظهر أجب[4] بها نهر مبارك يسيل

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الذى أوردناه بالنص من بن لطابعه الأدبى ما عدا الجملة او البيت الآتى الذى اقتصرنا فى تسجيله على الهامش لما احتواه من خبل و اضح و هو كما يلى دون تحريف عن الأصل :

اذا وردا مالت عليه تريك الطعن سرعة فألبسته الصبا من صنعها وردا

بعدئذ يستأنف الكلام من بر .

(٢) فى الأصول : أعطا .

(٣) زيد فى بن : تعالى .

(٤-٤) فى بن : و ظهر أحدب .

بالذهب على الزيادة و النقصان كمجارى الشمس و القمر ، تمده عيون[1] الأرض و ينابيعها مأمورة بذلك حتى إذا زاد نيلها و اعلولا عبابه فكأن القرى مما أحاط بها لا يوصل من بعضها إلى بعض إلا فى السفن و الزوارق[2] . ثم لا يلبث إلا قليلا حتى تنقص جريته ، و تستبين متون أرضه[3] . ثم تنتشر فيه أمة محصورة قد رزقوا على أرضهم جَلَداً و قوة . فبذروا فيها من[4] الحبّ ، ما يرجون به النماء من الشرب ، حتى تبدو[5] طوالعه ، و تظهر قنواته ، يسقيه من تحته مدرة سوداء ، إذا[6] هى نجمة زرقاء ، ثم غوطة خضراء ، ثم ديباجة رقشاء ، ثم فضة بيضاء . فتبارك الله أحسن الخالقين .

و وصف بعض الحكماء[7] مصر فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، و ثلاثة أشهر مسكة سوداء ، و ثلاثة أشهر زمردة خضراء ، و ثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء . فأما اللؤلؤة البيضاء فان أرض مصر فى شهر أبيب و مسرى و توت يركبها النيل فترى الدنيا بيضاء و ضياعها على

(١) فى بن : العيون .

(٢) فى بن : و زواريق .

(٣) فى بن : الأرض .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : تبدوا .

(٦) فى بن : إذ .

(٧) انظر « مروج الذهب » للمسعودى ج ٢ ص ٣٥٦ .

روانى و تلال مثل الكواكب و قد أحاطت بها المياه من كل وجه فلا سبيل لبعض إلى بعض إلا فى الزوارق . و أما المسكة السوداء فان فى شهر بابه [و هاتور و كيهك ـ١] يكشف الماء عنها و ينصب عن أرضها فتصير أرضها سوداء و فيها تقع الزراعات و للأرض روائح[٢] طيبة تشبه روائح المسك[٣] . و أما الزمردة الخضراء فان فى شهر طوبه و أمشير و برمهات تلمع[٤] و يكثر عشبها و نباتها فتصير الأرض[٥] خضراء كالزمردة . و أما السبيكة الحمراء فان شهر برموده و بشنس و بؤونة يبيض الزرع و يتورد [١٩٣ : ب] العشب و هو سبيكة[٦] الذهب منظرا و منفعة . فتبارك الله أحسن الخالقين .

و وصف بعضهم مصر فقال: نيلها عجب ، و أرضها ذهب ، و هى لمن غلب . و نهرها النيل من سادات الأنهار ، و أشرف[٧] البحار ، لأنه يخرج من الجنة .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الأصول ، و لابد منه لاكمال العبارة .

(٢) فى بن : رائحة .

(٣) فى بن : المسكة .

(٤) فى بن : و تلمع .

(٥) فى بن : أرضها .

(٦) فى بن : كسبيكة .

(٧) فى بن : و أسرات .

[1]قال المؤلف رحمه الله تعالى: وقفت على كتاب الحيوان لأرسطاطاليس فرأيته ذكر فيه كل شيء (يتعـ) فن[2] يتولد من عفونته الحيوان، و لهذا صار ما يتولد من الدود و الفأر[3] و الثعابين و العقارب و الزنابير و الذباب و غيرها بأرض مصر شيء كثير، فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة و الرطوبة الفضلية و أنها ذات أجزاء كثيرة و أن هواءها و ماءها ريان[4] . وقفت فى كتاب حيلة البرء لجالينوس فى دفع مضار الأبدان بمصر للشيخ الحكيم على بن رضوان بن جعفر المصرى فرأيته ذكر فيه أن السكنى بمصر ينبغى أن تؤثر [على-[5]] غيرها لأن المضار التى تعرض للابدان فيها يمكن زوالها لأن شرور[6] أنفس المصريين سريعة القبول للعلاج لأن شرورهم[6] ضعيفة غير مستعصية[7]، و جعل هذا [١٣٩: بن باء] الكتاب خمسة عشر بابا، الأول فى صفة أرض مصر، الثانى فى اختلاف هواء مصر و ما يتولد فيها، الثالث فى الأسباب المحيطة بالصحة و المرض بأرض مصر، الرابع فى فصول السنة بأرض مصر،

(١) هذا الجزء من هنا إلى «و روى ابن عباس» ساقط من بر، و أخذناه عن بن [بن ١٣٩ : الف - ب] . (٢) الكلمة مطموسة جزئيا فى الأصل .

(٣) فى الأصل: النار- و هو خطأ قلمى أحللنا فيه الفاء محل النون .

(٤) كذا فى الأصل، و تتلوها كلمة «يم» وهى زائدة و غير مفهومة فتجاوزنا عن ذكرها .

(٥) ساقطة من الأصل، و لزومها واضح لاستقامة السياق .

(٦) و ربما كان المقصود بالكلمة المساوى بمعنى الأمراض .

(٧) فى الأصل : مستصغية ، و واضح أنها خطأ قلمى .

الخامس فى أن أكثر ما قاله ابن الجزار الحكيم من أسباب مرض مصر ليس بصحيح، السادس فى اختصاص المدينة اليوم بمصر و هوائها و جميع أحوالها، السابع فى الوقوف على أسباب الوباء، الثامن فى شرح أمر الأسباب، التاسع فى حفظ الصحة و مداواة الأمراض، العاشر فيما ينبغى للطبيب أن يفعله فى الأبدان بأرض مصر، الحادى عشر فى تدبير الأبدان بمصر، الثانى عشر فيما يصلح رداءة الهواء و الماء و الغذاء بأرض مصر، الرابع عشر[1] فى نسخ أدويـــة تستعمل فى دفع المضار و حفظ الأبدان، الخامس عشر فى أنه ينبغى أن تختار السكنى بمصر و إن كانت تفعل فى الأبدان رداءة فان قيل إن أسعار مصر مرتفعة فالجواب أن المكاسب فيها كثيرة و أيضا فان أرض مصر قليلة الفتن و الحروب لسكون أنفسهم إلى من يسوسهم و ضعفهم عن الجهاد ـ انتهى .

[فى الخمسة الأنهار]

فلنذكر الآن ما قيل فى الخمسة الأنهار[2] . روى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : أنزل الله من الجنة خمسة أنهار، سيحون و جيحون و دجلة و الفرات و النيل، و النيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فى أسفل درجة من درجاتها، فاستودعها الجبال و أجراها فى الأرض .

(١) يلاحظ أن الكاتب ذكر «الرابع عشر» بعد «الثانى عشر» مباشرة فهو إما أخطأ فى التوالى أو سقط منه «الباب الثالث عشر» سهوا .

(٢) هنا ينتهى القسم الذى أخذناه عن بن لسقوطه من بر حيث يستأنف الكلام فيه بعد ذلك .

قال

قال المسعودى[1] [2]فى تاريخه[2]: فأما سيحون[3] فهو نهر أذنة[4] و مخرجه من نحو ثلاثة أميال [5]من مدينة[5] ملطية و يجرى فى بلاد الروم و يصب فى البحر الرومى. و أما جيحون[6] فهو نهر المصيصة وهو من أعين تجرى فيمر ببلاد الترمذ حتى يأتى بلاد خوارزم و غيرها و يستمر جريه إلى بلخ و هو يصب فى البحر الرومى. و أما الفرات[7] فبدؤه[8] من بلاد قالى قلا من ثغور أرمينية و مصبّه فى دجلة. و أما الدجلة[9] فانها تخرج من بلاد آمد من ديار بكر و ينتهى[10] جريانها[11] إلى تكريت و سامرا و بغداد و مصبّها فى[12] البطائح. قال بعضهم فى ضوء الهلال فى ماء دجلة:

وكأن دجلة حين ألقى[13]ضوءه ما بين جسريها الهلال الغارب

---

(١) انظر «مروج الذهب» ج ٢ ص ٣٥٨.
(٢ - ٢) ساقطة من بر، و واردة فى بن.
(٣) فى هامش بر: سيحون.
(٤) فى بن: اذنه.
(٥ - ٥) فى بن: بمدينة.
(٦) و أيضا فى هامش بر: جيحون.
(٧) و أيضا فى هامش بر: الفرات.
(٨) فى بر: فمبداؤه؛ و فى بن: فمبدوه.
(٩) فى هامش بر: الدجلة.
(١٠) عن بن، و فى بر: تنتهى.
(١١) فى بن: جريها.
(١٢) فى بن: من.
(١٣) فى بن: القا.

دَرَجٌ[1] كَتَبْنَ به ثلاثة أسطر   ومداد أسطرهن تبر ذائب

ولبعضهم مواليا فى القمر وقد ألقى[2] جرمه فى الماء:

لما بدا البدر شبه النقدَة الغضه[3]   كسوسنة عطرة فى نرجسة غَضه
عاينت أنواره فى الماء منقضه   سيل [4]من التبر[4] يلعب فى سمك فضّه

وأما النيل[5] فان منبعه من تحت جبل القمر من اثنى عشرة عينا فتجتمع فى بحيرتين كالبطائح[6]، ثم تتشعب من كل بطيحة ثلاثة أنهار تجتمع مع جميعها إلى بطيحة، فيخرج من هذه البطيحة نيل مصر. ثم ينبعث بين رمال وجبال، ثم يخترق[7] أرض السودان مما يلى بلاد الزنج ويطوف[8] بأرض النوبة ويأتى إلى بلاد أسوان فيقطع النيل الصعيد ثم يمر[9] بفسطاط مصر ثم[10] بأرض الفيوم.

[الفيوم]

[11]وقيل: إن الفيوم[12] عمر فى ألف يوم، فلذلك قيل له الفيوم.

(١) فى بن: درجا.
(٢) فى بن: القا.
(٣) فى الأصل بر: النضة. وهو خطأ قلمى صححته من بن.
(٤ ـ ٤) فى بن: شمس القبر.
(٥) فى هامش بر: النيل.
(٦) فى بن: كالبطاطح.
(٧) فى بن: يخرق. (٨) فى الأصلين: ويطيف.
(٩) ساقطة من بن.
(١٠) زيد فى بن: يمر.
(١١) هذا القسم (الفيوم) بكامله ساقط من بن.
(١٢) فى هامش بر ايضا: الفيوم.

و قيل إن بنت فرعون كانت تنزل بلدا به يقال شانه ، و حجر اللاهون من بناء يوسف الصدّيق عمّره بالوحى . و كانت ملوك فارس تأتى إليه لتبصره لأنه نبى بالحكمة . و للفيوم أخبار عجيبة . من أراد الوقوف عليها فليطالع كتاب المسالك و الممالك لأبى عبد الله القرطبى .

[فروع النيل]

نعود[1] ، ثم يمر النيـــل هابطا[2] فينقسم خلجانا إلى أرض تنيس و دمياط و الى الاسكندرية [١٩٤ : الف] كل يصب فى البحر الرومى مذ بى[3] الاسكندر[4] الإسكندرية، فيتصل بأسواقها ، و يمرّ فى سككها و قد بلطت مجاريه بالمرمر . ثم صار النيل الآن[5] منهم علـى نحو يوم ، وصار شربهم من الآبار المسرّبة التى يأتى إليها النيل من خليجها[6] ، فتملأ[7] منها[8] صهاريجها التى بديارها و شوارعها . و النيل يتشعب دون[5] فسطاط مصر شعبتين ، فتصير شعبة إلى رشيد بالقرب من الإسكندرية ، و تصير

(١) من هنا يستأنف الكلام فى بن .

(٢) مطموسة فى بن .

(٣) فى بن : بنا .

(٤) فى بن : الاسكندريه . مكررة بدل الاسكندر .

(٥) ساقطة من بن .

(٦) عن بن ، و « من خليجها » ساقطة من بر .

(٧) فى الأصلين : فتملى .

(٨) فى بن : منه .

شعبة أخرى إلى دمياط . و النيل إذا زاد غاضت له الأنهار و العيون و الآبار ، و إذا[١] غاض زادت[٢] ، فزيادتها[٣] من غيضه و غيضها من زيادته . و كل[٤] نهر فى الأرض مخالف للنيل لأنه يستقبل الشمس . قال الشاعر :

مصر ومصر شأنها[٥] عجيب و نيلها تجرى به الجنوب

و قال بعضهم يتشوق لأحبابه :

ان رام غير حماكم أو ألمّ به او راق فى سمعه من غيركم قيل
او بات يرعى[٦] جمالا غيرحسنكم فلا سقاه على حر الظما نيل

و اختلف الناس فى الأنهار[٧] فقالوا : إنها كالعروق فى البدن ، و قال آخرون : حق الماء أن يكون على سطح [الأرض[٨]] . فلما اختلفت الأرض فكان منها العالى[٩] و الهابط ، انحاز الماء الى أعماق الأرض ، فلما انحصرت

(١) فى بن : فاذا .
(٢) فى بر : زاد . و صحتها من بن .
(٣) فى بن : فزيدتها .
(٤) فى بن . كل .
(٥) فى بن [١٤٠ : الف] و شأنها .
(٦) فى بر : يرعا .
(٧) فى هامش بر : الأنهار .
(٨) ساقطة من الأصلين ، ولزومها واضح من السياق .
(٩) فى بر : العال . و صحتها من بن .

فى الأعماق طلبت التنفس بضغط الأرض من أسفل ، فتنبثق حينئذ عيونا و أنهارا .

[فيضان النيل و المقياس]

و ليس فى الأرض نهر يزيد و ينقص بترتيب غير النيل[١] . و إذا أردت أن[٢] تعلم عيار النيل فاحسب من يوم عيد ميكائيل و هو ثانى عشر بؤونه[٣] كم يكون فى الشهر العربى من يوم و زد فوقه تسعين يوما ، و خذ سدس الجميع[٤] يكون ذلك[٥] عدة أذرع النيل[٦] فى تلك السنة . و فى سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة نودى على النيل بمصر ستة أصابع من ذراع العشرين ، ثم سكت المنادى بعد ذلك عن ذكر الزيادة ، و صار يقول كل يوم : يا قوم اتقوا الله من الجبل الى الجبل[٧] . و قيل إن فى بعض السنين زاد النيل عن ذراع العشرين فهدم بتلك الزيادة

(١) فى هامش بر : زيادة النيل .

(٢) زيد فى بن : ان .

(٣) فى بن : بؤنه .

(٤) فى هامش بر : مطلب ، قاعدة يُعلَم منها زيادة النيل كل سنة و مقدار أذرعه .

(٥) فى بن : تلك . و قد زيد عليها هنا ما يلى : الأيام التى هى سدس العدد المذكور .

(٦) فى بن من .

(٧) زيد فى بن : و لا ينطق بزيادة أصلا .

العظيمة رباعا و ديارا بمصر و القاهرة[١] و البلاد[٢] .

حدثنى رجل من أهل إبيار قال : كان بها رجل عنده فى تلك السنة من القمح ثلاث مائة [٣]اردبا مخزونا[٣] بداره ، فسئل أن يبيعها للناس حين غلاء الحب[٤] ، فلم يرض و طلب[٥] الزيادة [٦]فى السعر الواقع[٦] . فلما زاد[٧] النيل احتاط الماء[٨] بتلك الدار[٩] و دخلها ، فانحلّ طوبها اللبن[١٠] ، فوقعت و أخذ الماء القمح الذى بها و مضى به[١١] ، فلم ينتفع صاحبه منه بثمن قدح واحد مع سقوط داره . [١٢]و كان المسكين طلب الزيادة فوقع فى كفه الخسران ، فالشفقة على خلق الله تعظيما لأمر الله فبعدم شفقته لم ينظر الله له برحمته و أراهم فيه عبرته[١٢] .

(١) زيد فى بن : التى نغضه النيل .

(٢) ساقطة من بن .

(٣-٣) فى بن : اردب مخزونة .

(٤) زيد فى بن : قيل وفاء النيل ستة عشر ذراعا .

(٥) زيد فى بن : فيها .

(٦-٦) فى بن : عن ذلك السعر الغالى .

(٧) عن بن ، و فى بر : على .

(٨) عن بن ، و كلمة « الماء » ساقطة من بر .

(٩) زيد فى بن : التى فيها القمح المخزون .

(١٠) زيد فى بن : بالماء .

(١١) زيد فى بن : عائما على وجهه .

(١٢-١٢) واردة فى بن ، و ساقطة من بر .

قال المسعودى فى كتاب [1] «مروج الذهب و معادن الجوهر» [1] إن النيل [١٩٤ : ب] فى خلافة[2] عمر بن عبد العزيز[3] وصل عدة أذرعه فى عمود المقياس بمصر ثمانية عشر ذراعا ، فتعجب الناس من تلك الزيادة العظيمة[4] . و هذا يدل على أنه كان مقصرا عن هذه الزيادة فى السنين الماضية حتى حصل التعجب منه و أُرِّخ[5] . و فى سنة خمس و سبعين و سبعمائة قصر النيل عن ذراع ستة عشر فحصل بالديار المصرية فى تلك السنة[6] غلاء حتى وِصل[7] القمح بالإسكندرية [8] ثلاثمائة سودا بدراهمها و الخبز كل رطل جروى بدرهم و نصف و ثُمن أسود بدراهمها و الرطل الجروى زنة ثلثمائة و اثنى عشر درهما[8] ، و ازداد سعر الحبوب كلها و حصل للناس الضرر الكبير بذلك ، و كذلك سائر بلاد مصر حصل بها الغلاء ، و حصل لخزّان القمح فى تلك السنة فوائد كثيرة فيه . و لم يزرع بأرض مصر إلا الأماكن المنخفضة ، و العلاوى التى

(١–١) ساقطة من بن .

(٢) زيد فى بن : أمير المؤمنين .

(٣) الخليفة الأموى و حكمه ٩٩ – ١٠١ هـ / ٧١٧ – ٧٢٠ م .

(٤) زيد فى بن : حتى كتبت فى التواريخ .

(٥) كذا فى بن ، وهى فى بر : و ورخ .

(٦) زيد فى بن : و السنة التى بعدها .

(٧) فى بن : وصل ثمن .

(٨–٨) كذا فى بن ، و العبارة أوفى من بر حيث نصها : بالورق مائة و ستين الأردب و الخبز بدرهم أسود الرطل الجروى .

لم يركبها الماء شرقت [1] كلها و جاءت الصعاليك و وقع فيهم الفناء فماتوا جوعا إلى أن تداركهم الله عزّ و جلّ برحمته فى سنة سبع و سبعين و سبعمائة بلغ النيل فيها[2] ثمانية عشر ذراعا فانحط السعر كثيرا [1] - انتهى .

[النهر فى اللغة و الأدب]

[3] نعود الى ما قيل فى الأنهار[3] . النهر مفرد و الجمع نُهُر و أنهار . و يقال أن النهار[4] يجمع على النهُر ، و استنهر النهر إذا أخذ مجراه ، و أنهرت الدم أسلته ، و أنهَر الماء جرى ، و نهْر نَهِر [5] كثير الماء[5] . قال الشاعر .

أقامت بـه فابتنت خيمـة   على قصب و فراتٍ نُهِر

و نهَرّتُ الرجل و انتهرتـه مِثل زجرتـه ، و النهار ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، و رجل نـهِر صاحب نهار . قال الشاعر .

و قد لبس النهر الدروع توقياً   مخافة رمى القطر من سحبه نبلا

و لبعضهم فيه[6] .

و النهر سلسلة النسيم أظنـــه   لم يستطيع[7] الرقص صار يصفق

(١-١) وردت العبارة فى بن ، و سقطت من بر .
(٢) فى الأصل : فيه .
(٣-٣) فى بن : فلنذكر الآن الأنهار و ما قيل فيها .
(٤) فى بن : انهار .
(٥-٥) ساقطة من بن .
(٦) ساقطة من بن .
(٧) كذا فى الأصلين ، و ربما كان صوابها : ما يستطيع .

[١] و لبعضهم :

و النهر قد رقت غلالة صيفه   و عليه من ذهب الأصيل طراز
تترقـق الأمواج فيه كأنما   عكن الحصور نعيمها الإعجاز[١]

و مما قيل فى النهر و يوم الغيم :

و الجو بين تغيّم و تخيّم   و تبسّم و تنسّم و تستّر
و النهر بين تفجّر و تموّج   و تحلّج و تلجلج و تكسّر

و لبعضهم فى غدير ماء :

و فى صفو رقراق[٢] الغدير إذا حكى   و قد جعّدته الريح[٣] صفحة مبرد

و نهر[٤] النيل يتكدر فى الزيادة و يصفو فى النقل . قال الشاعر :

أما ترى النيل يصفو فى تنقّصه[٥]   و ما تكدر إلا فى الزيادات

و قال الآخر فى معناه :

و الخِلّ كالماء يبدى لى ضمائره   مع الصفاء و يخفيها مع الكدر

أى إذا صافاك خليلك أظهر ما عنده ، و إذا داجاك[٦] أخفاه كالماء إذا صفا رؤى ما تحته و إذا تكدر خفى .

(١-١) البيتان واردان فى بن ، و ساقطان من بر .
(٢) فى بن : رقرق .
(٣) فى بر : النيل . و الأصح جاء فى بن كما فى النص .
(٤) فى بن : نهر - بسقوط واو العطف .
(٥) فى بن : نقصه .
(٦) فى بن : دجاك .

حكى أن أبا الطيب المتنبي سمع عند انصرافه من صلاة الجمعة أعمى خارج باب الجامع يقول: وا ضيعَة الأدب! هذا المتنبي يقول:

و من نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

فقال المتنبي لبعض أصحابه: سله عن ذلك و قل له فكيف[1] كان يقول. قال[2]: كان يقول: ما من مداجاته بد، لأن الصفاء لا يكون إلا مع الصداقة، و المداجاة لا تكون إلا مع العداوة، فالعدو أبدا لا يصافى[3] بل ليسلم بمداجاته من شره. قال [4]بعضهم [١٩٥ : الف] فى معناه[4]: إنه الولد الميشوم[5]، لأنه ما منه[6] بد، فلا يكون خلاص الوالد منه إلا بموته عنه.

١ وقد[7] حاء فى الخبر، تقول المرأة لزوجها: إن لم تطعمنى[8] وإلا طلقنى[9]، و يقول العبد لسيده: إن لم تطعمنى و إلا بعنى أو اعتقنى، و يقول الولد لو الده: إلى من تتركنى؟ و ينبغى لكل واحد أن يكثر من حمد الله و شكره فى السرّاء و الضرّاء، ففى ذلك صلاحه إذا حمده وشكره[10].

---

(١) فى بن: وكيف.

(٢) فى بن: فسله فقال.

(٣) فى الأصلين: بصيافا.

(٤-٤) فى بن: بعض الفضلاء.

(٥) فى بن: المشؤم.

(٦) فى بن: من ملازمته.

(٧) فى بن: فقد.

(٨) فى بن: تعطنى.

(٩) مطموسة فى بن.

(١٠) يد فى بن: فان من شكر البارى عز وجل زاده من فضله وكرمه لقوله =

قال داود عليه السلام: يا رب! كيف أشكر نعمك؟ فأوحى الله إليه: إذا علمت أن النعم التى عندك هى منى، فقد شكرتنى . كتب عدى بن أرطاة إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لما حفر لأهل البصرة [1]نهر عَدى: يا أمير المؤمنين إنى حفرت لأهل البصرة[1] نهرا عَذُبَ لهم مشربه، و انحازت به أموالهم، فلم أر لهم على ذلك شكرا، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فأقسم عليهم ما أنفقته على النهر . فكتب إليه عمر: إنى لأحسب أهل البصرة حين حفرت لهم هذا النهر خلواً من أحد[2] قال الحمد لله، و أن الله [3]عز و جل رضى به[3] شكراً من أهل جنته[5] فارض بها شكرا من نهرك، و السلام[6].

قال بعض العلماء[7]: من اكترى على متاع دواب إلى موضع، فاعترضه نهر فى الطريق لا يجاز إلا على المركب قد عرف ذلك كالنيل[8] و شبهه

= تعالى "ولئن شكرتم لأزيدنكم" ومن شكرالله تعالى وجب عليه شكر ثان اذ وفقه الله لشكره و هذا شكر الشكر.

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن رجل .

(٣-٣) فى بن: تعالى قد .

(٤) فى بن: بها .

(٥) زيد فى بن: حين قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن .

(٦) زيد فى بن: انتهى . نعود، [١٤١ : الف] .

(٧) فى هامش بر: مسألة فقهية .

(٨) فى بن: كالنهر .

أن جواز المتاع منه على صاحبها، و إن كان يُخاض فى المخائض فاعترضه حملان لم يعلموا به فحمل المتاع على صاحب الدواب. و تلك جائحة نزلت به، و كذلك إن كان[1] النهر شتويا يحمل الأمطار إلا أن يكون وقت الكراء[2] قد علموا جريه، و على ذلك دخلوا، فيكون كالنهر الدائم.

و قد ذكر الجاحظ أن نهر مهران السند من نيل مصر، و استدل على ذلك بوجود التماسيح فيه. ذكر ذلك فى كتابه المترجم لكتاب[3] الأمصار و عجائب البلدان. انتهى.

[السمك المعروف بالاوال]

[4]قال المسعودى[4]: و بحر الزنج فيه السمك المعروف بالأُوَال[5]، طول السمكة نحوا[6] من أربعمائة ذراع إلى خمس[7] مائة دراع بالذراع[8] العمرى، و هو ذراع أهل ذلك[9] البحر. و الأغلب من هذا السمك طوله

(١) ساقطة من بر، وواردة فى بن.

(٢) فى بن: الكرى.

(٣) فى بن: بكتاب.

(٤-٤) ساقطة من بر، وواردة فى بن.

(٥) فى بن: بالاورال.

(٦) فى الأصول: نحو.

(٧) عن بن، و فى بر: الخمس.

(٨) ساقطة من بن.

(٩) فى بن: ذا.

مائة

مائة ذراع .[1] وربما يمد البحر فيظهر طرفا من جناحيه، فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع[1] . وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء، فيذهب الماء فى الجو أكثر من مدّ السهم . والمراكب تفزع منه بالليل والنهار، ويضرب له بالخشب والدبادب لينفر من ذلك . ويحشر بذنبه وأجنحته السمك إلى فيه، وقد فغر فاه، وذلك يهوى إلى جوفه جريا، فاذا نَغَتْ هذه السمكة بعث الله[2] إليها سمكة نحو الذراع تسمى اللّشِك، فتلصق بأصل أذنها[3] فلا يكون لها منه خلاص، فتطلب قعور البحار وتضرب نفسها حتى [١٩٥:ب] تموت، فتطفو[4] فوق الماء، فتكون كالجبل العظيم . وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة باللشك بالمركب، فلا يدنو[5] الأوال مع عظمها من المركب، وتهرب إذا رأت الصغيرة منها إذ كانت آفة عليها وقاتلة لها . قال الشاعر :

لكل شىء آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المبرد

[التمساح وآفته]

وكذلك للتمساح[6] آفة من دويبة تكون فى ساحل النيل وجزائره،

(١-١) ساقطة من بن .

(٢) زيد فى بن : تعالى .

(٣) فى بن : ذنبها .

(٤) فى الأصلين : فتطفوا .

(٥) فى الأصلين : تدنوا .

(٦) فى هامش بر : التمساح .

و هو أن التمساح لا دُبُرَ له و ما يكون فى بطنه يتكون دودا ، فاذا أذاه ذلك خرج إلى البر فاستلق[1] على قفاه فاغرًا فاه ، فينقض طير الماء كالطيطوى و الخضارى و غيرها من أنواع الطيور ، و قد اعتادوا منه ذلك ، فتأكل ما يظهر فى جوفه من ذلك الدود العظيم ، و تكون[2] الدويبة قد كمنت فى الرمل تراعيه ، فتثب إلى حلقه و تلج جوفه ، فيخط بنفسه الأرض و يطلب[3] قعر النيل . ثم تخرق جوفه و تخرج[4] ، و ربما قتل نفسه قبل أن تخرج ، فتخرج بعد موته من جوفه . و هذه الدويبة تكون من ذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى و مخاليب . و فى بحر الزنج أنواع من السمك ذو صور شتى .

[أنهار الأندلس]

و بالأندلس من الأنهار المنصبة فى البحر الرومى و البحر المحيط سبعة أنهار[5] ، منهـا نهر قرطبة و هو المعروف بنهر بيطى[6] ، و مسافته ثلاثمائة ميل و عشرة أميال . نهر أنه[7] و مخرجه بشرقى الأندلس و مصبه

(١) فى بر : فاستلقا . و هى بالياء المقصورة فى بن .

(٢) زيد فى بن : تلك .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) زيد فى بن : منه .

(٥) فى بن : أنهر .

(٦) فى الأصول : نيطى ، و صحته « بيطى من الاسم القـديم Baetis باللاتينية أو Baitis باليونانية و اسمه الآن Guadalquivir و بالعربية « الوادى الكبير » .

(٧) فى الأصول : أبه . و صحته « وادى أنه » و هو Guadiana .

فى البحر المحيط باكشونيه[١] و عدة أمياله ثلاثمائه ميل و عشرون ميلا. نهر تاجه و مخرجه من جبال شرقى الأندلس بناحية تطيله[٢] و مصبّه فى البحر المحيط و عدة أمياله ستمائة ميل و عشرة أميال . نهر دويره[٣] و مخرجه من جبال البربونه[٤] و مصبه فى البحر المحيط بجليقية[٥] بين قلمرية[٦] و برطفال[٧] و عدة أمياله خمسمائة ميل و ثمانون ميلا . نهر ديوييه[٨] و هو وادى أرطة و مخرحه من جبال النش من بلاد إفرنجة و عدة أمياله تسعمائة ميل و عشرون ميلا ، و يقال : إن هذا النهر أكبر أنهار الدنيا

---

(١) اكشونيه فى التاريخ القديم هى Oesonoba و هى الآن Estombar فى البرتغال.

(٢) فى بن : قسطيله ، و قد يقصدبها طليطله و هى تقع على ذلك النهر داخل الأندلس .

(٣) نهر Douro أو Duero قديما Durius .

(٤) فى بن [١٤١ : الف] : البرنونه ، و هى غالبا جبال Sierra deurbion فى منبع نهر Duero .

(٥) مقاطعة Galicia ـ انظر حاشية سابقة ، و هى تمتد من شمال غربى الأندلس ـ إلى البرتغال و المحيط .

(٦) لا يمكن أن تكون Almeria لأنها واقعة فى شرق الأندلس و لا نعرف بلدة بهذا الاسم عند مصب النهر فى البرتغال .

(٧) المقصود بها طبعا Portugal .

(٨) فى بن : دوييه ـ لم نستطع تحقيق هـذا الاسم بين أنهار الأندلس ، و الغالب أن المؤلف يقصد نهر الدانوب باعتباره من أكبر أنهار الدنيا ، و منبعه طبعا فى أواسط أو ربا بما يمكن تسميته فى ذلك الوقت بلاد الفرنجة .

و أكثرها ماء . نهر ابرّه[١] و مخرجه من جبل البَبينُو[٢] فوق ارنيط[٣] و مصبّه فى البحر الشامى[٤] القبلى بناحية طرطوشه[٥] و عدد أمياله مائتا ميل و عشرة أميال . نهر مينبوه و مخرجه من جبال انْيَة و مصبّه فى البحر المحيط بجليقية[٦] و عدد أمياله ثلاثمائة ميل و عشرون ميلا - انتهى .

[الماء العذب و الملح]

[٨]قال المؤلف غفر الله له و للسلمين أجمعين ، و سأذكر[٨] الآن ما قيل

(١) و هو نهر Ebro .

(٢) فى بن [١٤١ : ب] : بينو - و يغلب أن تكون جبال Pena Labra و هى من الجبال المعروفة باسم Cantabrian Mts. .

(٣) ربما كانت مدينة Arnedo بمقاطعة Legrono و هى واقعة على أحد فروع نهر الأبرو و اسمه Cidacos .

(٤) المقصود القسم الغربى من البحر الأبيض المتوسط أى الروم آنئذ و شرقه ينتهى إلى بلاد الشام حيث يسمى باسمها .

(٥) مدينة Tortosa قديما Dertosa بمقاطعة Tarragona فى شمال شرق الأندلس .

(٦) المنطقة المعروفة باسم Galicia فى شمال غربى الأندلس و اسمها بالتاريخ القديم Gallaecia .

(٧) واردة فى بن و ساقطة من بر .

(٨-٨) فى بن : فلنذكر .

فى

فى الماء العـذب و المالح أيهما أثقل ، و لمعا من أخبار النيل إن شاء الله تعالى . قالوا : إن الماء المالح[1] أثقل من الماء العذب ، [2]و الدليل على ذلك أن الماء المالح كدر غليظ [2] ، و الماء العذب صاف رقيق [١٩٦ : الف] و أنه إن أخذ جزء من الشمع يعمل[3] منه إناء ، ثم سُدّ رأسه و صيّر فى ماء مالح من البحر ، وجد ذلك الماء الذى وصل إلى داخل الإناء عذبا فى الطعم خفيفا فى الوزن ، و وجد الملح المحيط به على خلاف ذلك قد ازدادت مرارته و اشتدت ملوحيته[4] . و كل ماء جار فهو نمير[5] و حيث ينبع الماء فهو عين ، و حيث يكون معظم الماء فهو بحر .

[ما قيل فى بحر النيل و اصوله]

و أما [2] ما قيل فى بحر [2] النيل ، فذكر أن عمران بن جابر صعد فيه فأدرك غايته ، و عبر البحر على ظهر دابة تعلق بشعرها ، و هى دابة البحر منها إلى أن[6] يسير[7] إلى قوائمها تحاذى قرص الشمس من مبدأ[7]

(١) زيد فى بن : كدر غليظ .

(٢-٢) ساقطة من بن .

(٣) فى بن : فعمل .

(٤) فى بن : ملوحته .

(٥) فى بن : نهر .

(٦) عن بن ، و الكلمة ساقطة من بر .

(٧) كذا فى بن ، و فى بر : مبدء .

طلوعها إلى حال[1] غروبهـا فاغرة فاها نحوها لتبتلع عند تفسها الشمس بزعمها . و إنه[2] عبر عـلى ما ذكرنا من تعلقه بشعرها عنـد دورانها ، فرأى النيل ينحدر فى[3] قصور الذهب من الجنة ، و أعطاه الملك العنقود ، و أنه أتى الرجل الذى رآه فى ذهابه ، و وصف له [4]كيف[4] يفعل فى وصوله إلى مبدأ[5] النيل فوجده ميتا و خبر إبليس معه و العنقود العنب و غير ذلك من خرافات حشويه أصحاب الحديث ، و ما روى أن قبة من الذهب وسط البحر [6]الأخضر عـلى أربعة[6] أو كان من الياقوت الأحمر و الأخضر و الأصفر و الأزرق ، ينحدر[7] من كل ركن من هذه الأركان ماء عظيم من رشحه ، فينقسم ذلك الماء ا إلى جهات أربع فى ذلك البحر الأخضر غـير مخالط و لا مماع فيـه ، ثم ينتهى[8] إلى جهات من البر من سواحل ذلك البحر ، أحدها النيل و الثانى سيحان و الثالث جيحان و الرابع الفرات . و ليس فى الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على ا النيل

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن : فانه .

(٣) فى بن : من .

(٤–٤) فى بن : كيف له .

(٥) كذا فى بن ، و فى بر : مبدء .

(٦–٦) فى بن : الأربعة على اربعة .

(٧) فى بن : و ينحدر .

(٨) فى بن : ينسقى .

[1]بالسوانح و السواقى، فالسوانح تسقى بها الأراضى بالترع و ما أشبهها و السواقى تسقى بها أحواض البساتين و الأقصاب الحلوة و ما شابهها، فيسمع لها فى دورانها حنينا و أنينا و طربا و شجونا، و قد قال شرف بن أسد الماجن المصرى لغزا[2] فى ساقية:

و ما شىء طويل الرأس ضخم … له رأس ببيكرة و حـــزّه
إذا ما جـاء جحرا سدّ فاه … و يسكب ماءه فى كل لكزه
و كم غنّاجــة ركزت عليـه … و وافق ركزها فى [البال[3]] ركزه
لها عقـد من المرجان قان … بسلك أحكم النساج طرزه
فيخرقهـا إذا ما جاز فيهـا … و تبكى بالــدموع المستّزه
ترخم غنجها طورًا وطورًا … ترقـقـــه بأخنـاس و فزّه
تراهـا فى تشوّقها إليـــه … تـدلّ لقربـه من بعد عـزّه
تصلب فوقه السـاقات حتى … تسكـنه فلا يستطيع[4] رهزه
و بينهما شويخ ذو قرون … عليـه إن مشى خفر و بزه
يغمّض عينـه عن كل شىء … و يـــظهر فيهما عين المعزه
ترى فى بيته [5]جمعا كثيرا[5] … ينـاكهم بأوعاد و هـــزه

(١) هذا القسم ساقط من بر، و وارد فى بن [١٤١ : الف - ١٤٢ : ب] أخذنا به فى النص لطرافته و ربما كان تجاوز ناسخ بر عنه راجعا لطبيعة اللغز فيه.

(٢) فى الأصل : لغز.

(٣) الكلمة مطموسة فى الأصل .

(٤) كذا فى الأصل ، و ينكسر وزن البيت معها .

(٥ - ٥) فى الأصل: جمع كثير .

فيخرج ذا و يدخله[1] فؤادى   و مشى ثم بعض القوم جرزه

[بن١٤٢: الف] فادام الشويخ النحس بَاق   فأحوال الجماعة مستلره

و لابن أسد الغاز كثيرة من هذا النوع فسا[2]محه الله تعالى .

[عود لفيضان النيل و المقياس]

[3]فلنذكر الآن ابتداء النيل بالنقص و الزيادة[3]، [4]و ابتداؤه بالتنفس و الزياده[4] بقية أبيب و مسرى ، فاذا كان الماء زائدا زاد [5]شهر توت كله إلى انقضائه[5] . [6]فاذا انتهت الزيادة إلى ذراع ستة عشر ففيه تمام خراج السلطان و خصيب الناس الكافى[6] ، و هو ضار بالبهائم لعدم المراعى و الكلأ . ثم الزيادات كلها [7]النافعة للبلد كله[7] سبع عشرة ذراعا ، و فى ذلك كفافها و رىّ جميع أرضها ، و إذا زاد على [8]السبع عشرة الذراع[8] و بلغ [9]ثمانى عشرة[9] ذراعا كانت[10] العاقبة فى انصرافه حدوث وباء بمصر .

(١) فى الأصل : يدخل . و بتصيح الكلمة يستقيم الوزن .

(٢) فى النص « ط » و بالهامش « يساعه » و قد أدمجناهما فى « فساعه » و ظاهر أن الكلمة هى المقصود .

(٣-٣) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٤-٤) فى بن : ابتداء النيل بالزيادة .

(٥-٥) فى بن : إلى آخر شهر توت .

(٦-٦) الجملة ساقطه من النص فى بر ، و وردت مضافة بهامشه .

(٧-٧) فى بن : العامة النافعة لجميع البلاد .

(٨-٨) فى بن : السعة عشر ذراع .

(٩-٩) فى بن : ثمانية عشر .   (١٠) فى الأصين : كان .

و الذراع من جملة أذرع بالعمود الرخام الذى هو قائم [1] فى وسط [1] فسقية المقياس، وكل ذراع منقوش عليه أصابع معدودة عدتها أربعة وعشرون إصبعا بعرض الذراع القائم يقاس بتلك الأصابع [2]، فاذا بلغ الماء ستة عشر ذراعا ذهب الغلاء عن الناس و تباشروا [3] بالرخاء و أخرجت [4] خـزّان القمح [4] القمـح للبيع، و إذا أقصر [5] عن ذراع ستة عشر ذراعا أمسك خـزّان القمح أيديهم على مخازنهم [6] و امتنعوا من بيعه [7] يطلبون فيه السعر الـكثير [7]. قال الشاعر فى بلوغ النيل ستة عشر ذراعا فصاعدا على لسان حال النيل، قال و قوله ملأ [8] مسامعى:

أذكر لمن طلب الغلا عمّ البلاد منـافعى
و عيونهـم بعد الوفا قلّعتهـا بأصابـعى

أى عيون خُـزّان القمح الذين يطلبون فيه [9] [١٩٦ : ب] السعر قلعتها [10]

(١ - ١) فى بن: بوسط.
(٢) زيد فى بن: المحفورة فيه.
(٣) فى بن: و استبشروا.
(٤ - ٤) فى بن: الخزان.
(٥) فى بن: قصّر.
(٦) زيد فى بن: و مطاميرهم.
(٧ - ٧) فى بن: يطلبوا فيه الغلا.
(٨) زيد فى بن: لكل.
(٩) زيد فى بن: زيادة.
(١٠) فى الأصلين: قلعها.

أصابع الوفاء[1] بتغليق الستة عشر ذراعا[2] من أذرع عمود المقياس، فتنفس[3] حينئذ الفقراء [4]و تعيش عيالهم[4] بالرخاء.

[فى القناعة]

قال بعض الصالحين: لو لم يكن من فضيلة الفقير إلا إرادته[5] الرخاء للناس ليجد بينهم ما يتبلغ به هو و عياله، لكانت هذه الفضيلة و النية الحسنة[6] كافية، لأن الشفقة على خلق الله تعظيم[7] لأمر الله. قال العتبي: سمعت أعرابيا كنا نختلف إليه فنسمع من وعظه، فكان إذا فرغ من خطبته قبض على لحيته و قال: مسكين ابن آدم مكتوم العلل، مستور الأجل، أسير الجوع، صريع الشبع، ثم ينشد:

يا ميتا فى كل يوم بعضه   سدّد فيوشك أن تموت جميعا

فأهل القناعة رضوا بما قسم الله[8] لهم، فاستراحوا من التعب و النصب

(١) ساقطة من بر، و واردة فى بن.

(٢) فى بن: بأصابع.

(٣) فى بن: فتنتعش.

(٤ - ٤) فى بن: و يفرحون هم و عيالهم.

(٥) فى بن: اختياره.

(٦) «و النية الحسنة» عن بن، و هى ساقطة بر.

(٧) فى الأصلين: تعظيما.

(٨) زيد فى بن: تعالى.

و الهموم و الغموم . و لله در القائل حيث يقول :

١إذا رضيت بميسور من القوت بقيت فى الناس حرا غير ممقوت
ياقوت يومى إذا ما فر خلقك لى فليس آسى على در و ياقوت١

و قال ٢ بعض الصابرين٢ :

نـوائب الدهر أدبتـنى و إنما يوعظ الأريب
قد ذقت حلوا و ذقت مرا كذاك عيش الفتى ضروب
ما مرّ بؤس و لا نعـيم إلا و لى فيها٣ نصيب

(١ - ١) ورد مكان هذين البيتين ما يلى فى بن١ [١٤٢ : الف] :

رضيت بما قسم الله لى و فوضت أمرى على خالقى
كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

و قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

ألا فاصبر على الحدث الجليل و داوِ جواك بالصبر الجميل
ولا تجزن فان أعسرتَ يوما فقد أيسرت فى الدهر الطويل
فلا تظنن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل
فان العز يتبعه يسار و قول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجر رزقا لكان الرزق عند ذوى العقول
فكم من مؤمن قد جاع يوما سيروى من رحيق السلسبيل

كان أبو موسى الأشعرى فى اليوم الشديد الحر و يقول (الواو زائدة كذا فى النص) : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من عطش نفسه لله فى يوم حار كان حقا على الله أن يرويه يوم القيمة .

(٢ - ٢) فى بن : بعضهم .

(٣) فى بن : فيهما .

و لقاسم القصاب[1] البجاى :

لا تجزعن من الخطوب   و اصبر على نوب النوائب

فلربما ورد السـرو   ر بحيث تنتظر المصائب

فالدهر قـد ما لم يزل   يبدى الغريب من العجائب

فالعاقل من يعمر الدنيا و لم يعمرها و يتزود منها للآخرة بزاد التقوى ، فان الليل و النهار يقرضان فى عمر الإنسان . قال الشاعر :

يا عامر الدنيا تعمر منزلا   لم يبق فيه مع المنية ساكن

الموت شيء أنت تعلم أنه   حق [2]و أنت بذكره متهاون[2]

إن المنية لا تؤامر من أتت   فى نفسه يوما و لا تستأذن

واعلم بأنك [3]لا أبا لك[3] فى الذى   أصبحت تجمعه لغيرك خازن

[4]و قال بعضهم:

خذ تراثك ما استطعت فانما   شركاؤك الأيام و الورّاث[5]

المال مال المرء ما بلغت به الشـهَوات و اندفعت[6] به الأحداث

ما كان منه فاضلا عن قوته   فليوقنن بأنه ميراث

---

(١) ساقطة من بن .

(٢ - ٢) فى بن [١٤٢ : ب] : و تذكره بتهاون .

(٣ - ٣) فى الأصل بر : لا بالك ، و صحتها واضحة من بن .

(٤) هذا القسم بقصيدته ساقط من بر ، و وارد فى بن .

(٥) فى الأصل : الوارث . و صحتها « الورّاث » لاستقامة الوزن بها .

(٦) فى الأصل : و دفعت . و صحتها كما ذكرنا لاستقامة الوزن بها .

ما لى إلى الدنيا الغرور بحاجة   فليخز ساخر كيدها النفاث
طلقتها ألفا لأحسم داءها   و طلاق من عزم الطلاق ثلاث
أم المصائب لا تزال تروعنا   منها ذكور نوائب و أناث
أنى لأعجب من أناس أمسكوا   بعلائق الدنيا و هن رثاث
كنزوا النذور و أعلقوا شهواتهم   فالأرض نبع[1] والبطون غراث
أتراهم لم يعلموا أن التقى   هو زادنا و ديارنا الأجداث

قال فائد بن سميع: سمعت أعرابيا بمكة و قد أبرز زندا قحلةً كأن جلدها جلد ضبّ و هو يقول: عصيتك و أملود الشبيبة يعتصر[2]، و أطعتك و قوس الكبر قد انحنى، نزل المشيب فورد، و بان الشباب فذهب و قهقهة الابيضاض ساميا لتقضى أيامى، و ضحك أشرا (!)[3] لتقريب حِمامى، فيا من يسوّر الآكام بوابل الرباب، و أحيي[4] مظلوم موات الربا بجود السحاب، لا تقتني بعدق[5] (!) الدنيا و لا توردني موارد الأشقياء، فلست أصل سيبا إلا بمعونتك يا رب العالمين[6].

قال القعقاع الضبعى: ذُكر لى أن أعرابيا من بنى زيد مناة انقطع إلى ربه، فخرجت فى طلبه، فوقعت عليه فى نصف نهار و قد استظل

---

(١) الكلمة غير واضحة تمام الوضوح لانطماس بعضها.
(٢) فى بن: معتصر.
(٣) كذا فى بر، و هى فى بن: أثرا.
(٤) فى بن: و احيا.   (٥) كذا فى الأصلين.
(٦) زيد فى بن: فانظر يا هذا إلى فصاحة هذا الأعرابى فى منطقه.

بفيء عصاه[١] و هو يقول : الأرض بساطى و السماء سقفى ، و أنا أسير بين يدى عدوى ، يا مدهق فلاة الفلاة برُهام[٢] منخرق الصفاة ، أجِرْنى من لُهب شواظ احتدام[٣] الحريق ، و قفنى على أخدود مدرجة [١٩٧ : الف] الطريق . قال فسلّمت عليه ، فردّ علىّ[٤] السلام و قال : من أنت ؟ فقلت : رجل قصدك أراد إيناسك . فافتر مبتسما و قال : ما أصنع بأنسك و قانص الأرواح و سائق الأرزاق معى ؟ يحفظ الواحد منهما علىّ[٤] أجلى إلى انقضاء مدته ، و يأتينى الآخر برزقى عند بلوغ غايته ؟ فقلت : عسى الله أن ينفعنى بعلم من عندك . فقال : و لمَ ؟ فقلت : ضَعُف يقينى و قلّ صبرى[٥] . فقال : ادن منى . فدنوت فجعل يضرب بيده صدرى و يقول :

غلبتك نفس غير متعظه　　نفس مفرعة[٦] بكل عظه
نفس مُـــدبرة مصرفة　　مطلوبة فى النوم و اليقظه
الله حسبك من سواه كفى　　راعى الرعاة وحافظ الحفظه

---

(١) فى بن : عضاة .
(٢) فى بن : و برهام .
(٣) فى بن : احتكام .
(٤) ساقطة من بن .
(٥) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .
(٦) كذا فى الأصلين ، وجائز أن تكون الكلمة : مفرغة ، وهى فى بن : مقرعة .

قال: فسرت، و عبرت برهة، ثم قصدت موضعه فلم أجد أثره.

اعلم[1] يا أخي أن الدنيا دار زوال و ارتحال، فالعاقل[2] يزهد فيها على كل حال، لأنه لا بد له من الانتقال، لم يتخلد فيها أحد لكثرة ماله، و لا خوله و رجاله، بل يموت كما يموت الفقير، و يحمل على نعش السرير، و يتساوى فى الثرى هو و العبد الحقير.

[حكاية جعفر البرمكى و الرشيد]

حكى أنه لما فهم جعفر بن يحيى البرمكى التغير من الرشيد عند حجه، و وصلا إلى مدينة الحيرة، ركب جعفر إلى كنيسة بها لبعض الأمر، فوجد فيها حجرا عليه كتابة منقوشة لا تفهم، فأحضر تراجمة الخط و قال فى نفسه: قد جعلت ما فيه فالاً لما أخافه من الرشيد و أرجوه، فقرئ فاذا فيه:

إن بنى المنذر عام انقضوا بحيث شاد البيعة الراهب
أضحوا و لا يزجرهم راغب يوما و لا يرهبهم راهب
تنفح بالمسك دفاريهم و العنبر الورد له قاطب
فأصبحوا أكلا لدود الثرى[3] و انقطع المطلوب و الطالب

فحزن جعفر لذلك. و كانت تجرى على لسانه تلك الأبيات مع الأحيان و يقول: ذهب و الله أمرنا. فلما قتل هارون الرشيد جعفر و أوقع القتل

(١) ف بن: و أعلم

(٢) ف بن: فالزاهد.

(٣) ف بن [١٤٣: الف]: الفلا.

يقول ربى الله و قد جاءكم بالبيّنٰت من ربكم ـ وهى اليد البيضاء و العصا . و إن يك كاذبا فعليه كذبه و إن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم به من العذاب[١] " . ثم قال : " يا قوم لكم الملك اليوم[٢] " يعنى فى الأرض أى نعمة أنعمها الله عليكم ، فيجب عليكم أن تشكروه ولا تكفروه ففزع فرعون من قول المؤمن ثم قال المؤمن : " ما أريكم إلا ما أرى و ما أهديكم إلا سبيل الرشاد[٣] " . ثم خوفهم بعذاب قوم نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم[٤] و أن الله أهلكهم بأنواع العذاب حين[٥] كذبوا رسلهم[٦] . ثم قال: " و يا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مُدبرين ما لكم من الله من عاصم[٧] " يعنى من مانع . فلما سمع فرعون كلامه غضب عليه وقال: كأنك يا حويل ممن يؤمن بموسى فارجع عن ذلك و إلا عاقبتك بأنواع العذاب . قال حويل : " مالى أدعوكم إلى النجٰوة و تدعوننى إلى النار ، تدعوننى لأكفر بالله و أشرك به ما ليس لى به علم ، و أنا أدعوكم إلى [١٩٨ : الف] العزيز الغفار ه لا جرم إنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا و لا فى الآخرة و أن مردّنا إلى الله و أن المسرفين هم أصحاب النار

(١) قرآن كريم : ٤٠ :
(٢) قرآن كريم ٤٠ : ٨
(٣) نفس الآية فى الحاشية الـ[سابـ]ـقة . و ريد بعدها فى بن : يعنى الحق .
(٤) نفس الآية السابقة .
(٥) فى بر : حتى ، و صححتها من السياق فى بن كما أوردناه فى النص .
(٦) عن بن : وهى فى بن : رسولهم .
(٧) قرآن كريم : ٤٠ : ٢٩ - ٣٠ ، و وردت فى بن بعد « التناد » جملة اعتراضية يوم القيامة .

فستذكرون ما أقول لكم و أفوّض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد [١] " يعنى عند معاينة العذاب تذكرون نصحى ثم قام من عند فرعون فلحق بموسى و هارون و تبعهما على دينهما - انتهى .

[قصة قتل ابن البقق سنة ٧١٨]

قيل لما أراد قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف النويرى المالكى قتل الفقيه زين الدين بن البقق لما ثبت عنده كفره ، جلس خارج باب المدرسة الصالحية بين القصرين [٢] بالقاهرية المعزية [٢] معه نوابه و أمير حاضر معهم [٣] بسببه أيضا [٣] . قال قاضى القضاة المذكور للسيّاف : اضرب عنقه . فقال ابن البقق : "أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله [٤] " قال قاضى القضاة : لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم ، اضرب عنقه . فضرب السيّاف عنقه . و البقق منسوب إلى قرية من عمل ماردين يقال لها بقة [٥] وكان قتل ابن البقق المذكور فى سنة ثمانى عشر [٦] و سبعمائة ، و فيها توفى قاضى القضاة المذكور و دفن بقرافة مصر - رحمه الله تعالى [٧] .

[من أخبار مصر]

نعود إلى ذكر أخبار مصر . يروى أن أبا ذر الغفارى [٨] قال : مصر

---

(١) قرآن كريم : ٤٠ : ٤١ - ٤٤ .

(٢-٢) فى بن [١٤٣ : ب] : بالقاهرة .

(٣-٣) فى بن : بسبب قتله .

(٤) قرآن كريم : ٤٠ : ٢٨ .

(٥) فى بن : بققه (٦) فى الأصلين : عشرة

(٧) زيد فى بن : انتهى . (٨) فى بن : الغفار .

أطيب الأرضين ترابا . روى ابن لهيعة عن ابن عباس أن كعب الأحبار سأل رجلا يريد السفر إلى مصر ، فقال له: اهد[1] لى ترابا من سفح جبلها المقطم . فأتاه[2] بجراب ، فلما حضر كعب[3] الوفاة[4] أمر به ففرش فى لحده تحت جنبه . و المقطم تحت مقطع الحجارة ، و أن موسى عليه السلام كان يناجى ربه بذلك الوادى . و روى أسد بن موسى قال : شهدت جنازة مع ابن لهيعة ، فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر إلى الجبل المقطم فقال : إن عيسى بن مريم عليهما السلام مرّ بسفح هذا الجبل و عليه جبة صوف و قد شد وسطه و أمه إلى جانبه ، فالتفت إليها و قال : يا أمه هذه مقبرة أمة محمد[5] . و بينا عمرو بن العاص يسير فى سفح[6] المقطم معه[7] الملك المقوقس القبطى [8]صاحب مصر[8] بعد مصالحة المقوقس لعمرو على مصر ، فقال له عمرو : ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام ، و لو شققنا فى سفحه نهرا من النيل

(١) فى بن : اهدى . و كلمة « لى » بعدها ساقطة .

(٢) زيد فى بن : منه .

(٣) ساقطة من بن .

(٤) فى بن : لوفاة .

(٥) زيد فى بن : عليه السلام .

(٦) زيد فى بن : الجبل .

(٧) فى بن : و معه . و كلمة « المقوقس » وردت قبل « الملك » .

(٨-٨) ساقطة من بن .

و غرسناه

و غرسناه أتلا ؟ فقال له المقوقس : [١٩٨ : ب] وجدنا فى الكتب أنه كان أكثر الجبال اشجارا و نبتا[1] و فاكهة ، وكان هو منزل المقطم بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام ، فلما كانت الليلة التى كلّم الله [2]فيها موسى[2] ، أوحى إلى الجبال إنى مكلم نبيا من أنبيائى[3] على جبل منكنّ ، فسامت[4] الجبال كلها و تشامخت[5] إلا جبل بيت المقدس فانه هبط و تضاءل فأوحى الله[6] إليه . لمَ فعلت ذلك ؟ و هو به أعلم . فقال[7] : إعظاما و إجلالا لك يا رب . فأمر الله[8] الجبال[9] أن يحبوه كل جبل مما عليه من النبت ، و جاد[10] له المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقى كما ترى ، فأوحى[11] الله تعالى[11] إليه إنى معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة . فكتب بذلك عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب إليه عمر : إنى لا أعلم شجر الجنة غير المسلمين ،

(١) فى بن : و نبقا .
(٢-٢) فى بن : موسى فيها .
(٣) فى بن : الأنبيا .
(٤) فى بن : فسمت .
(٥) فى بن : و تفاتحت .
(٦) زيد فى بن : تعالى .
(٧) فى بن : قال .
(٨) زيد فى بن : عز وجل .
(٩) ساقطة من بن .
(١٠) فى بن : بجاد .
(١١-١١) واردة فى بن ، وساقطة من بن .

فاجعله لهم مقبرة . ففعل فغضب المقوقس و قال لعمرو [1]بن العاص[1] : ما على هذا صالحتنى . فقطع له عمرو قطيعا يدفن فيه النصارى[2] - انتهى .

[من دخل مصر من الأنبياء]

و دخل مصر من الأنبياء[3] عليهم السلام يعقوب و أولاده الاثنا[4] عشر و هم يوسف و يهودا و روبيل و لاوى و زبالون[5] و شمعون و سحرة ودنيا و دانا و نفتائيل[6] و جاد[7] و بنيامين . و دخلها موسى و هارون و عيسى بن مريم عليهم السلام .

[من دخل مصر من الصحابة]

[8]و دخل مصر[8] من الصحابة [9]رضوان الله عليهم[9] الزبير [1]بن العوام[1] و المقداد[10] بن الأسود و عبادة بن الصامت و أبو الدرداء و فضالة بن عبيد و عقبة بن عامر و أبو ذر الغفارى و رافع بن مالك

(١ - ١) ساقطة من بن .
(٢) فى بر : القبط .
(٣) فى هامش بن : الأنبياء الذين دخلوا مصر .
(٤) فى الأصول : الاثنى .
(٥) فى الأصل بن : زيالون ، و فى بن [١٤٤ : الف] : زياتون .
(٦) فى « بر » : دعنابيل ، و فى « بن » : رعناسل ،
(٧) فى الأصول : حار .
(٨ - ٨) فى بن : و دخلها . و فى هامش بر : من دخلها من الصحابة .
(٩-٩) فى بن : رضى الله عنهم .
(١٠) فى بن : المقداد . بدون واو العطف .

و عمرو بن علقمة و شرحبيل بن حسنة و سعد بن أبي وقاص و عبد الله ابن عمرو بن العاص و خارجة بن حذافة ن و محمد بن مسلمة و أبو رافع و محمد بن مخلد و أبو أيوب و رويفع بن مالك و معاوية بن خديج و عمار ابن ياسر و عمرو بن العاص و خالد بن الوليد و غيرهم ممن صحب النبي [١]عليه السلام[١] .

و وقف على إقامة[٢] قبلة المسجد الجامع بمصر ثمانون رجلا من أصحاب النبي عليه السلام[٣] .

[من دخل مصر من العلماء]

[٤]و دخل مصر[٤] من العلماء الإمام الشافعي . سئل الأوزاعي : أيما أفضل [٥]أنت أم الشافعي؟ فقال: الشافعي أفضل . فقيل له : أيما أفضل[٥] الشافعي أم مالك بن أنس ؟ فقال :

و ابن اللبون إذا ما لُزّ في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

يعني أن مالكا أفضل من الشافعي[٦] ؛ وجد[٧] على حائط مسجد مكتوب

(١ - ١) في بن : صلى الله عليه و سلم .

(٢) ساقطة من بن .

(٣) في بن : الصلاة و السلام .

(٤-٤) في بن : و دخلها .

(٥-٥) زيدت الجملة في بن ، و هي ساقطة من الأصل بر .

(٦) في هامش بر بقلم غير قلم الناسخ : في اسناد هذه الحكاية للأوزاعي نظر يعلم من تاريخ زيارة الشافعي و موت الأوزاعي و لعل السؤال لغيره .

(٧) في بن : و وجد .

[١٩٩ : الف] مناقب الشافعى و فضله ، فكتب تحته أحد المغاربة ، و كيف لا يكون كذلك و هو تلميذ[١] لمالك ؟

و دخل مصر من العلماء الشعبى و ابن علية و يزيد بن حبيب و الليث ابن سعد ، و له مذهب منفرد ، و هو الذى أخرج[٢] هارون الرشيد من يمينه التى عجز عنها[٣] فقهاء الدنيا[٤] . و ذلك أن الرشيد حلف أنه من أهل الجنة ، فاستفتى الفقهاء فى ذلك ، فكل توقف و لم يجبه[٥] بشىء [٦]تبرأ به يمينه[٦] . فأتاه الليث بن سعد و قال له : هل قدمت قط[٣] على معصية و امتنعت من فعلها ؟ قال الرشيد[٣] : نعم قدمت فى بعض الأيام على معصية و نهيت نفسى عنها فلم أفعلها . [٧]قال : لم يقع[٧] عليك حنث . قال : بماذا ؟ قال : قال الله تعالى : "و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى * فان الجنة هى المأوى *[٨]" . ففرح الرشيد بذلك و شكره و وصله بصلته[٩] .

(١) فى بر : تلميذا . و صحته فى بن كما أو ردناه بالنص .
(٢) زيد فى بن : أمير المؤمنين .
(٣) ساقطة من بن .
(٤) زيد فى بن : فيه .
(٥) فى بن : يجب .
(٦-٦) ساقطة من بن .
(٧-٧) عن بن ، و فى بر : فقال ليس وقع .
(٨) قرآن كريم : ٧٩ : ٤٠ - ٤١ .
(٩) فى بن : بصلة .

و دخل مصر من العلماء عبد الرحمن بن وهب إمام فى الفقه و الحديث و الأخبار. و دخلها ابن القاسم[1] و أشهب و ابن عبد الحكم و ربيع المؤذن و أحمد بن محمد الطحاوى و المزنى، كل واحد منهم[2] [3]قد برع فى مذهبه، و نجم على أهل عصره، و لكل واحد[3] من الكتب المصنفة ما يعجز عن نظيره سائر أهل الدنيا.

[من دخل مصر من الأولياء]

و كان بمصر من الأولياء و الزهاد حياة[4] بن شريح و سليمان بن عمير و أبو الربيع الزهراوى و أبو إدريس الخولانى و سعيد الأدمى و إبراهيم بن أدهم و منصور بن عمار و القاضى بكار[5] بن قتيبة بن أسد ابن أبى بردعة بن عبيد الله بن بسر بن أبى بكرة نفيع بن الحارث مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم و صاحبه. و كان القاضى بكار من البكائين التالين لكتاب الله سبحانه و تعالى، و كان قاضيا بمصر، فاذا فرغ من الحكم خلا بنفسه، و عرض على نفسه قصص جميع من تقدم إليه و ما حكم به و بكى. و كان كثير الوعظ للخصوم إذا أرادوا اليمين

(١) فى بن: القسم.
(٢) زيد فى بن: له.
(٣-٣) ساقطة من بن.
(٤) فى بن: حيوة.
(٥) فى هامش بر: القاضى بكار. و زيد فى بن: و كنيته القاضى بكار أبو بكرة و هو بكار.

يتلو عليهم قوله تعالى: "إن الذين يشترون بعهد الله و ايمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة و لا يكلّمهم الله و لا ينظر إليهم يوم القيمة و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم[١]". و كان يحاسب أمناءه فى كل وقت و يسأل عن الشهود فى كل وقت. و لما كتب أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله[٢] إلى مصر يأمر ببناء المقياس الجديد من [٣]الجزيرة المعروفة بالروضة[٣] [١٩٩ : ب] سنة سبع و أربعين و مائتين، و كان الذى يتولى أمر المقياس النصارى، ورد كتاب أبى[٤] جعفر إلى القاضى بكار بأن لا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره، فاختار لذلك رجلا[٥] يقال له أبو الردّاد[٦]، و كان مؤذنا محدثا، و أجرى عليه الرزق، فاستمر ذلك فى ولده، فصار العوام يقولون لمن يلى أمر المقياس من ذريته ابن أبى الرداد[٧]، و الله أعلم.

---

(١) قرآن كريم: ٣: ٧٧. و بالآية فى بن أخطاء لفظية مثل «يكلم» بدلا من «يكلمهم» و «أيهم» بدلا من «أليم».

(٢) الخليفة العباسى و حكمه ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م.

(٣-٣) فى بن: جزيرة الروضة.

(٤) ساقطة من بن.

(٥) فى بر: رجل. و صحته فى بن كما فى النص.

(٦) فى بن: ابو الدرداء.

(٧) فى الأصل: أبو. و الكلمة مصححة إلى «أبى» بقلم أحدث، و الصواب فى بن و زيد فيها: أبى الرداد كذا قيل - و الله تعالى أعلم.

[احمد بن طولون و القاضى بكار]

و كان أحمد بن طولون[١] واليا على مصر من قبل خلفاء بنى العباس، [٢]و كان كثير الصدقة و العفو عن المملوك و الحلم على الجاهل[٢]، و كان يعظم القاضى بكارا و يكرمه و يجيزه فى كل سنة بألف دينار سوى الرزق الذى كان يتناوله على القضاء فى كل شهر. فلما فسد ما بينهما قال له أحمد ابن طولون: أين جوائزك؟ قال: بحالها. فأرسل أحمد بن طولون إلى منزل[٣] بكار، فوجد فيه ستة عسر كيسا فيها ستة عشر ألف دينار بخواتم ابن طولون ما مسها[٤]. [٥]و انتهى أمر ابن طولون إلى أن سجن القاضى بكار بسبب أن ابن طولون[٥] جمع الفقهاء على خلع الموفق طلحة[٦] لما ولى الخلافة إلا القاضى بكار، فانه لم يوافق على خلعه. فلذلك سجنه ابن طولون، و أخذ منه تلك الجوائز. و لما اعتل ابن طولون راسل بكارا[٧] و قال له:

---

(١) و حكمه ٢٥٤ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٢ م.

(٢-٢) ساقطة من بر، و واردة فى بن [١٤٤ : ب].

(٣) زيد فى بن: القاضى.

(٤) فى بن: مساها.

(٥-٥) نقلا عن بن، و العبارة فى بر بها تكرار و خبل.

(٦) أبو أحمد طلحة الموفق ابن الخليفة المتوكل على الله و كان فى سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١ - ٨٧٢ م بدمشق.

(٧) فى بن: القاضى بكار.

أنا أردّك إلى منزلك[١] و أدفع عنك ما أردت منك . فقال القاضى بكار لرسول ابن طولون : قل له شيخ فان[٢] ، و عليل مدنف ، و الملتقى قريب ، و القاضى اللهُ عزّ و جلّ . [٣]فلما عاد الرسول إليــه قال له : ما قال لك القاضى بكار ؟ فذكر له ما قال ، فصار ابن طولون يقول : شيخ فان[٢] ، و عليل مدنـف ، و الملتقى قريب ، و القاضى الله عز و جل . و يـكرر[٣] هذا الـكلام كالمتعظ بهذا القول لمـا انزعج و خاف منه ، فأمر بنقله إلى دار اكتريت له . فلما توفى أحمد بن طولون لعشر خلون من ذى القعده سنة سبعين و مائتين[٤] ، قيل للقاضى بكار : قد مات ابن طولون . ثم قيل له : انصرف إلى منزلك ، فأتى إلى منزله ، و أقام بـكار بعد ابن طولون أربعين[٥] يوما و مات رحمه الله تعـالى . و قبره بقرافة مصر يعرف عنده باجابة الدعاء . و كانت ولايته لقضاء مصر أربعا و عشرين سنة و ستة أشهر و ستة عشر يوما . و أقامت مصر بعده بغير قاض[٦] ثلاث سنين . و يقال إنـــه أحصى من قتله ابن طولون و مات بحبسه فـكان

(١) فى بن : منزلتك .

(٢) فى بر : فانى . و صححتها كما فى بن و النص .

(٣-٣) فى بن : فلما بلغ قوله ذلك ابن طولون كان يبكى و يكرر - الخ .

(٤) الموافق ١٠ مايو سنة ٨٨٤ م .

(٥) فى بر : اربعون . و صححته فى بن كما فى النص .

(٦) فى الأصل بر : قاضى . و صحة الكلمة فى بن كما أوردناها بالنص .

مبلغهم ثمانية عشر ألفا[١] .

و قيل : إن المزنى[٢] أدى شهادة عند القاضى بكار ، فقال له القاضى بكار : من أنت ؟ قال : أنا المزنى [٢٠٠ : الف] قال : أنت صاحب الشافعى ؟ قال : نعم . قال : و من يشهد لك بذلك ؟ قال : هؤلاء الحاضرون[٣] . فشهدوا له فقبل القاضى شهادته من غير أن يكلفه لتزكية لأن طلب القاضى منه التزكية سقوط منزلته[٤] . °فلما خرج من عنده قال : سترنى القاضى ستره الله° .

---

(١) زيد هنا فى بن : قال بعضهم رأيت احمد بن طولون فى النوم بعد موته فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال لى : لما قبضت ساقنى سائق عنيف فورت على جهنم و قد فتحت أبوابها و ارتفع دخانها فخفتُ خوفا شديدا و أيقنت بالهلاك و اذا بجارية طيبة الرائحة جميلة المنظر قد أتت الىّ و هى تقول : لا تخف يا أحمد ! فان الله سبحانه و تعالى وهبك ثم وقفت بينى و بين النار ، ثم أقبلت جارية أخرى فقالت : أبشر يا أحمد ثم زجرت النار عنى فكف لهيبها ، فقلت للأولى : من أنت ؟ قالت : أنا عفوك عن المملوك و بحلمك على الجاهل ، و قلت للثانية : من أنت ؟ قالت : أنا صدقتك التى كنت تخفيها يمينا و شمالا و صباحا و مساء ، ثم نادى مناد من تحت العرش : أدخلوه من باب المغفرة فأدخلت الجنة . فقلت له : فما هذه الكآبة التى ظهرت عليك ؟ فقلت : حيا مما كان (كذا فى الأصل) .

(٢) و أيضا فى هامش بر : المزنى .

(٣) فى بر : الحاضرين . مصححة بقلم آخر و هى صحيحة فى بن .

(٤) فى بن : لمنزلته .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بن .

و المزنى هذا هو إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمر بن إسحاق، [١]صحب[١] الإمام الشافعى من أهل مصر، و كان [٢]عالما زاهدا مجتهدا محجاجًا غويصا[٢]، و هو [٣]رئيس الشافعيين[٣] و أعلمهم بطرقه و فتاواه[٤] و ما ينقله عنه، صنف كتبا كثيرة منها الجامع الكبير و الجامع الصغير و مختصر المختصر و غير ذلك. و قال الشافعى فى حقـه: المزنى ناصر مذهبي. و كان المزنى إذا فرغ من مسألة و أودعهـا مختصره قام إلى المحراب فصلى ركعتين شكراً لله[٥].

[من دخل مصر من الأدباء]

و دخل مصر من الأدباء و الشعراء نصيب و جميل بثينة و ابن قيس الرقيات[٦] و الأحوص و أبو ذؤيب معلّا[٧] الطائى [٨]و دعبل الخزاعى[٨] و أبو صعصعة و أبو نجاد و كثير عزّة و أبو نواس[٩].

---

(١) فى بن: صاحب.

(٢-٢) فى بن: زاهدا عالما - و بقية الجملة مطموسة.

(٣-٣) فى بن: امام الشافعية.

(٤) عن بن، و فى بر: فتاويه.

(٥) زيد فى بن: تعالى.

(٦) فى بن: المرقيات.

(٧) فى بن: و معلا.

(٨-٨) و رد الاسم فى بن بعد أبى نجاد.

(٩) وردت هنا زيادة طويلة فى بن [١٤٥: الف - ١٤٦: ب] و هى ساقطة=

¹ قال أبو العباس: كان أبو محمد عبد السلام الملقب ديك الجن ماجنا خليعا عاكفًا على اللهو و القصف مُتلِفا لماله ¹، فلما ² قصد أبو نواس السفر من بغداد إلى مصر اجتاز بحمص، فأتى إلى دار ديك الجن المذكور ³ فطرق الباب و استأذن عليه، فقالت الجارية: ليس هو هنا. فقال لها أبو نواس: قولى له اخرج فقد فتنت أهل العراق ⁴

= من بر. و تشمل هذه الزيادة بعض قصص المتيمين مثل قصة جميل و بثينة ثم قصة كثير و عزة ثم قصة قيس بن ذريح و لبنى كما وردت بها أيضا قصيدة فى هجو الخليفة المأمون من دعبل الخزاعى حيث يقول:

إنى من القوم الذين سيوفهم ... قتلت أخاك و شرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله ... واستنقذتك من الحضيض الأوهد

غير أن أكثر الأشعار الواردة فى بقية القصص بها نقص و سقط و خبل فى المعنى و الميزان فآثرنا التجاوز عنها و الابقاء على ما اكتفى به ناسخ بر.

(١-١) العبارة ساقطة من [illegible].

(٢) فى بن [١٤٦ : ب]: و أما أبو نواس فانه لما قصد - الخ.

(٣) فى بن: المشهور.

(٤) وردت هذه الحكاية بوفيات الأعيان (ج ١ ص ٤١٥) فى ترجمة ديك الجن و الأبيات كالآتى:

بها غير معدول فداو خمارها ... و صل بعشيات الغبوق ابتكارها
و نل من عظيم الوزر كل عظيمة ... اذا ذكرت خاف الحفيظان نارها

و بقية الأبيات كما وردت فى النص مع اختلاف لفظى طفيف مثل (فقام تكاد الكأس) و كذلك (و ظللنا بأيدينا نتعتع روحنا). و ديك الجن ولد سنة ١٦١ هـ و توفى سنة ٢٣٥ أو ٢٣٦ هـ أى ٧٧٧ - ٧٧٨ / ٨٤٩ - ٨٥١ م.

بقولك :

موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده[1] فأدارها

فلما سمع ديك الجن خرج إليه و اجتمع به فأضافه[2] . و هذا البيت من جملة أبيات و هي :

بها غير معدول فداو[3] خمارها و صل بحبالات الغبوق[4] ابتكارها
و قم أنت فاحثث[5] كأسها غير صاغر و لا تسق إلا خمرها و عقارها
فقام يكاد الكأس يحرق كفه من الشمس أو من وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتعتع رُوحنا[6] فتأخذ من أقدامنا الروح ثارها
موردة من كف ظبي كأنما تناولها من خده فأدارها

[٢٠٠ : ب] فتشبيهه[7] الساقي بالظبي لحُسن لفتته و تكحيل مقلته .

[الاصمعي و الاعرابي و خبر ظبيتين]

[8]و سأذكر هنا[8] خبر ظبيتين أصيدتا[9] بالسعي على القدمين لا ببازين و لا بكلبين . و هو ما ذكره الأصمعي قال : حدثنا بعض مشايخنا قال :

(١) عن بن ، و في بر : خدها .
(٢) في بن : و أضافه .
(٣) في بن : فداوى و الكلمة في ابن خلكان : فداو .
(٤) في بن : البروق .
(٥) في الأصل : فاحثث (٦) في بن : روحها .
(٧) في بن : فشبه .
(٨-٨) في بن : فلنذكر الآن ـ و بهامش بر : نكتة حسنة .
(٩) في بن : اصطيدتا .

خرجنا إلى بعض المنازل، فاذا نحن بأعرابى قد أقبل و معه ظبية له فقال: بكم تبتاعونها منى؟ قلنا: بكذا. قال: بل بكذا. فوافقناه من ثمنها على ستة دراهم، ثم نظرنا فاذا ليس بها أثر صيد، وكأنّا[1] اتهمناه أنه سرقها من بعض البيوت، فقلنا: يا أعرابى و الله ما نرى بها أثرا[2]، و لا نرى معك كلابا و لاجوارح، فنقول إنك اصطدتها[3] بها، وكأنك أرسخت التهمة فى قلوبنا، إنك سرقتها من بعض البيوت. [4]قال: لا و الله يا بنى عم[5] ما سرقتها، و لكنى سعيت عليها بأقدامى فصدتها بيدى، فهل لكم أن تبتاعوا منى غيرها؟ قال فنظر بعضنا إلى بعض و قلنا: و الله ما نظرنا منظرا أحسن من هذا. فمضى بنا إلى أكمة، ثم أشرف منها على قطيع من ظباء[6]، فاذا فيها ظبية جماء، فقال: اختاروا أيها[7] شئتم. قلنا: الجماء. قال: و الله لقد اخترتموها أوسعها منخرا و أرحبها جوفا، فبكم[8] تبتاعونها منى؟ قلنا: بعشرة دراهم. قال: فاجمعوا العشرة فى

(١) فى بن: وكأنما.

(٢) فى بن: من أثر.

(٣) فى بن: اصطلتها.

(٤-٤) مطموسة فى بن.

(٥) فى بن: عمى.

(٦) فى بن: الظبى.

(٧) فى بر: أيهم، صححت بقلم آخر و هى كذا فى بن.

(٨) فى بن: أفبكم.

كف رجل منكم. ففعلنا، فلما نظر إليها أخرج إزارا له[1] فاتّزر به، ثم أرسل نفسه[1] كأنه البرق الخاطف، ثم لم نر شيئا، ثم إذا نحن به قد[1] أقبل بالظبية وهي تضغو[2]، وهو يقول:

كيف ترى الجماء تزوي جدها   تروم شدي وأروم شدها

لا تعد من شد غلام ردها

هلم[3] العشرة دراهم. ثم قال: أتعجبون؟ والله ما ضمت البيداء ولاحوت الأخبية أيسر ولا أغنى مني لاصطيادي للظباء، ويبي لها على رؤس الملاء. قال فعجبنا من صيده للغزلان على أقدامه[4] وسعيه خلفها برجليه [5]وقبضه عليها بيديه[5]. وكذلك كان يصطاد بجريه المهاة[6]. والمهاة بقرة الوحش، وقد شبهت المرأة بالمهاة، أي كأنها مثلها وحشية لنفارها بسبب صيانتها، قال الشاعر:

أردنا أن [7]نصيد به[7] مهاة   فقطعت الحبائل والحبالا

(١) ساقطة من بن.

(٢) في الأصلين: تصغوا. [بن ١٤٧: الف].

(٣) في بن: هلم.

(٤) في بن: قدميه.

(٥-٥) ساقطة من بن.

(٦) في بن: المها.

(٧-٧) عن بن، وفي ير: نصيب بها.

أفصح

[أفصح من سحبان وائل و أعيا من باقل]

و سأذكر[١] ما قيل فى باقل و ظبيته، و ذلك أن باقل كان رجلا من العرب معروفا بالعى[٢]، اشترى ظبية بأحد عشر درهما و جاء بها [٢٠١: الف] إلى أمه، فسألته عن ثمنها، فنثر[٣] يديه، و فرق بين أصابعه و أخرج[٤] لسانه، و خلا[٥] عن الظبية، فهربت[٦] بسبب فعله ذلك يريد أحد عشر[٧] درهما، فضربت العرب به المثل فقالوا: [٨]أفصح من سحبان وائل[٨] و أعيا من باقل[٩].

سحبان وائل اسمه زفر الوائلى يقال إنه وفد إلى أمير المؤمنين معاوية ابن أبى يوسف (كذا) فدخل عليه و عنده خطباء القبائل، فلما رأوه خرجوا لعلمهم بقصورهم عنه، فقال سحبان:

لقد علم الحى اليمانون أننى إذا قلت أما بعد أنى خطيبها

---

(١) فى بن: فلنذكر أيضا.

(٢) فى بر: بالسعى و فى بن: بالمعى. و هو خطأ فلى واضح فى كليهما.

(٣) فى بن: فنشر. (٤) فى بن: و حرج.

(٥) فى بن: و خلى. (٦) فى بن: ففرت.

(٧) فى بن: عشرى.

(٨-٨) واردة فى بن، و ساقطة من بر.

(٩) زيد فى بر: انتهى. ـ و قد أسقطنا الكلمة لننقل عن بن [١٤٧: الف - ١٤٨: ألف] قسما مطولا بدأ بالكلام عن سحبان ثم انتهى عند استئناف الحديث فى بر عن مسكين الدارمى ـ و هذا القسم برمته ساقط من بر و قد آثرنا إيراده فى النص لاحتوائه مادة لها طابعها التاريخى.

فقال معاوية : أخطب . فقال : انظروا لى عصا أقيم بها من أودى . قالوا : ما تصنع بالعصا و إنا بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال : ما كان يصنع بها موسى و هو يخاطب ربه عزّ و جلّ ؟ و أخذها و تكلّم من الظهر إلى أن قارب العصر ما يتحنح و لا ابتدأ فى معنى فخرج منه و قد تعثرت عليه بقية . فقال معاوية[1] : الصلاة. فقال سحبان : إن الصلاة أمامك[2]... فى تحميد و تمجيد، و عظة و تذكير و وعد و وعيد . فقال معوية[1] : أنت أخطب العرب . فقال : العرب وحدها ، بل أخطب الجن و الإنس . قال معاوية[1] : كذلك أنت . و توفى سنة أربع[3] و خمسين من الهجرة - رحمه الله تعالى .

[من اخبار الامويين الأول و بعض الصحابة]

و كان صخر بن حرب الأموى أبو معاوية[1] لم يزل على الشرك يقود الجيوش لقتال النبى صلى الله عليه و سلم إلى أن أسلم يوم فتح مكة ، و كان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن إسلامه و شهد اليرموك تحت راية ابنه يزيد ، و ابنته أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و توفى عليه السلام و أبو سفيان عامله على نجران . و كان أبو سفيان[4] من أشراف قريش و شهد الطائف مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و رمى يوم ذلك بسهم فذهبت عينه الواحدة ، فقال له النبى صلى الله عليه و سلم

(١) فى الأصل : معوية .

(٢) هنا كلمة مطموسة جزئيا و جائز قراءتها « المنا » أو « السنا » أو « العنا » و يصعب استقامه السياق بأيها فآثرنا ترك مكانها بياضا بالنص .

(٣) فى الأصل « أربع » ساقطة ، و المعروف أن سحبان توفى سنة ٥٤ هـ/٦٧٤ م فأدخلناها فى النص .

(٤) فى الأصل : سفين .

وعينه في يده: أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعو الله أن يردّها عليك؟ فقال: بل عين في الجنة. ورمى بها إلى الأرض، وأصيبت عينه الأخرى يوم اليرموك. وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الإبل وأربعين أوقية ذهب وزنها له بلال، وأعطى ابنه معاوية[١] مثل ذلك. فقال أبو سفيان ١: فانك لكريم فداك أبي وأمي لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثم سالمتك فنعم المسالم كنت جزاك الله خيرا. وقال ثابت البناني: إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "من دخل دار أبي سفيان[٢] فهو آمن" لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أوذي بمكة دخل دار أبي سفيان٢ فأمن. وكان أبو سفيان قاضي الجماعة يوم اليرموك يسير فيهم ويقول: الله! الله! عباد الله! انصروا الله ينصركم، اللهم أنزل نصرك على عبادك، يا نصر الله اقترب، يا نصر الله اقترب. وتوفي (و) سنّه٣ نضع وتسعون سنة، [ن١٤٧: ب] وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان أسلمت قديما وهاجرت هي وزوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصّر زوجها هنالك وبقيت هي على دين الإسلام، ومات زوجها هنالك، فلما تأيّمت[٤] من زوجها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة أن يزوجه إياها فزوجه إياها وبعث بها إليه. وقيل: إن النجاشي أنقدها من ماله ثلاثمائة دينار وبعث بها إلى النبي

(١) في الأصل: معوية. (٢) في الأصل: سفين.
(٣) واو العطف ساقطة من الأصل ولزومها واضح.
(٤) بمعنى أنها مكثت زمانا بدون زوج.

صلى الله عليه و سلم فى سنة سبع من الهجرة . و يروى أنه لما جاء أبوها عام الفتح إلى المدينة و كلم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يزيد فى هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة ! فثنت عنه فراش رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقال لها : و الله يا بنية ! ما أدرى أرغبت بهذا الفراش أم بى عنه؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم و أنت رجل مشرك نجس . فقال : و الله يا بنية ! لقد لقيت[1] بعدى شرًّا . وكانت هذه ام حبيبة من العابدات الورعات رضى الله تعالى عنها . قالت عائشة رضى الله عنها : دعتنى أُم حبيبه[2] عند موتها فقالت : قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر . فقلت : يغفر الله لى و لك ما كان من ذلك كله و يتجاوز[3] عنك و يحاللك[4] من ذلك . فقالت : سَررْتِنى[5] أسرّك الله . وأرسلت إلى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك . و توفيت فى ثالث عشر المحرم . و أما عبد الرحمن بن عوف الزهرى القرشى فانه أسلم قديما على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، هاجر إلى الحبشة و إلى المدينة و آخى[6] رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه و بين سعد بن الربيع و شهد بدرا و ما بعدها ، و هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة و أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام و أحد الستة أصحاب الشورى . قال معمر عن الزهرى : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم بشطر ماله فكان أربعة آلاف درهم ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله و خمسمائة راحلة فى سبيل الله

(١) فى الأصل : لقيتى . (٢) فى الأصل : حبيب (٣) فى الأصل : يجاوز .
(٤) فى الأصل : ويحاللك . (٥) فى الأصل : سررتينى . (٦) فى الأصل : وآخا .
(٧) فى الأصل : له .

و كان عامة ماله من التجارة. و قال الامام ابن حنبل فى مسنده قال بينما عائشة رضى الله تعالى عنها فى بيتها إذ سمعت رجّة فى المدينة فقالت: ما هذا؟ قالت: قافلة لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء و كانت سبعمائة بعير، فقالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول «قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا» فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال: إن استطعت لأدخلها قائما، فجعلها بأقتابها و أحمالها فى سبيل الله. و لما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل بقى من أهل بدر بأربعمائة دينار و كانوا مائة نفر حتى عثمان[1] بن عفان و على بن أبى طالب، و أوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كبير. و كانت عائشة تقول: سقاه الله من السلسبيل. و أعتق جميع مماليكه ثم ترك بعد ذلك مالا جزيلا و ذلك ذهب قطع بالفؤس حتى كلّت أيدى الرجال. و ترك ألف بعير و مائة فرس و ثلاثة آلاف شاة. و كنّ نساؤه أربعا[2] فصولحت إحداهن عن ربع الثمن بثمانين ألف دينار، و لما مات صلى عليه أمير المؤمنين عثمان[1] بن عفان، وحمل فى جنازته سعد بن أبى وقاص، و دفن بالبقيع عن خمس و سبعين سنة، . كان عبد الرحمن بن عوف أبيض مشربا بحمرة حسن الوجه رقيق البشرة أعين [ب ١٤٨ : الف] أهدب أشفار العينين لا يغير شبه - رضى الله تعالى عنه.

و كان عقيل بن أبى طالب أسن ولد أبى طالب بعد طالب، و كان بينه و بين طالب عشر سنين. ثم بينه و بين جعفر بن أبى طالب عشر سنين، ثم بين جعفر و بين على بن أبى طالب عشر سنين و كان

(١) فى الأصل: عثمن. (٢) فى الأصل: أربع.

أصغرهم سنّا و أقدمهم إسلاما . خرج عقيل يوم وقعة بدر مع المشركين مُكرَهًا فشهدها و أسر ففداه عمه العباس ثم أتى مسلما قبل وقعة الحديبية و شهد غزوة موتة . و كان عقيل بن أبي طالب أنسب قريش و أعلمهم بآبائهم، و لكنه كان مبغضا إليهم لأنه كان يعدّ مساويهم، و كان له دار بالمدينة مذكورة، و كان له طنفسة تطرح فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم يصلون عليها ، و يجتمع إليه فى علم النسب و أيام العرب ، و كان أسرع الناس جوابا و أحضرهم مراجعة فى القول و أبلغهم فى ذلك ، و كان الذين يتحاكم إليهم ويوقف عندهم فى علم النسب أربعة: عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل و أبو جهم بن حذيفة و حويطب بن عبد العُزّى وعقيل أكثرهم ذكرا لمثالب قريش فعادوه لذلك و قالوا فيه الباطل و نسبوه إلى الحمق و اختلقوا عليه أحاديث مزورة ، و كان مما اعابهم عليه مغاضبته لأخيه عليّ و خروجه إلى معاوية و إقامته عنده بدمشق ، و قال معاوية[٣] يوما بحضرته : هذا أبو يزيد لولا علمه بأني خير له من أخيه عليّ لما أقام عندنا و تركه . فقال عقيل : أخي خير لى فى ديى و أنت خير لى فى دنياى و قد آثرت دنياى و أسال الله خاتمة خير . و كان عقيل لما التحق بمعاوية بالغ معاوية فى بره و إكرامه إرغاما لعلى ابن أبي طالب ، فلما قتل عليّ و أستقل معاوية بالأمر ثقل عليه أمر عقيل فكان يسمعه ما يكره لينصرف عنه ، فبينا هو فى مجلس حفل بأعيان الشام إذا قال معاوية[٣] : أتعرفون أبا لهب الذى أنزل الله فى حمه "تبت يدا أبي لهب" من هو ؟ فقال أهل الشام : لا ! فقال : هو عم هذا

(١) فى الأصل : الدى . (٢) فى الأصل : عبد القوى . (٣) فى الأصل : معوية .

و أشار إلى عقيل . فقال: عقيل: أتعرفون امرأته التى قال الله تعالى فى حقها "و امرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مَسَد". فقالوا: لا! قال: هى عمة هذا . و أشار إلى معاوية[١] ، و كانت عمته أم جميل بنت حرب بن أمية - انتهى[٢] .

[خبر مسكين الدارمى]

فلنذكر الآن خبر مسكين الدرمى [٣]مع بعض التجـار بأكساد بضاعته[٣] . و ذلك أن بعض التجار قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه حمل من الخمر السود فلم يجد لها طالبا فكسدت عليه و ضاق صدره ، فقيل له ما ينفقها لك إلا مسكين الدارمى وهو من مجيدى الشعراء الموصوفين بالظرف و الخلاعة ، فقصده فوجده قد تزهد[٤] و انقطع فى المسجد ، فقصّ عليـه القصة فقال: وكيف أعمل[٥] و أنا قد تركت الشعر و انعكفت على هذا الحال؟ فقال له التاجر: أنا رجل غريب و ليس لى بضاعة سوى هذا الحمل ، وتضرّع إليه ، فخرج من المسجد و أعاد لباسه الأول ، و عمل هذين البيتين و أشهرهما وهما:

(١) الأصل: معوية .
(٢) هنا ينتهى القسم المستخرج من بن ، و يبدأ بعدئذ استئناف الكلام من بر [٢٠١ : الف] .
(٣-٣) ساقطة من بر ، وواردة فى بن .
(٤) فى بن: تنزه .
(٥) فى بن: أصنع .

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا أردت بناسك متعبد

قد كان شمر للصلاة إزاره حتى وقفت له بباب المسجد

فشاع بين الناس أن [١]مسكينا الدارمى قد رجع[١] إلى ما كان عليه و أحب واحدة ذات خمار أسود ، فباع التاجر الحمل الذى كان معه بأضعاف ثمنه لكثرة رغباتهن فيه ، فلما فرغ منه عاد مسكين إلى تعبده و انقطاعه .

[٢]و مسكين الدارمى إسمه ربيعة و لقب بمسكين لقوله :

أنا مسكين لمن أنكرنى و لمن يعرفنى جد نطق

لا أبيع الناس عرضى لو أبيـــع الناس عرضى مانفق

و إذاالفاحش لاقى[٣]فاحشا فهناك وافق شنّ الطبق

إنما الفحش و من يعنى به كغراب الشر ما شاء نعق

أو حمار السوء إن أشبعته رمح الناس و إن جاع نهق

[بن٤٨ا:ب] أو غلام السود إن جوّعته سرق الناس و إن يشبع فسق

أيها السائل عما قد مضى هل جديد مثل ملبوس خلق[٢]

و من شعر التنوخى فى الخمار المذهّب :

قل للمليحة فى الخمار المذهّب أفسدت نسك أخا التقى[٤] المترهّب

نور الخمار و نور خدك تحته عجبا لوجهك كيف لم يتذهّب

و جمعت بين المذهبين فلم يكن للحسن عن ذهبيها[٥] من مذهب

(١-١) فى بن [١٤٨ : الف] : مسكيناً عاد .

(٢-٢) هذا الجزء ساقط من بر ، و وارد فى بن [١٤٨ : الف - ب] .

(٣) فى الأصل : لاقا . (٤) فى الأصل : التقا .

(٥) فى بن : مذهبيها .

و إذا أتت عين لتسرق نظرة   قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

من أحسن ما سمعت[1] فى هذا المعنى لبعض الشعراء :

لها فى سماء الوجه سبع كواكب   من الحسن حرّاس على كل مرقب
فان رام إنسان ليسرق نظرة   كلمحة برق أحرقته بكوكب

[من أخبار القاضى التنوخى]

[2]قال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان فى تاريخه[2] : و كان القاضى أبو على التنوخى من أعيان أهل العلم و الأدب و أفراد الكرم و حسن الشيم و كان كأقرانه فى فضل الصاحب بن عباد إن [٢٠١ : ب] أردت فسبحة ناسك ، و إن أحببت[3] فتفاحة فاتك ، و إن اقترحت[4] فدرعة راهب . و كان تقلد قضاء البصرة و الأهواز بضع سنين ، و كان[5] الوزير المهلبى و غيره من وزراء العراق يميلون إليه و يتعصبون له و يعدونه ريحانة الندماء و تاريخ الظرفاء . و كان من جملة الفقهاء و القضاة[6] ، الذين ينادمون الوزير المهلبى و يجتمعون عنده فى الأسبوع ليلتين على

(١) فى بن : قيل .

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن .

(٣) فى بن : أردت .

(٤) فى بن : افتخرت .

(٥) فى بن: فكان .

(٦) ساقطة من بر و واردة فى بن .

اطراح الحشمة و البسط فى القصف و الخلاعة ، و هم القاضى أبو بكر بن قريعة و ابن معروف و التنوخى المذكور[١] و غيرهم و ما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، و كان كذلك الوزير المهلبى ، فاذا تكامل الأنس ، و طاب المجلس ، و لذّ السمع ، و أخذ الطرب منهم مأخذه ، و خلعوا ثوب[٢] الوقار للعقار ، و تقلبوا فى أعطاف العيش ، بين الخفة و الطيش[٣] ، وضع فى يد كل واحد منهم طاس ذهب زنته ألف مثقال مملوءا شرابا عتيقا قطربليا أو عكبريا[٤] ممزوجا[٥] بالسكر الطبرزد ، فيغمس كل واحد منهم لحيته فيه و ينقعها حتى تتشرب و يرش بها بعضهم بعضا ، و يرقصون بأجمعهم و عليهم المصبغات و مخانق المنثور ، فاذا أصبحوا[٦] عادوا كهيئتهم[٧] فى التوقر و التحفظ بأبهة[٨] القضاء و حشمة المشايخ الكبراء .

[٩]قال السرى الموصلى فيهم :

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشوا فى مخارق البرم[٩]

---

(١) ساقطة من بن .

(٢) فى بن : اثواب ـ أو : أبواب .

(٣) فى بر : والطين ، و الصواب بهامشه .

(٤) فى بن : عكريا .

(٥) فى الأصلين : ممزوج .

(٦) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

(٧) فى بن : كهيئاتهم .

(٨) عن بن ، و فى بر : بأهبة .

(٩ ـ ٩) ساقطة من بر ، و واردة فى بن .

من

١من صاحب يخلط المجون لنا نصيبه خلوة من الغُنُم
يخضّب الراح شيبه عبثا حتى يُرى مثل حمرة الغَنَم

و قد ذكر ابن الربيب فى تاريخه أن هؤلاء المشايخ يعرفون بشيوخ الهرهرة، فانهم كانوا إذا طربوا يقولون هرهر. وكان منهم أبو الفرج الاصبهانى صاحب كتاب الأغانى و ابن حجاج الشاعر المحتسب ببغداد[١]

و من شعر التنوخى أيضا قوله:

و راح من الشمس مخلوقة بدت لك فى قدح من نهار
كأن المدير لها باليمين إذا مال للسقى أو باليسار
تدرّع[٢] ثوبا من الياسمين له [٣]فردكم[٣] من الجلنار

و مما قاله يزيد بن معاوية فى الخمر:

مدام كتبر فى إناء كفضّة وساق كبدر والندامى[٤] كأنجم
لها حبب من فوق شباك لؤلؤ كنقشة دينار على دور درهم
تشير إليها بالبنان كأنما تشير إلى البيت العتيق المحرم
فان حُرّمت يوما على دين أحمد فخذها على دين المسيح بن مريم

و لبعضهم فيها[٥]:

(١-١) ساقطة من بر، و واردة فى بن.
(٢) فى بن: تذرح.
(٣-٣) فى الأصل بر: فن دكم. و هو فى بن مع مطابقته على ما ورد بوفيات الأعيان كما فى النص.
(٤) فى الأصلين: و النداما. (٥) فى بن: فى الخمر.

أسقيانى حتى أموت مكانى وادفنانى فى طين روس الدنانى[1]
واكتبوا من دمى على لوح قبرى رحم الله ميتا سكران

[٢٠٢ : الف] فانظر إلى هذا التغالى فى الخمر المحرمة . فلو كانت حلالا ما تغالوا فيها هـذا التغالى ، و لكن لما مُنعوا منها تولعوا بها كما قال بعضهم :

منعت شيئا فأكثرت الولوع به أحبّ شىء على الإنسان ما منعا

و سيأتى ما قالته الشعراء فيها من الشعر و امتحان بعضهم بها و تهافتهم عليها و ما قاله صاحب كتاب زهر القريش فى الحشيش . انتهى[2] .

[من دخل مصر من الحكماء]

و دخل مصر من الحكماء اعاثيمون و فيثاغورس[3] تلامذة هرمس الحكيم ، لهم من العلوم صناعة الكيمياء . قال بعضهم فى محبوبه المتولع بصنعة الكيمياء :

[4]تعلمت علم الكيميا[4] لحبه بجسمى ماء أضحى بعينيه من سقم
أخذت قراع الحب لطفت نارها و ركبت إنيق الغرام على رسم
فصعّدت أنفاسى و قطّرت أدمعى فصح من التدبير تصفيرة الجسم[5]

انتهى .

---

(١) فى بن : الدنان .
(٢) ساقطة من بن .
(٣) فى بن [١٤٩ : الف] : فيثاعورت .
(٤–٤) فى بن : نظمت .
(٥) فى بن : لجسم .

و لهم أعنى الثلاثة الحكماء من العلوم أيضا النجوم و السحر و علم الروحانيات و العزايم و الطلسمات و أسرار الطبيعة و أحضار الجن بالمنازل المنصوبة[١] .

[بعض ما قيل فى الجن و الشياطين]

[٢]و سأذكر هنا[٢] ما قيل فى الجن و الشياطين و إبليس و عرشه و شعره إن شاء الله تعالى . عن عبد الله بن عباس قال : سمعت على بن أبى طالب يقول : خلق الله الجان من نار السموم و خلق من جنبه زوجته الجنية ، فغشيها فباضت إحدى و عشرين بيضة ، فحضنت واحدة فخرجت منها قطربة فهى أم القطارب . و قالت : يا قطربة . قالت : إيه . قالت : احضنى هذا البيض . قالت : لذلك خلقت . فحملت خمسا فحضنت عليها بجناحها بين مسقط عين الشمس و مطلع سهيل ، فخرجت منها أمة من الجن يقال لها الرهارس[٣] ، ثم حملت خمسا فحضنت عليها بين مسقط سهيل و مطلع عين الشمس يقال لها النهارس ، و حضنت خمسة[٤] فى البر فخرجت منها أمة يقال لها [٥]التكابر ، و حضنت خمسة فى البحر يقال لها[٥]

---

(١) فى هامش بن : الجن و الشياطين .

(٢-٢) فى بن : فلنذكر الآن .

(٣) فى بن : الدهارس .

(٤) فى بن : خمسا .

(٥-٥) العبارة ساقطة من بن .

التكاثر . فسئل عن الجن فقال : كانوا قبل الجن أظهروا غرورا فسلط الله عليهم الملائكة فأبادتهم إلا الأقل . و سألت[1] عفعفان نسابة الجن : هل تحفظ لإبليس شعرا ؟ فأنشدت :

لما ذا[2] سلامة من أضحت مُطيبـة[3] موقوفة بين أهل[4] الحرص و الحسد
فأوحشت جنة الفردوس من شبهى و أوحش الخلد منى آخر الأبد
٢٠٢/ب / يا ليتنى قبل إدبارى بمعصيتى كنت النسى خلال الروح و الجسد

[5] و كان عبد الله بن عباس راوى هذا الخبر قد شاب مقدم رأسه و شابت لمته ، و كان جسيما إذا قعد أخذ مكان رجلين ، و كان جميل الوجه له وفرة تخضب بالحنّا . و قيل لسواد حسن الوجه يلبس ملبوسا حسنا و يكثر من الطيب بحيث أنه كان إذا مرّ فى الطريق تقول النساء هذا ابن عباس جاز ، و لما عمى اعترى لونه صفرة يسيرة . و يروى أنه رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه و سلم (قال) : أ رأيته ؟ قال : نعم ! قال : ذاك جبريل أما أنت ستفقد بصرك ، و فى ذلك تقول :

إن يأخذ الله من عينىّ نورهما فـفى لسانى و قلبى منهما نوره
قال قلبي ذكى و عقلى غير ذى دخل و فى فمى صارم كالسيف مأثوره[6]

(١) الكلمة ساقطة من بن .
(٢) فى بن : لما .
(٣) فى بن : مطيته .
(٤) فى بن : هذا .
(٥) هذا القسم نقلا عن بن ، وهو ساقط من بر الى « قال صاحب كتاب العجائب » .
(٦) فى الأصل : ماثور ـ و تقتضى القافية اضافة الهاء .

و دعا

و دعا له رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: اللهم فقّهه فى الدين و علّمه التأويل . قال عكرمة: لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع[١] قريش فخرت به لكان لما فخرا . رَوَى عن النبي صلى الله عليه و سلم ألف حديث و ستمائة و ستين[٢] حديثا . عن مسروق أنه قال: كنت إذا رأيته قلت أجمل الناس، و إذا تكلّم قلت أفصح الناس، و إذا حدث قلت أعلم الناس . و لما وضع فى نعشه ليصلى عليه رأى ابن مهران طائرا أبيض وقع على اكفانه، ثم أُدخل القبر فالتمس فلم يوجد، فلما سُوّى عليه التراب سمعنا من سمع صوته و لا يرى شخصه يقرأ: "أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى [بن ١٤٩ : ب] عبادى و ادخلى جنتى[٣]" - انتهى .

فلنذكر الآن ما قاله[٤] صاحب كتاب العجائب: زعموا أن فى البحر الأخضر عرش إبليس يحمله نفر من الأباليس[٥] و العفاريت العظام، و يحيط به سائر أصناف الجن، فمنهم من لا يفارقه من حجّابه و نوّابه[٦]،

(١) فى الأصل: جميعا .
(٢) فى الأصل: و ستون .
(٣) قرآن كريم ٨٩: ٢٧ - ٣٠ .
(٤) هنا ينتهى القسم المأخوذ عن بن و الساقط من بر و فيه يبدأ الكلام بلفظة « قال » استبدلناها بلفظة « قاله » من بن لربط الجملة بما سبقها .
(٥) فى بن [١٤٩ : ب]: الأبالس . و بهامش بر: مكان عرش أبليس .
(٦) فى بن: و خدمه .

و منهم من يتصرف بأمره فى فتنة الناس و كيدهم و تضليلهم، و له جزيرة اتخذها سجنا لمن يخالف من الجن أمره. و لما حشرت الجن و الشياطين لسليمان عليه السلام أقبلوا يقولون: لبيك! لبيك! فجعل ينظر إلى اختلاف صورهم، فمنهم صفر و شقر و بيض و بلق، و منهم[1] ما هو على صورة الخيل و البغال و الحمير و المواشى و الوحوش و السباع و الكلاب، فلما نظرت إليه الجن خرّت ساجدة، فختم سليمان[2] على أعناق الجن بخاتمه و فرّقهم إلى مساكنهم، و صفّد مَرَدتهم بالحديد و فرّقهم فى الأعمال المختلفة من قطع الأشجار و الصخور و بناء القرى و المدن و الحصون، و أمر نساءهم أن يغزلن الإبريسم و الشعر و القطن و نسج البُسُط و التصاوير و التماثيل، و أمرهم باتخاذ القدور الراسيات و الجفان التى هى كالجوابى يأكل من كل قدر ألف إنسان. و اشتغل طائفة منهم بالغوص فى البحر و إخراج الأصداف و الجواهر، و أمر بعضهم بحفر الأنهار و الآبار و بعضهم بإخراج الكنوز من تحت الأرض. و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر مطابخ سليمان و موائده [3]وصفة كرسيّه[3] — ان شاء الله تعالى.

[خبر أمية بن أبى الصلت و الساحرة]

فلنذكر الآن خبر أمية بن أبى[4] الصلت الثقفى مع العجوز الساحرة[5]،

(١) فى بن: و منها (٢) فى بن: سليمن.
(٣-٣) ساقطة من بر، و واردة فى بن.
(٤) ساقطة من الأصلين، و أمية بن أبى الصلت شاعر مرموق من بنى ثقيف.
(٥) الكلمة واردة فى بن وساقطة من بر. وفى هامش بر: قصة العجوز الجنية.

وهو أنه خرج الى الشام فى نفر من ثقيف و قريش و غيرهم ، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا و اجتمعوا لعشائهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم ، فحصبها بعضهم بشيء فى وجهها فرجعت ، و شدوا سفرتهم ثم قاموا فشدوا على إبلهم و ارتحلوا من منزلهم ، فلما برزوا عن المنزل أشرفت[1] عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا لها[2] فقالت: ما منعكم أن تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التى جاءتكم عشية؟ قالوا: و ما أنت؟ قالت: أم العوام أويمت[3] منه منذ أعوام أومًا و رب العباد لتتفرقن فى البلاد. ثم ضربت بعصاها الارض فأثارت بها الرمل و قالت: أطيلى إيابهم، و نفرى ركابهم [٢٠٣: الف] فوثبت الإبل كأن على ذروة كل بعير شيطانا[4] ما نملك منها شيئا حتى تفرقت فى الوادى. فجمعناها من آخر النهار إلى ما[5] غد ولم نكد بجمعها، فلما أنخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز فعادت بالعصا كفعلها أولا و عادت لمقالتها الأولى، فخرجت الإبل ما نملك منها شيئا فجمعناها من غد. [6]فلما أنخناها[6] لنرحلها فعلت مثل فعلتها فى الأولى و الثانيــة فنفرت الإبل و أمسينا فى ليلة مقمرة

---

(١) فى بن: اشرفت.

(٢) عن بن، والكلمة ساقطة من بر.

(٣) فى بن: أونمت.

(٤) فى بن: شيطان.

(٥) فى بن: من.

(٦-٦) ساقطة من بن.

ويمّيسنا من ظهرنا[1] . فقلنا لأمية بن أبي[2] الصلت : أين ما كنت تخبرنا به عن نفسك ؟ فتوجه إلى ذلك الكثيب الذى تأتى فيه منه العجوز حتى هبط من ناحية أخرى ، ثم صعد كثيبا آخر حتى هبط منه ، ثم رفعت له كنيسة فيها قناديل ، و إذا رجل مضطجع معترض على بابها ، و إذا رجل جالس أبيض [3]الرأس و اللحية[3] . قال أمية : فلما وقفت عليه رفع رأسه فقال : إنك لمتبوع[4] . قلت : أجل . قال : فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قلت : من أذنى اليسرى . قال : فأى الثياب يأمرك ؟ قلت : بالسواد[5] . قال : هذا خطب الجن كدت و لم تفعل و لكن صاحب هذا الأمر تكلمه فى أذنه اليمنى و أحب الثياب إليه البياض ، فما حاجتك ؟ فحدثه حديث العجوز فقال : صدقت و ليست بصادقة ، هى امرأة يهودية هلك زوجها منذ أعوام ، و إنها لا تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت . قال أمية : فما الحيلة ؟ فقال[6] : اجمعوا ظهركم فاذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها سبعا من أسفل « باسمك اللهم » . ففعلوا ذلك فلم تضرهم . فلما رأت العجوز الإبل لا تتحرك قالت : قد عرفت صاحبكم لِيَبْيَضَّن أعلاه و لَيَسْوَدَّ أسفله . و ساروا ، فلما أدركهم الصبح نظروا إلى أمية و قد تبرّص

(١) فى بر : ظهرنا ، و الأصح فى بن كما أوردناه فى النص .

(٢) ساقطة من الأصلين . راجع الخاتمة ٤ ص ٣٠٨ .

(٣-٣) فى بن . اللحية و الرأس .

(٤) فى بن : متبوع .

(٥) فى بن : السواد .

(٦) عن بن [١٥٠ : ٩] ، و فى بر : قال .

فى

فى عذاريه و زقبته و صدره و اسود أسفله[١] - انتهى .

[سقراط و أرسطاطاليس و بطليموس من حكماء مصر]

نعود إلى ذكر [٢]الحكماء . و من حكماء مصر[٢] سقراط صاحب الحكمة ، و منهم أفلاطون صاحب السياسة و النواميس ، و كان أرسطاطاليس معلم الإسكندرية أحد تلامذته . [٣]و منهم ارسطاطاليس صاحب المنطق و الآثار العلوية و الحس و المحسوس و الكون و الفساد[٣] . و منهم بطليموس الصعدوى صاحب الرصد و المساحة و الحساب و تركيب الأفلاك و حركة الشمس و القمر [٢٠٣ : ب] و الكواكب المتحركة و الثابتة و صور تلك البروج و كتاب جغرافيا فى مساحة الأرض و أقاليمها و البحار و ألوانها و الأنهار[٤] و العيون [٥]و ابتداؤها و انتهاؤها[٥] و صفة الأمم

---

(١) زيد فى بن عبارة بعضها غير واضح لا يؤدى معنى و هى : ابكروحوا من الأولاد ، و أقدم العالم فى البلاد ، عمرك ممدود الى التناد ، خبرتنا بحديث عاد ، و مبتدأ و رعون ذو الأوتاد ، عجوز عظيمة الأكياد ، قد سحرت أمية فى الواد ، و برحبته و أثرّ السواد . لعنت لعنا يشبه الحداد ، و صيرت فى خزى و أنكاد ، ملعونة بألسنة العباد .

(٢ – ٢) فى بن : من كان بمصر من الحكماء منهم .

(٣ – ٣) كذا فى بر وهى ساقطة من بن . و الجملة فى مجموعها بحاجة إلى تعديل و لكن تركناها كما هى فى النص ، و ربما كان الأصح فيها نقل « أحد تلامذته » إلى ما قبل بطليموس و حذف « و منهم أرسطاطاليس » زائدة .

(٤) مكررة فى بن .

(٥ – ٥) فى الأصلين : و ابتدائها و انتهائها .

الذين يعمرون وجه الأرض و أن المعمور فى الأرض أقل من الثلث و أكثر من الربع. فأما[1] الذى لا يعمر من الأرض ولا يكون فيه حيوان ولا نبات فهو ما كان من الجنوب عرضه عن خط الاستواء تسع عشرة درجة[2]، لأن الشمس اذا صارت فى السنبلة فى خمس درجات[3] إلى أن تبلغ خمس درجات[3] من الحوت قربت منه و ثبتت عليه فأحرقت كل شيء. و كذلك كل[4] ما كان فى الشمال بعده عن مدار رأس السرطان تسعون درجة لأن الشمس اذا صارت إلى البروج الجنوبية لا تطلع عليه ستة أشهر، فتنعقد البخارات هناك ولا ترتفع، فلا يكون هناك[5] حيوان و لا نبات؛ و فى نهاية العمران من خلف معدل النهار فى الجنوب المسمى [6]يمين معدل النهار[6] على المواضع المتساوية الأبعاد تكون الحيوانات الشاذة الخلق العجيبة التركيب كالفيلة و الطير. قال رجل من قريش: كنت على ضفة البحر المحيط بأرض المغرب فأصبح على أحد بيوت ذلك الموضع طائر قد وقع على البيت فانهدم البيت بوقوعه عليه. و دخلت فى[4] حوصلته خشبة من خشب البيت فمات، و كان من طرف جناحه إلى طرفه الآخر[7] ثمانون[8] شبرا - انتهى[9].

(١) فى بن: و أما.
(٢) فى بن: درج.
(٣-٣) ساقطة من بن
(٤) الكلمة ساقطة من بن.
(٥) فى بن: به.
(٦-٦) فى بن: الشارة.
(٧) فى بن: الثانى.
(٨) فى بر: ثمانين. و صححتها من بن.
(٩) ساقطة من بن، و بعدها زيد فيها: و كان سرموق ملك مصر كاهنا و كان =

[ما أحدثه[1] حكماء الهند]

فلنذكر الآن هنا ما أحدثه[1] حكماء[2] الهند، و ذلك أنهم أحدثوا فى أيام البرهمن وهو الملك الأكبر كتاب السندهند و تفسيره دهر الدهور و منه فرعت الكتب[3] ككتب الازجهر و المجسطى[3]، ففرع من الازجهر الاركند و من المجسطى[4] كتاب بطليموس. ثم عمل منها بعد ذلك الزيجات و أحدثوا التسعة أحرف[5] المحيطة بالحساب الهندى. و كان بطليموس أول من تكلم فى أوج الشمس و ذكر أنها سبعون ألف هازروان، وأن العالم إذا قطع هذه المدة عاد الكون و أظهر[6] النسل و سرحت البهائم و تغلغل الماء ودَب الحيوان

= قاضيا على الكهنة وعمل الصور فيها صورة منها البراغيث من مدينة مصر وعمل صورة الطير المدعو بشروط وكان يؤذى أهل مصر فى زروعهم، وكان اذا غزاه أحد من الملوك أخذه الرعاف هو و من معه حتى يموت فان ذهب قبل أن يحل به الرعاف فامتنعت الملوك من غزوه وهابته ملوك الصين والنبط على بعدها منه وكان عليه طلسم الرعاف و دفنته بمصر فتم له ذلك له المهابة و المحبة فى قلوب الرعية فأطاعته الروحانية بتلك النواحى ومن أراد الوقوف على صنيعه التى عملها حكماء مصر فى البرابى وغيرها فليطالع كتاب المدخل رسالة الطلاسم لباليناس الحكيم.

(١) فى الأصلين : أحدثته.

(٢) زيد فى بن [١٠٠ : الف] : قال المسعودى فى كتاب مروج الذهب.

(٣) ساقطة من بر، و واردة فى بن.

(٤) فى الأصل: المجسيطى. و الجملة بين «المجسطى» و «من المجسطى» ساقطة من بن.

(٥) فى بن الأحراف.

(٦) فى بن : ظهر.

و توبل العشب و خرق النسيم الهواء . فأما أكثر الهند فانهم قالوا بكور منصوبة على دوائر تبتدى[1] القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدوا لذلك [2]أصلا ضربوه[2] و وقتا [٢٠٤ : الف] نصبوه، و جعلوا الدائرة العظمى و الحادثة الكبرى و سموا ذلك[3] بعمر العالم، و جعلوا المسافة

بعد البدء و الانتهاء[4] ستا[5] و ثلاثين ألف سنة مضروبة فى اثنى عشر ألف عام، و هذا عندهم الهازروان و أنه[6] الضابط بقوى الأشياء و المدبر لها، وأن الدوائر تقبض و تبسط جميع المعانى التى تستودعها[7]، وأن الأعمار تطول فى أول الكرة[8] لانفساح الدائرة و تمكن[9] القوى من المجال، و تقصر الأعمار فى أواخر الكرة[8] لضيق الدائرة و كثرة ما يعرض فيها من

الاكدار الثائرة للاعمار . و ذلك أن قوى الأجسام و صفوتها فى أول الكرة[8] تظهر[9] و تسرح[9] لأن الصفو يسابق الكدر و الصافى يبادر الثقل،

---

(١) فى بن [١٥٠ : ب] : تبدى .

(٢ - ٢) مطموسة بترميم هامش بن .

(٣) عن بن : و فى بر : بذلك .

(٤) فى بن : البداء و الانتهاء ، و فى بر « و الانتهاء » ساقطة .

(٥) فى بن : ستة .

(٦) فى بن : وان .

(٧) فى بن : تستوعبها .

(٨) فى بر : الكر - و صوابها فى بن كما أوردناه فى النص .

(٩) فى بر بياء المضارعة ، و فى بن بالتاء و هو الأصح .

و الأعمار

و الأعمار تطول بحسب صفاء المزاج و تكامل القوى المؤدية إلى الأخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات الباديات ، و أن آخر الكرة[1] الأعظم و غاية البدء الأكبر تظهر الصور متشوهة و النفوس ضعيفة و الأمزجة مختلطة ، و تتناقص القوى و ترد المواد فى الدائرة منعكسة مزدحمة فلا يحضا[2] ذووا الأعصار بتمام الأعمار . و ذكر بطليموس أيضا أن مدن الأرض فى عهده[3] أربعة آلاف مدينة و مائتين و ثمانين مدينة - انتهى[4] .

نعود إلى ذكر ولد البرهمن الملك الهندى ؛ و ذلك أن ولده يعرفون[5] بالبراهمة و الهند تعظمهم و هم أعلا أجناسهم و أشرافهم ، ولا تتغذى بشىء من الحيوان ، و فى رقاب الرجال و النساء منهم خيوط صفر متقلدين بها كحمائل السيوف فرزاً[6] بينهم و بين غيرهم [7]من أنواعهم و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب لمع[8] من أخبارهم ان شاء الله تعالى[7] .

---

(١) فى الأصول : الكر .

(٢) فى بن : يحض - و لعله « يحظى » .

(٣) فى بر : عدة . و هى كذلك فى بن .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بر : يعرموا . - و الصواب فى بن .

(٦) فى بن : تمييزا .

(٧-٧) العبارة ساقطة من بن .

(٨) فى الأصلين : لمعا .

فلنرجع إلى ذكر حكماء مصر . فنهم أيرن[1] وله الهندسة و الحيل الروحانية و عمل التنكايات[2] و الآلات لقياس الساعات . و منهم فيلون[3] و له عمل الدواليب و الأرحية و الحركات بالحيل اللطيفة . و منهم ارشميدس[4] صاحب عمل المجانيق و رمى الحصون و الحيل على الجيوش و العساكر برًّا و بحراً، وكل هؤلاء الحكماء كانوا يسكنون مصر فى الدهور الماضية و الأمم[5] السالفة ، فما غيرت ذهن واحد منهم و لا أضرّت بعقله .

[قارون و هامان و بخت نصّر]

و من أهل مصر قارون وكان ابن عم موسى عليه السلام .فقال الله تعالى : "و آتيْنٰه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة[6]" . و كان قارون [٢٠٤ : ب] أيسر أهل الدنيا . و منهم هامان « قال فرعون : " يايها الملأ ما علمت لكم من إلهٰ غيرى فاوقد لى يٰهامٰنُ على الطين فاجعل لى صرحًا[7] " . و منهم بيدُيس والد بخت نصر من أهل

(١) فى بن : ايزن . . و جائز أن الصواب « ايرون » .

(٢) فى بن : التنكانات . و معناها غير واضح على كل حال .

(٣) فى بن : فليون . — و هو Philon .

(٤) فى الأصلين : ارمسيدس . والمقصود واضح فى Archimedes .

(٥) فى بن : و الأمور . و صوابه فى بن .

(٦) قرآن كريم ٢٨ : ٧٦ .

(٧) قرآن كريم ٢٨ : ٣٨ . و زيد على بنّ : و سيأتى ذكر الصرح و هدمه إن شاء الله تعالى .

قرية يقال لها سيسروا من كورة أرمنت ، و كان رجلا من أهل العلم فنظر فى علمه فاذا هو[1] يخرج من صلبه رجل يخرب مصر و أرضها ، فأعطى الله عزو جل موثقا أن لا ينكح امرأة أبدا ، و خرج إلى الشام ثم إلى العراق فأقام بقرية يقال لها نفر ، و كان لملك تلك القرية ابنة بها جنون ، فوصف[2] المصرى لدوائها فدخل عليها فجرى بينهما أسباب د إلى أن حملت منه فوضعت بخت نصّر ، فجرى خراب مصر على يديه ، و أقامت مصر مدة أربعين سنة يجرى نيلها و يذهب ولا ينتفع به لعدم من يزرع أرضها . و فى عصره[3] كان دانيال، فسار البخت نصّر و هو مرزبان العراق من قبل ملك فارس إلى بيت المقدس ، و كان يومئذ ببلخ ، و كانت بلخ قصبة الملك ، فأمعن البخت نصّر فى القتل لبنى إسرائيل إلى ٠ العراق ، و أخذ التوراه و ما كان فى هيكل بيت المقدس من كتب و الأسر وحملهم الأنبياء و سير الملوك فطرحه[4] فى بئر . و عمد إلى تابوت السكينة فأودعه بعض المواضع من الأرض . فيقال : إن الذى[4] كان عدة[5] من[4] سبا[6]

(١) فى بن : به .

(٢) زيد فى بن [١٥١ : الف] : له .

(٣) فى بن : عصر .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : هذه .

(٦) فى بن : سبى .

من بنى إسرائيل ثمانية عشر ألفا ، وقيل : كان البخت نصر[1] مرزبانا ليستأسف[2] الملك الفارسى ، و المرزبان عند الفرس ملك على ربع من أرباع الملك ، وكان قد دوّخ الأرض و ذلل الملوك من كل أرض[3] أمة لملوك فارس . وسار البخت نصّر إلى مصر فقتل فرعون الأعرج ، وسار نحو المغرب فقتل بها ملوكا وافتتح بها مدائن ، وقد كان ملك فارس تزوج[4] جارية من[5] بنى اسرائيل[6] فأولدها ولدا ، فلما كبر الولد قالت له أمه : قل لأبيك الملك يرد أسارى بنى إسرائيل[6] إلى أرضهم . فردهم إليها ، و لما رجع[7] بنو إسرائيل إلى بيت المقدس ملكوا [8] عليها زربائيل بن سلساب ، فابتنى[9] مدينة بيت المقدس

(١) نبوخذ نصر (Nebuchadnezzar Nebuchadrezzer) الثانى الذى ورد بالعهد القديم وقد عاش فى القرن السادس ق الميلادى ملكًا على بابل .

(٢) يغلب أنه هستابس Hystapes وهو ابن Arsames و والد دارا الأول Darius I ملك فارس و جاء ذكره فى هيرودوت حاكما على Parthia و ملحقا بها فى أيام قمبيز فى القرن السادس قبل الميلادى .

(٣) ساقطة من .

(٤) فى بر : زوج ، و الأصح فى بى .

(٥) زيد فى بى : سبايا .

(٦-٦) العبارة ساقطة من بن .

(٧) فى الأصلين : رجعت .

(٨) فى الأصلين : ملكت .

(٩) فى : بن فانتنا ـ و هى كذلك فى بن .

و عمر

و عمر ما كان خربه، و أخرج[1] بنو إسرائيل التوراة التي أوردها موسى عليه السلام، و تلك حُرّفت و غيرت و بُدلت، و أن المحدث لهذه التي بأيديهم هذا الملك المذكور لأنه كان[2] جمعها ممن كان يحفظها[3] من بني إسرائيل، وأن التوراة الصحيحة هي ما في أيدي[4] السامرية دون غيرهم.

[٢٠٥ : الف] و كان سبب مسير بخت نصر إلى بيت المقدس[5] و سبيه لبني إسرائيل أنه كان ببابل ملك يقال له حزقيا[6]، فأظهر عبادة الرحمن و أمر بكسر الصلبان، و في ملكه سار سنحاريب[7] من بابل[8] إلى بيت المقدس، فكانت له حروب كثيرة مع بني أسرائل، فسبى[9] من الأسباط عددا كثيرا، ثم ملك بعد حزقيا[6] ولد له يقال له منسّا[10]، فعم شره سائر

---

(١) في بن: اخرجت.

(٢) ساقطة من بن.

(٣) في بن، يحفظه.

(٤) ساقطة من بر: و واردة في بن.

(٥) زيد في بن: و اخرابه لها.

(٦) في الأصلين: حزقيل – من ملوك اليهود مذكور باسفار العهد القديم Hezekiah.

(٧) ملك أشور Sennecharıh و حكمه من ٧٠٥ الى ٦٨١ ق. م.

(٨) في بن: باب.

(٩) في الأصلين: فسبا.

(١٠) في الأصلين: ميشا، و الغالب أن صحته منسا Manasseh كما أوردنا بالنص وهو من ملوك اليهود الطغاة حوالى القرن الثامن وأوائل السابع قبل الميلاد =

أهل مملكته وهو الذى قتل شعيا النبي عليه السلام، فبعث اليه قسطنطين[1] [2]ملك الروم يتوعده، فسار إليه فى الجيوش فهزم قسطنطين[2] جيوشه وأسره. فاقام أسيرا فى أرض الروم عشرين سنة، وأقلع عما كان عليه وعاد ألى ملكه فأقام إلى أن مات. ثم ملك بعده ولد له يقال له امون بن منَسّا[3]، فأظهر الطغيان وكفر بالرحمن وعبد التماثيل والأصنام، فلما اشتد بغيه سار إليه فرعون[4] الأعرج[2] من مصر[2] فى الجيوش، فأمعن فى القتل وأسره فرعون ومضى به إلى مصر فهلك هنالك. وملك بعده أخ له [2]يقال له[2] فوقيم[5]، وفى عصر هذا الملك سار البخت نصر إلى بيت المقدس فعل بها ما تقدم ذكره. وقيل أن بخت نصر عاش سبعمائة سنة، والله[6] أعلم. انتهى.

= ومعروف أن حكمه كان اطول حكم فى تاريخ مملكة اليهود حيث بلغ طوله ٥٣ عاما.

(١) ربما كان هنا خلط فى الأسماء والعصور فى تاريخ الرومان، كما حدث بعدئذ فى عرضه لتاريخ الاسكندر ووضعه بعد المسيح.

(٢-٢) العبارة ساقطة من بن.

(٣) فى الأصلين: امور ابن ميشا ـ وهو من ملوك اليهود بالعهد القديم وحكمه تقريبا ٦٤٠ - ٦٢٨ ق. م.

(٤) ليس من السهل تحقيق اسم هذا الفرعون ولكن المفهوم أنه أحد ملوك الأسرة الصادية الثانية والعشرين وتاريخها ٦٦٤ الى ٥٢٠ ق. م على وجه التقريب.

(٥) لم تستطع تحقيق هذا الاسم وهو كذلك فى الأصلين.

(٦) زيد فى بن: تعالى.

[الإسكندر و تأسيس الإسكندرية]

و من[1] أهل مصر الإسكندر ، و كان بعد المسيح فى الفترة . و هو الذى بنى مدينة سمرقند و بنى الأبراج و المناظر على بحيرة طابس فى آخر العمارة التى بالشمال و فعل بالعراق الأفاعيل غضبا لما فعل[2] بخت نصر بمصر و أرضها . و هو الذى بنى الإسكندرية ، و ذلك أن الإسكندر لما استقام ملكه فى بلاده صار يختار أرضا صحيحة الهواء و التربة و الماء، فسار[3] إلى موضع الإسكندرية فأصاب فى موضعها أثر بنيان و عمد كثيره[4] من الرخام ، و فى وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند ، و هو القلم الأول من أقلام حمير و ملوك عاد : أنا[5] شداد بن عاد بن شداد ابن عاد ، شددت[6] ساعدى البلاد ، و قطعت عظيم العماد ، من الجبال و الأطواد ، و أنا بنيت إرم ذات العماد ، التى لم يُبنَ مثلها فى البلاد ، أردت أن أبنى مدينة ههنا[7] كإرم ، و أنقل إليها كل ذى قدم و كرم ، من جميع العشائر و الأمم . و ذلك أن لا[8] خوف و لا هرم، و لا اهتمام

(١) زيد قبلها فى بن : نعود ، و بهامش بر : الإسكندر .
(٢) فى بن : فعله .
(٣) عن بن ، و فى بر : فصار .
(٤) فى الأصلين : كثير .
(٥) فى بن [١٥١ : ب] : ابن .
(٦) فى بن : شدد .
(٧) عن بن ، و فى بر : هاهنا .
(٨) ساقطة من بن ، ولا يمكن قراءتها « بلا» .

و لا سقم ، فأصابني ما أعجلني[١] عما أردت و هي حال مع وقوعها طال همي و شجني ، و قلّ نومي و سكني ، فارتحلت بالأمس عن داري لا لقهر ملك جبار ، و لا خوف جيش جرار ، و لا على رغبة و لا على[٢] صغار ، [٢٠٥ : ب] و لكن لتمام المقدار ، و انقطاع الآثار ، و سلطان العزيز الجبار ، فمن رأى أثري ، و علم خبري ، و طول عمري ، [٣]و نفاذ بصري[٣]، و أشد حذري ، فلا يغتر بالدنيا بعدي - و كلام كثير يرى فناء الدنيا و يمنع من الاغترار بها ، و السكون إليها . فنزل الإسكندر مفكرا يتدبر هذا الكلام و يعتبره ، ثم بعث لحشر الصناع من البلاد وخط الأساس و جعل طولها و عرضها أميالا ، و حشر إليها العمد و الرخام و أتت المراكب فيها الرخام و أنواع المرمر و الأحجار من جزيرة صقلية و بلاد إفريقية و إقريطش و أقاصي بحر الروم . و أمر الإسكندر الفعلة و الصناع أن يدوروا بما رسم لهم من أساس سور المدينة ، و جعل على كل قطعة من الأرض خشبة ، ثم جعل من الخشبة إلى الخشبة حبالا مربوطة[٤] بعضها إلى بعض ، و أوصل جميع ذلك بعمود من الرخام ، و كان أمام مضروبة[٥]، و علق على العمود جرسا عظيما مصوتا ، و أمر الناس و القُوّام على الصناع و البنائين و الفعلة أنهم إذا سمعوا صوت ذلك الجرس و تحركت الحبال

(١) في بن : اعجبني . (٢) في بن : عن .

(٣-٣) كذا في الأصلين ، و لعل الجملة : و نفاد صبري .

(٤) عن بن ، وفي بر : منوطة .

(٥) كذا في بر ، و في بن : مضربه عمودا .

و قد علق على كل قطعة منها [١]جرسا صغيرا[١] حرصوا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها . و أحب الإسكندر أن يجعل ذلك فى وقت يختاره ، و طالع سعد يأخذه ، فخفق[٢] نوما برأسه ، و أخذته نعسة فى حال ارتقابه الوقت المحمود ليأخذ فيه الطالع ، فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذى فوق العمود فحركه و خرج صوت الجرس ، و تحركت الحبال و خفق ما عليها من الأجراس الصغار ، و كان ذلك معمولا بحركات فلسفية [٣]و حيل حكمية[٣] ، فلما رأى الصناع تحرك[٤] الحبال و سمعوا تلك الأصوات وضعوا الأساس دفعة واحدة و ارتفع الضجيج بالتحميد و التقديس ، فاستيقظ الإسكندر عن رقدته و سأل[٥] الخبر ، فأخبر بذلك و عجب و قال : أردت أمرا و أراد الله غيره و يأبى الله إلا ما يريد ، أردت طول بقائها ، و أراد الله سرعة فنائها و خرابها و تداول الملوك إياها . و إن الإسكندر لما أحكم بناءها و ثبت أساسها ، و جنّ الليل عليهم ، خرجت دواب[٦] البحر فأتت على جميع ذلك البنيان فأخربته[٧] ، فقال[٨] الإسكندر حين أصبح : هذا

(١-١) فى الأصلين : جرس صغير .
(٢) زيد فى بن : الإسكندر .
(٣-٣) فى بن : و حكم جلية .
(٤) زيد فى بن : تلك .
(٥) زيد فى بن : عن . (٦) زيد فى بن : من .
(٧) ساقطة من بر و واردة فى بن .
(٨) فى بن : قال .

بدء[١] الخراب فى عمارتها، و تحقق مراد البارى فى زوالها، و تطيّر من فعل الدواب فلم يزل البنّاء يبنى فى كل يوم و يحكم [٢٠٦: الف] و يوكل به من يمنع الدواب إذا خرجت من البحر فيصيحون و قد أخرب البنيان. فقلق الإسكندر لذلك و راعه ما رأى، فأقبل يفكر ما الذى يصنع و أية حيلة يوقع فى دفع الآذيّة عن المدينة، فسنحت له الحيلة فى ليلة عند خلوّه بنفسه و إيراده الأمور و إصدارها. فلما أن[٢] أصبح دعى[٣] بالصنّاع، فاتخذ[٤] له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع فى خمسة[٥]. و جعل فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها[٦] خشب التابوت، و قد أمسك ذلك بالقار و الزفت و غيره من الأطلية الدافعة للماء حذرا من دخوله إلى التابوت، و قد جعل فيها[٧] مواضع للحبال، و دخل[٨] الإسكندر التابوت و رجلان من كتّابه ممن له علم باتقان التصوير و مبالغة فيها (كذا)، و أمر أن يُسد عليه الأبواب[٩] و أن تطلى بما ذكرنا

(١) فى الأصول: بدو.
(٢) ساقطة من بن.
(٣) فى بن: دعا.
(٤) فى بن: فأخذ.
(٥) فى بر: خمس، و فى بن: عرض خمسة.
(٦) فى بن: به.
(٧) فى بن: [١٥٢: الف]: فيه.
(٨) فى بر: و ذكر. و صححته فى بن كما أوردناه بالنص.
(٩) فى بن: التابوت.

من الأطلية ، و أمر فأتى بمركبين عظيمين فأخرجا إلى لجة البحر ، و علق على التابوت من أسفله مثقلات الرصاص و الحديد و الأحجار لتهوى بالتابوت سفلا ، إذ كان من شأنه لما فيه من الهواء أن يطفو فوق الماء و لا يرسب[1] سفله ، و جعل التابوت بين المركبين ، و ألصقهما بحسب ما[2] بينهما لئلا يفترقان[3] ، و شد حبال التابوت إلى المركبين و طولها ، فغاص التابوت حتى انتهى إلى قرار البحر ، فنظر إلى دواب البحر و حيوانه من ذلك الزجاج الشفاف فى صفله ماء البحر ، فاذا بصور شياطين على مثال الناس رؤوسهم[4] على مثال رؤوس[5] السباع ، و فى أيدى بعضهم الفؤوس[6] ، و فى أيدى بعضهم المناشير و المقامع ، يحكون بذلك صُنّاع المدينة و الفعَلة و ما فى أيديهم من آلات البناء . فأثبت الإسكندر و من معه تلك الصور و حكوها بالتصوير فى القراطيس على اختلاف أنواعها و نشأة خلقها و قدودها و أشكالها ، ثم حرك الحبال ، فلما أحس بذلك من فى المركبين اشتقوا[7] التابوت ، فلما خرج الإسكندر عن التابوت و سار إلى مدينة الإسكندرية ، أمر صناع الحديد و النحاس

(١) كذا عن بن ، و الكلمة فى بر : يرب . و زيد بعدها فى بن : فى .
(٢) الكلمة ساقطة من بن .
(٣) كذا عن بن ، و الكلمة فى بر : يفترقا .
(٤) فى الأصلين : روسهم .
(٥) فى الأصلين : روس .
(٦) فى الأصل : الفوس .
(٧) فى بن : استقوا .

و الحجارة، فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما كان صوّره الإسكندر و صاحباه. فلما فرغوا منه وضعت تلك التماثيل[١] على العمد بشاطئ[٢] البحر، ثم أمرهم فبنوا. فلما جنّ الليل و ظهرت تلك الدواب و الآفات من البحر، [٣]فنظرت إلى صورها على العُمُد[٣] مقابلة للبحر، رجعت إلى البحر و لم تعد. [٢٠٦: ب] [٤]فعند ذلك تم بناء[٤] الإسكندرية و شيدت[٥]، و أمر الإسكندر[٦] أن يكتب على أبوابها: «هذه الإسكندرية أردت أن أبنيها على الفلاح و النجاح و اليمن[٧] و السرور، و الثبات على الدهور، فلم يرد البارى عز وجل ملك السماوات و الأرض أن أبنيها لذلك فبنيتها و أحكمت بناءها و شيدت سورها، و أتانى الله من كل شيء علما و حكما و سهّل لى وجوه[٨] الأسباب فلم يتعذّر علىّ فى العالم شيء مما أردته[٩]، و لا امتنع عنى شيء مما طلبته لطفا من الله عز وجل و صنعا لى و صلاحا

(١) فى بن: الصور و التماثيل.

(٢) عن بن، و الكلمة فى بر: لشاطى.

(٣-٣) الجملة ساقطة من بن.

(٤-٤) فى بن: فسر ذلك تم بنى.

(٥) فى بن: و شيد.

(٦) الكلمة ساقطة من بن.

(٧) زيد فى بن: و اليه.

(٨) عن بن، و فى بر: وجود.

(٩) فى بن: اردتها.

لعباده

لعباده[1] من أهـل عصرى، و الحمد لله رب العالمين لا إله إلا هو رب كل شيء[2]».

[أخبار أهل الفترة[3]]

فلنذكر الآن من كان فى الفترة [4]إن شاء الله تعالى[4]. قال المؤرخون: كان فى الفترة أصحاب الكهف، و قد تقدم ذكرهم [4]فأغنى عن اعادتهم، و سيأتى أيضا ذكرهم[4] فى أخبار الروم [4]بخلاف ما تقدم. و قد كان فى الفترة جرجيس عليه السلام[4]، و قد أدرك بعض الحواريين فأرسل إلى ملك الموصل يدعوه إلى الله فقتله، فأحياه الله فأمر بنشره [4]فى الثالثة[4] و إحراقه و أدراه[5] فى الدجلة، فأهلك الله ذلك الملك و جميع أهل مملكته. و قد ذكرت خبره ههنا[6] مجملاً، و سأذكر خبره مفصلا فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

و ممن كان فى الفترة حبيب النجار، وكان يسكن مدينة أنطاكية من أرض الشام، وكان بها ملك مُتَجبّر يعبد التماثيل و الصور، فسار إليه إثنان من تلاميذ

(١) فى بن: اخباره.
(٢) زيد فى بن: انتهى ما قيل فى الإسكندرية. و بهامش بر هنا: من كان فى زمن الفترة.
(٣) و اضح أن المقصود بالفترة «الجاهلية» أو بالتدقيق الفترة الواقعة بين ظهور المصيحية و الإسلام.
(٤-٤) هذه الجمل ساقطة من بن.
(٥) فى بن: و ادرايه. و يلاحظ أن بهذا القسم سقطا كبيرا فى اللفظ و المعنى من بن. (٦) فى الأصل: هاهنا.

المسيح، فدعواه إلى الله، فحبسهما و ضربهما فعززهما الله[١] بثالث اسمه بالرومية بطرس و اسمه بالعربية سمعان و بالسريانية شمعون الصفاء، و قيل اسمه بولس [٢]و الاثنان المتقدم[٢] ذكرهما اللذين أودعا الحبس هما توما و بطرس، لهما مع ذلك الملك خطب طويل فيما أظهرا من الإعجاز و البراهين و من إبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى، و حيلة بولس عليه لمداخلته إياه و استنقاذ صاحبيه من الحبس، فجاء حبيب النجار فصدّقهم لما رأى من آيات الله، و قد أخبر الله بذلك من أمرهم فى كتابه بقوله: "إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث[٣]" – إلى قوله: "جاء من أقصى المدينة رجل يسعى[٤]". و قتل بطرس و بولس بمدينة رومية و صلبا منكوسين، و كان لهما فيها خبر طويل مع الملك، ثم جعلا بعد ذلك فى [٢٠٧ : الف] أخزنة اللور و ذلك بعد ظهور النصرانية. و قد تقدم[٥] خبر الكنيستين اللتين هما بهما مدونان[٦] بمدينة رومية[٧]، الواحد بالكنيسة الشرقية مها[٨] و الثانى بالكنيسة الغربية فأغنى ذلك عن

(١) زيد فى بن: تعالى.
(٢-٢) فى كل من بر و بن [١٥٢ : ب]: و الاثنين المتقدمين.
(٣) قرآن كريم ٣٦ : ١٣.
(٤) قرآن كريم ٣٦ : ١٩.
(٥) زيد فى بن: فى هذا الكتاب.
(٦) فى الأصلين: مدفونين.
(٧) فى بن: رومه.
(٨) فى بن: منهما.

الاعادة .

وكانوا هؤلاء تلامذة المسيح من الحواريين، وكانت الحواريون[1] اثنى عشر ، و هم شمعون و بطرس وتوما و متى و يوحنا ويعقوب و بولس و جرجيس و ماسرجيس و جرجس و أيوب و يوحنا أيضا . و سألت بنو إسرائيل عيسى عليه السلام يوما أن ينزل عليهم مائـدة ، فلبس عيسى عليه السلام المسوح و فرش[2] و دعا الله و هو قائم يصلى فقال فى دعائه : " اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا و آخرنا[3] " الآية . فأنزل الله عز و جل مكتلا فيه ثلاث سمكات و ثلاثة أرغفة ، و السمكات مشويات ليس عليها شوك و لا فلوس . فقال له بنو إسرائيل : لو دعوت الله فأحيي[4] لنا هذا السمك ! فدعى عيسى ربه فاضطربت سمكة و عاد لها فلوس ، ثم دعى[5] الله عزو جل فعادت إلى حالتها الأولى فقالوا : يا روح الله ! كن أنت أول من يأكل[6] منها . فقال عيسى : إنما يأكل منها من سال ذلك . فأكلوا فصدر عن الأرغفة و السمك ألف إنسان و هى لم تنقص شيئا ، و رفعت المائدة و هم ينظرون و استغنى كل فقير أكل[7] منها ، و استشفى كل مريض ، و بقيت المائدة

(١) فى هامش بر: عدة الحواريين و أسماؤهم .
(٢) زيد فى بن : الرماد .
(٣) قرآن كريم : ٥ : ١١٤ .
(٤) فى بن : فاحيا .
(٥) فى بن : دعا .
(٦) فى بن : أكل . .
(٧) الكلمة ساقطة من بن .

تنزل عليهم أربعين يوما صباحا فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى إذا كان[1] المساء ارتفعت إلى السماء و هم ينظرون . و شك فيها جماعة من الناس و وقعت الفتنة و ارتابوا و مسخ الله منهم خمسة آلاف و خمس مائة على فرشهم و نسائهم فأصبحوا قردة و خنازير .

و ممن كان فى الفترة أصحاب الأخدود[2] ، فكانوا فى مدينة بنجران اليمن فى ملك ذى نواس[3] الحميرى ، و كان على دين اليهودية ، فبلغه أن قوما بنجران على دين المسيح ، فسار إليهم بنفسه . فحفر[4] لهم أخاديد فى الأرض و ملأها جمرا و أضرمها نارا ، ثم عرضهم على اليهودية ، فمن تبعه تركه ، و من أبى قذفه فى النار ، فأتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر ، فأبت أن تتخلى عن دينها ، فأدنيت من النار فجزعت ، فأنطق الله الطفل فقال : يا أماه[5] أمضى على دينك فلا نار بعد هذه . [6]فألقاهما فى النار[6] ، و كانوا مؤمنين موحدين [٢٠٧ : ب] لا على رأى النصرانية فى هذا الوقت ، فمضى رجل منهم يقال له ذو ثعليان إلى قيصر ملك الروم يستنجده ، فكتب له إلى[7] النجاشى ملك الحبشة لأنه كان

(١) زيد فى بن : عند .

(٢) فى هامش بن : مطلب يذكر فيه أصحاب الأخدود .

(٣) فى بن : ذنواس .

(٤) فى بن : فاحتفر .

(٥) فى بن : يا أمة .

(٦-٦) فى بن : فألقاها فى النار و ابنها .

(٧) الكلمة ساقطة من .. و بها يتغير المعنى .

أقربهم

أقربهم دارا ، فكان من[١] أمر الحبشة و عبورهم إلى أرض اليمن و تغلبهم عليها إلى أن كان من أمر سيف بن ذى يزن الحميرى و استنجاده الملوك إلى أن أنجده أنوشروان[٢] ، فكان[٣] من أمره ما تقدم ذكره فى هـــذا الكتاب .

و ممن كان فى الفترة قس بن ساعدة[٤] بن إياد بن نزار بن معـــد بن عدنان، وكان حكيم العرب ، وكان مقرّا بالبعث و النشور ، و هو الذى يقول: من عاش مات ، و من مات، فات و من فات كانت له الأرض كفات ، وكل ما هو آت آت . و قد ضربت العرب بحكمته و عقله الأمثال و قدم على النبي صلى الله عليه و سلم وفد من إياد فسألهم عنه فقالوا : هلك . فقال : رحمه الله كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل أحمر و هو يقول : أيهـا الناس اجتمعوا و اسمعوا[٥] و عوا ، من عاش مات ، و من مات فات ، وكل ما هو آت آت ، أما بعد فان فى السماء لخبرا ، وأن فى الأرض لعبرا ، [٦]أبحر تموج ، و نجوم تغور[٦] ، و سقف مرفوع ، و مهاد موضوع ، أقسم بالله قس[٧] قسما أن لله دينا هو ارضى

(١) فى بن : ممن .
(٢) زيد فى بن : ملك الفرس .
(٣) فى بن : وكان .
(٤) فى هامش بر : مطلب يذكر فيه خبر قس بن ساعدة .
(٥) الكلمة ساقطة من بن [١٥٣ : الف] .
(٦-٦) فى بن : بحر يمور ، و نجوم تغور .
(٧) ساقطة من بر و واردة فى بن .

من دين أنتم عليه، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أو تركوا فناموا؟ سبيل مؤتلف، و عمل مختلف. و قال أبياتا لا ١ أحفظها، فقال٢ أبو بكر الصديق٣: أنا أحفظها يا رسول الله! فقال: هاتها. فقال:

فى الذاهبين الأولين   من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا   للموت ليس لها مصادر
و رأيت قومى نحوها   تمضى الأوائل و الأواخر
لا يرجع الماضى و لا   يبقى من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محالة   حيث صار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده ٤.

[ذكر ملوك مصر الكفار]

فلنذكر الآن بعض ملوك مصر الكفار ٥. فمنهم فرعون موسى عليه السلام، اسمه الوليد بن مصعب، و هو الرابع من فراعنة مصر السبعة، ذكرهم أبو عبيد القرطبي فى كتاب المسالك و الممالك، و ذكر كل

---

(١) فى بن: ما.
(٢) فى بن: فقام
(٣) زيد فى بن: رضى الله تعالى عنه فقال.
(٤) عن بن، و فى بر: واحدة، و زيد هنا فى بن: انتهى.
(٥) فى هامش بر: مطلب ذكر ملوك مصر الكفار.

[٢٠٨ : الف] فرعون و سيرته[١] فى جملة ملوك مصر قبل الطوفان و بعده . و من ملوك مصر الكفار نقراوش الجبار ، و هو أول من اتخذ المصانع و عمل الطلسمات و الأقرونيات[٢] ، و أقام الأساطين و رمز التواريخ عليها ، و بنى المدن ، و هو الذى حفر النيل و كان من قبل ينقطع و يستنقع . و منهم قرناش ، حارب أمة من الجنّ حتى دخلوا فى طاعته بالعزائم الشداد . و منهم مصرم الجبار[٣] الذى ذلل الأسد فركبها و ركب الوحوش الصعبة ، و هو أول من عمل الحمام . و بمصرم هذا سمّيت مصر ، و بلغ بسحر كهانته ما لم يبلغ أحد من[٤] قبله و لا بعده . و منهم غرناق[٥] ، و فى وقته نزل هاروت و ماروت[٦] ، و كان من حديثهما ما رواه ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : « أشرفت الملائكة على الدنيا فرأت بنى آدم يعصون ، ما أقل معرفة هؤلاء بعظمتك ! فقال الله عز و جل : لو كنتم فى سلاحهم لعصيتمونى . قالوا : كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : فاختاروا منكم ملكين ! فاختاروا هاروت و ماروت ، ثم أهبطا الى الأرض ، و ركبت فيهما شهوة بنى آدم

(١) وردت الجملة من « وذكر » فى بن بعد « الطوفان و بعده » .

(٢) فى بن : الأفرونيات .

(٣) فى هامش بر : مصرم الجبار أول من عمل الحمام .

(٤) ساقطة من بن .

(٥) فى بن : غرقاق .

(٦) فى هامش بر : مطلب و ذكر هاروت و ماروت .

فما عُصما حتى واقعا المعصية، فخيِّروا بين عذاب الدنيا و عذاب الآخرة، فاختاروا عذاب الدنيا و هما مسلسلان منكسان فى بئر بأرض بابل إلى يوم القيامة». و فى رواية أخرى: و ركبت فيهما شهوات بنى آدم، و مثلت لهما فما عصما حتى واقعا المعصية، فخيّرا بين عذاب الدنيا و عذاب الآخرة،
٥ فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال[١]: ما تقول؟ فقال: أقول: عذاب الدنيا ينقطع و عذاب الآخرة لا ينقطع. فاختارا عذاب الدنيا. فهما اللذان ذكرهما الله تعالى [٢] فى كتابه[٢]: "و ما انزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت[٣]". و فى رواية أخرى قال الله لهما: إنى أرسل رسولا إلى الناس و ليس بينى و بينكما رسولا، انزلا و لا تشركا بى شيئا و لا تقتلا
١٠ و لا تزنيا و لا تسرقا. قال كعب: فما استكملا يومهما الذى نزلا فيه حتى أتيا ما حرم الله عليهما - انتهى[٤].

[٥]و كان من ملوك مصر الكفار الملك غرناق، عمل بمصر عجائب كثيرة، و كان منهمكاً فى الشراب و الفسوق، و يشرب فى كل ليلة مائة رطل، و يغتصب النساء على أنفسهن، و لا يسمع [٦]بامرأة حسناء[٦]

---

(١) زيد فى بن: له.
(٢-٢) ساقطة من بن.
(٣) قرآن كريم ٢: ١٠٢.
(٤) ساقطة من بر، و واردة فى بن [١٥٣ ب].
(٥) زيد قبل هذه العبارة فى بن: نعود إلى ذكر ملوك مصر الكفار.
(٦-٦) فى بن: بامرة حسنها.

الا

إلا نقلها إليه . و منهم هرصال[1] و فى أيامه ولد نوح عليه السلام ، [٢٠٨ : ب] و بعد سنة من ملكه تجلّت عليه روحانية الكواكب فيما يزعمون[2] ، فحجبته[3] عن أعين الناس فلم يُعلَم خبره[4] . و منهم شهلوق ، و هو الذى قسم ماء النيل أقساما ، و أقام لأسباب[5] الضرر طلسمات يرفعها[6] ، و كنز من الكنوز خمسة[7] و أربعين كنزا . و تفسير الطلسمات[8] عقد لا تنحل ، و مفردها طلسم و هو عقدة[9] لا تنحل[10] . و منهم سويد بن صاحب الأهرام[11] ــ و الأهرام قبور الملوك . و بناء الأقرونيات المهلكات[12] للعالم ، و أوتى من الحكمة و العلم ما لم يُسبَق إليه ، و كان أكثر اهتمامه

(١) فى بن : هرمال .

(٢) فى بن : زعموا ، و فى بر : يزعموا .

(٣) فى بن : فجمعته .

(٤) فى بن : خبر .

(٥) فى بر : أسباب ، و صحتها فى بن كما أوردناه بالنص .

(٦) فى بن : يدفعها .

(٧) كذا فى بن ، و هى فى الأصل بر : خمس .

(٨) فى هامش بر : مطلب ، الطلسم .

(٩) فى الأصل : عقد .

(١٠) فى الأصل : ينحل .

(١١) فى هامش بر : مطلب ، الأهرام.

(١٢) فى بن : المهلك .

بعمل الأدوية و العقاقير و النواميس و دفع المضرّات[1] بالطلسمات[2] وكل ما[3] فيه صلاح للناس . و سيأتي فيما يرد من هذا الكتاب صفة بناية الأهرام[4] إن شاء الله تعالى. و منهم مناوش ، فظلم و سفك الدماء و اغتصب النساء و استخرج كثيرا من كنوز الملوك[5] فبنى بها قصورا و رصعها بالجواهر ، و عمل فساقي وصب فيها الجوهر و أرسل عليها المياه ؛ و منهم أقروش ، فعل عجائب منها قبة لطخها بلطوخات ، فاذا كان الليل اشتعلت نارا تُرى على البعد و اتّقدتْ إلى الصبح . فاذا طلعت الشمس ارتفع ذلك الوقيد ، و طلب هذا الملك النسل من ثلاثمائة امرأة ، فلم يقدر عليه لأن أرحام النساء عقمت .

[خبر نوح و الطوفان]

و في زمنه شاع خبر نوح عليه السلام و إنكاره للاصنام . و كان من أمر الطوفان ما كان ، و ذلك أن الفساد لما كثر في الأرض و اشتدت

---

(١) في بن : المضار .

(٢) في بن : و الطلسمات .

(٣) زيد في بن : كان .

(٤) زيد في بن : و الأقرونيات و النواميس و غير ذلك . أنظر أيضا مخطوط القاهرة (ق ١٦٨) : ذكر ملوك الكفار الطغام و عبادة التماثيل و الأصنام في البرابي والأقرونيات و النواميس و الهياكل و الأهرام و الطلاسم . وكذلك (ق ١٧١) : صفة الأهرام و النواميس و الهياكل و البرابي صنعتها الأوائل .

(٥) في بن : الأرض .

طياغي[1] الكفر، فقام نوح فى الأرض داعيا إلى الله، فأبوا إلا طغيانا و كفرا، فدعى الله عليهم، فأوحى الله إليه: أن اصنع الفلك بأعيننا، وحينا، فلما فرغ من السفينة أتاه[2] جبريل بتابوت آدم فيه رمّته، و أقام نوح ومن معه فى السفينة على ظهر الماء، و قد غرق الله[3] الأرض خمسة أشهر، ثم أمر الله الأرض أن تغيض الماء و السماء أن تقلع، و استوت[4] السفينة[5] على الجودى - و الجودى جبل من بلاد الموصل بينه و بين الدجلة ثمانية فراسخ، و موضع السفينة على هذا الجبل إلى هذه الغاية، و نزل نوح من السفينة و معه أولاده سام و حام و يافث، و أزواج أولاده الثلاثة و أربعون رجلا و أربعون امرأة، فساروا إلى سفح هذا الجبل فابتنوا مدينة و سموها: ثمانين. و دثر عقب هؤلاء الثمانين نفسا، و جعل نسل الخليفة من أولاد نوح الثلاثة. و قد [٢٠٩: الف] أخبر الله[6] تعالى ذلك[6] بقوله: "و جعلنا ذريته هم الباقين[7]". و قسم نوح الأرض بين ولده أقساما، و خص كل واحد منهم بموضع، و دعا على ولده حام

(١) كذا فى الأصلين، ولعل المقصود « طغاة ».

(٢) فى بن: فأتاه.

(٣) زيد فى بن: جميع.

(٤) فى بن: فاستوت.

(٥) ساقطة من بن.

(٦ - ٦) فى بن: عز وجل بذلك.

(٧) قرآن كريم ٣٧: ٧٧.

لأمر كان منه مع أبيه فقال: ملعون حام عبد عبيد يكون لاخوته. وقال: مبارك سام، و يكثر الله يافث و يحل يافث فى مسكن سام. و انطلق حام و تبعه ولده، فنزلوا فى مساكنهم من البر و البحر، فأما سام فسكن وسط الأرض من بلاد الحرم[1] إلى حضرموت إلى عمان إلى عالج. [2]و من ولده إرم بن سام و أرفخشد بن سام[2]. و من ولد إرم بن سام عاص بن عوص بن إرم. و كانوا ينزلون الأحقاف من الرمل، فأرسل الله إليهم هودا[3] فكان من أمرهم مع هود ما اتضح أمره، و اشتهر خبره، و ثمود بن عاد بن إرم، و كانوا ينزلون الحجر بين الشام و الحجاز فأرسل إليهم أخاهم صالحا، فكان من أمرهم مع صالح ما اتضح أمره، و اشتهر خبره. و طسم و جديس أبناء لأولاد إرم، و كانوا ينزلون اليمامة و البحرين. و سيأتى خبرهما[4] فيما يرد من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

و كان أخو[5] طسم و جديس يقال له عمليق بن إرم فى قبيلته، فنزل بعضهم الحرم و بعضهم الشام. و منهم العماليق تفرقوا فى البلاد. و كان أخو عمليق و طسم و جديس يقال له أميم بن لاود، نزل أرض فارس،

(١) فى بن: الأرم.

(٢ - ٢) ساقطة من بن.

(٣) زيد فى بن: عليه السلام.

(٤) زيد فى بن [١٥٤ :] : وفناؤهما على السيف.

(٥) فى بن: اخوهم.

و نزل بنو عميل بن عوص [1]أخو عاص بن[1] عوص مدينة الرسول عليه السلام . و من ولد سام بن نوح ماش بن إرم بن سام، نزل بأرض بابل فولد[2] نمرد بن ماش، و هو الذي بنى[3] الصرح ببابل و جسر بابل على شاطئ الفرات ، و ملك خمسمائة سنة [4]و هو ملك[4] النبط . و في زمانه فرق الله الألسن[5]، فجعل في ولد سام تسعة عشر لسانا، و في ولد حام سبعة عشر لسانا، و في ولد يافث ستا و ثلاثين[6] لسانا . و تشعبت بعد[4] ذلك[4] اللغات و تفرقت الألسن . و قحطان بن غابر أبو اليمن كلها، و هو أول من تكلّم بالعربية لإعرابه عن المعاني و إبانته عنها . و يقظان بن غابر هو أبو جرهم، [7]و جرهم ابن عم يعرب[7] و كانت جرهم ممن سكن اليمن و تكلّموا بالعربية. ثم نزلوا مكة فكانوا بها، و قطورا بنوعم[8] جرهم . ثم اسكن الله تعالى اسماعيل عليه السلام مكة فتزوج [٢٠٩: ب] في جرهم

(١ - ١) في بن: اخي ابن .

(٢) في بن: فترك .

(٣) في الأصلين: بنا .

(٤ - ٤) مكررة في بن .

(٥) في هامش بن : مطلب تفرق الألسن .

(٦) كذا في بر ، وهي في الأصل بن : ثلاثون .

(٧ - ٧) في بن : بنوعم يعرب ، وفي هامش بر : مطلب أول من تكلم بالعربية .

(٨) في بن « بنو » فقط و « عم » ساقطة .

فهم أحوال ولده . و ما ذكرنا[1] من العرب فهم العرب العاربة ، و لهم أخبار [2]يطول ذكرها[2] ، و يتسع شرحها . و أما يافث بن نوح فولده الترك و غيرهم و قيل لما قسم نوح على أولاده البلاد أعطى[3] سام الشام و جزائر العرب و اليمن ، فهو أبو العرب و الأنبياء و الروم . و أعطى[3] حام السند و الهند و الحبشة و النوبة . و أعطى[3] يافث بلاد المشرق ، فهو أبو الترك و الديلم و الصقالبة و ياجوج و ماجوج و فارس و الله[4] أعلم – انتهى[5] .

[ملوك مصر القبط]

[بن ١٥٤ : الف] [6]نعود . و كانت ملوك مصر من القبطيين مرادهم العدل و الانصاف من أنفسهم ـ الطلب لمعانى الأمور و كراهية الجود و الغض (كذا) . و سماون الملك الأول من ملوك القبط بمصر ، إذا وقف إليه رجلان يتحاكمان عنده علم الظالم من المظلوم منهما أخبرهما بالذى صنعا حتى كأنه شاهد حالهما ، و كأن بالظالم يصرن من نفسه

(١) فى س : ذكرها .
(٢–٢) فى بن : مطولة ذكرتها .
(٣) فى الأصول : أعطا
(٤) زيد فى بن : تعالى .
(٥) واردة فى بن و ساقطة من بر .
(٦–٦) هذا القسم بأكمله ساقط من بر و وارد فى بن ، و قد ادخلناه فى النص كما هو ، و واضح غرابة مادته .

و لا يتحاكم إليه خشية الفضيحة . و كان الملك سردون القبطى يحكم بين الخـاصة و العامه و لا يتكل على أحد من أهل بيته ، ذلك انتهازا منـــه للعدل و طلبا للحق . و كانت بدورة أخت الملك يزدشير كاهنة ، و هى التى عملت الأصنام الناطقة ، و قد عملت طلسمات منعت الطير و الوحش أن يشرب من ماء النيل فمات أكثرها عطشا . و هى صاحبة البنـاء العظيم فى قصة هلاكها[1] ، و يقال : إن الروحانية رجعت إليهـا فأهلكتها ، و إن قطنوا أحـد ملوك مصر أكب على كتاب اقليمون الروحانى أربعين سنة و عرف ما فيه و لم يحتج إلى حكيم يفسر له المعانى . يخبره بالخصيات[2] التى فيه ، و كانـــ ذلك بتدبيره و فطنتـه و كثرة مواظبته درس كتب الحكماء .

[فضائل مصر]

[بر ٢٠٩ : ب] ذكر[3] فضل مصر و كثرة خيرها[3] و معـادن رزقها[4] و طيب عيشها[4] و رخص سعرها [5]و غير ذلك من عجائبهـا[5] .

(١) فى الأصل : هلكها .

(٢) بالنقط على الكلمة فى الأصل خبل ، و أغلب الظن أن صحته أوردناه بالنص.

(٣) الكلمة ساقطة من بن .

(٤) فى بن فقط : و رزقها .

(٥-٥) فى بن : و عجائبها .

مصر خزانة الله فى الأرض[1] كلها، و سلطانها سلطان الأرض كلها[2].

قال الله [3]عز و جل[3] على لسان[4] يوسف عليه السلام: "اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم[5]". و لم تكن تلك الخزائن بغير مصر فذكرها الله بخزائن الأرض. و أغاث الله بمصر و خزائنها كل حاضر و باد[6] فى جميع الأرض. و كان الغلاء أقام فى زمنه سبع سنين[7]، و لولا تدبير يوسف عليه السلام هلك[8] أهل مصر. و جعل الله عز و جل مصر متوسطة الدنيا فى الأقاليم الثالث و الرابع، فطاب هواها، و ضعف حرها و بردها. و قد اكتنفتها معادن رزقها، و قرب تصرفها، و طيب عيشها، و رخص سعرها. و هى أم البلاد، و غوث العباد، و ذكر أن مصر صُورت[9] فى كتب الأوائل، و سائر البلاد مادة أيديها إليها تستطعمها. و روى عقبة بن مسلم يرفعه: إن الله تعالى[10]

(١) فى بن: أرضه.
(٢) الكلمة ساقطة من بن.
(٣-٣) فى بن: تعالى.
(٤) زيد فى بن: حال.
(٥) قرآن كريم ١٢: ٥٥.
(٦) فى بن: و بادى.
(٧) فى هامش بر: مطلب اقليم مصر.
(٨) فى الأصل: هلكت.
(٩) فى بن [١٥٤: ب]: مصورة.
(١٠) فى بن: تبارك و تعالى.

يقول يوم القيامة[1] لساكنى مصر فيما يعدد[2] عليه من نعمه: ألم أسكنكم مصر تشبعون من خبزها[3] و تشربون من مائها؟ و قال كعب الأحبار: لو لا رغبتى فى سكنى الشام لسكنت مصر. فقيل: و لم ذلك يا أبا إسحاق؟ قال: لأنى أحب مصر و أهلها لأنها بلد معافاة من الفتن و أهلها أهل عافية، فهم بذلك معافون، و من أرادها بسوء كبّه الله على وجهه، و هو بلد مبارك لا علة[4] فيه. و قيل: مكتوب فى التوراة[5]: بلد مصر خزانة الله[6] من أرادها بسوء قصمه الله. و قال سليمان[7] السائح: نعم البلد مصر، يحج منه بدينارين، و يغزى[8] منه بدرهمين. يريد الحج فى بحر القلزم و الغزو إلى الإسكندرية و سائر سواحل مصر. و قال [٢١٠: الف] يحيى بن عثمان[9]: جُلت الدنيا و رأيت[10] بناء كسرى و قيصر و غيرهما من ملوك الأرض، و رأيت

(١) فى بن: القيمة.
(٢) فى بن: يعدده.
(٣) فى بن: خيرها.
(٤) فى بر: لأهله. و صححته فى بن كما أوردنا بالنص.
(٥) فى بن: التوريه.
(٦) واردة فى بن و ساقطة من بر.
(٧) فى بن: سليمن.
(٨) كذا فى بن، و هى فى بر: يغزا.
(٩) فى بن: عثمن.
(١٠) زيد فى بن: آثار الأنبياء و الحكماء و رأيت.

آثار سليمان عليه السلام و ما بنته الشياطين فلم أرَ مثل بربات أهل مصر و لا على حكمتها و لا على[1] مثل الآثار التى لملوكها و لحكمائها . قال عبد الرزاق بن عبد الله : أخبرنى بعض من مرّ بصعيد مصر أنه مرّ بقبر عظيم عليه أرسام مخططة بالحميرية فسأل عن ذلك ، فقيل : هذا قبر الوليد الحميرى ، و كان أحد ملوك حمير ، و إنه طاف البلاد شرقا و غربا ، و وزن المياه فلم يجد موضعا يصلح له ألا صعيد مصر ! فملكها[2] و أقام برهة من الزمان ، فلما حضرته الوفاة أمر أن تخط هذه الأبيات على قبره ، فاذا هى :

أنا الملك المعظم فى البرايا ملكت الناس من حام و سام
و جلت الأرض أقطعها بليل إلى أن عاقنى ريب الحمام
فلم أر مثل مصر لساكنيها لشيخ أو لكهل أو غلام

و من خواص مصر و عجائبها جبلها المقدس و نيلها المبارك ، و بها الطور حيث كلم الله[3] موسى عليه السلام . و بها كان ملك يوسف عليه السلام ، [4]و بها ألقى موسى عصاه فاذا هى[1] حية تسعى[4] . و بها كان سحرة فرعون

---

(١) الكلمة ساقطة من بن .

(٢) فى بن : فتملكها .

(٣) زيد فى بن : تعالى .

(٤ - ٤) وردت الجملة فى بن بعد « بردة » .

الذين أصبحوا كفرة فما أمسوا إلا وهم بررة. و بها ولد موسى و هارون[1] عليهما السلام. و فيها النخلة التى أرضعت مريم تحتها عيسى بأشمون. و كان السبب فى سفر مريم بعيسى إلى مصر أنه لما بلغ ملك [2]بنى إسرائيل[2] الجبار و ضع عيسى عليه السلام هَمَّ بقتله و بقتل[3] مريم، و ذلك أنه دعى بنى إسرائيل فقال لهم: من هذه الإمرأة فيكم فى بطنها ولد يكلّمها؟ ثم لما وضعته تكلم بكلام[4] لم يتكلم به مرضع قبله؟ [5]قال فخافوا على مريم منه[5] فقالوا: أيها الملك إنها امرأة مجنونة و الذى فى بطنها جنى[4] فلذلك يتكلم. فخاف زكريا و أرسلها من بيت المقدس إلى مصر مع يوسف النجار، و كان من ذوى محارمها، فبينما هم فى الطريق اذا[6] هم بأسد عظيم فخافوا منه فقال عيسى: قربونى الى[7] الأسد و لا تقربوا أنتم. فقرب إلى الأسد فقال له عيسى: أيها الوحش ما وقوفك على قارعة الطريق؟ فقال الأسد: لثور يمر لا بدّ لى منه. فقال عيسى: [٢١٠: الف] أيها

---

(١) فى بن: و هرون.

(٢ - ٢) فى بن: ساسان، و بين السطور تصحيح جزئى الى «بنى» و بقيت «سان» كما هى.

(٣) فى بن: و قتل.

(٤) الكلمة ساقطة من بن.

(٥ - ٥) الجملة ساقطة من بن.

(٦) فى بن: فاذا.

(٧) فى بن: من.

الأسد إن الثور لقوم مساكين ، ولكن انطلق إلى برية كذا فسترى جملا ميتا فكله . فمضى الأسد نحو الميتة فأكلها . فساروا حتى بلغوا بلاد مصر وأقاموا[1] هنالك . ويقال إن عيسى عليه السلام لما اشتد نزل مع الصبيان يوما ، فوثب غلام منهم على آخر فقتله ، فجاء أهله تعلقوا بالصبيان وفيهم عيسى فرفعوا[2] للقاضى فقال لهم القاضى : من قتل هذا الغلام؟ فقالوا : عيسى . فقال لعيسى : لم قتلته؟ فقال عيسى : أراك حاكما جهولا ، كان يجب أن تقول : أقتلت أم لا ؟ ثم دنى[3] إلى الغلام وهو رميم ، فاستوى الغلام جالسا وقال[4] له : من قتلك ؟ قال : فلان . فنزل عيسى عليه السلام ، ولم يزل هو وأمه مقيمين[5] بمصر حتى هلك ملك بنى إسرائيل . فبعث زكريا إلى مريم يأمرها بالرجوع إلى بيت المقدس فرجعت[6] .

وبمصر مسجد أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوصت أن يبنى بها مسجدا فبنى . وبمصر من الأبنية والآثار الحكمية والبرابى والأهرام ، وليس على وجه الأرض بناء باليد حجرا[6] على حجر أطول منه[7] ، وجاء فى الأخبار أنهما قبرا هرمس وأغاثيمون ، والصابئة

(١) فى بن : فأقاموا .
(٢) فى بن [١٠٥ : الف] : فرفعوهم .
(٣) فى بن : دنا .
(٤) فى بن : فقال .
(٥) فى بر : مقيما . وفى بن : مقيمان .
(٦) الكلمة ساقطة من بن .
(٧) فى بن : منها .

تحجها من حران ؛ و بأرض مصر منارة الإسكندرية و العمود الضخم القائم[1] على قاعدته ظاهر الإسكندرية . و بها حائط العجوز من العريش إلى أسوان ، و هذه العجوز ملكت مصر بعد غرق فرعون و جنوده ، و هي التي صنعت البرابي[2] و أحكمت آلات السحر ، و لها أخبار يطول ذكرها ، من أرادها[3] فليطالع كتاب أخبار الزمان ؛ و بمصر مجمع البحرين و هو البرزخ الذي ذكره الله عز و جل فقال : "مرج البحرين يلتقيٰن بينهما برزخ لا يبغيٰن[4]" . و قال عز و جل : "و جعل بين البحرين حاجزا[5]" و هما بحر الروم و القلزم إلى الصين ، و الحاجز بينهما مسيرة ما بين القلزم و الفرما ، و ليس يتقاربان في بلد من البلدان أقرب منها[6] بهذا الموضع ، و بينهما في السفر مسافة[7] شهور . و ليس [8]في الدنيا[8] بلد يأكل أهلها[9] صيد البحر طريا غير أهل ديار مصر . و بها الثياب

(١) في بن : قائم . و المقصود عمود السواري (Pompey's Pillar) .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣) في بن : من اراد الوقوف عليها .

(٤) قرآن كريم ٥٥ : ١٩ – ٢٠ .

(٥) قرآن كريم ٢٧ : ٦١ .

(٦) في بن : منهما .

(٧) في بن : مسيرة .

(٨–٨) في بن : بالدنيا .

(٩) في بن : أهله .

الصوف و الأكسية المرعز العسلي و ليس هي بالدنيا إلا بأرض مصر ، و ذكر بعض أهل مصر أن معاوية أمير المؤمنين لما كبر كان لا يدفأ ، فأجمعوا على[1] أنه لا يدفئه إلا أكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز [٢١١ : الف] العسلي الغير مصبوغ ، فعمل له منه[2] أكسية فما احتاج
٥ منها إلا[1] إلى واحدة .

و اعلم أن الصوف المرعزى صنف و فراء[3] الخرفان صنف واحد . و لا يضم فى التسمية فراء[3] معمولة إلى فراء[3] غير معمولة لبعد اختلافهما . [4] و من الملابس أيضا فراء[3] السمور ، الفنك و السنجاب و فراء[3] الثعالب و فراء[3] الأرانب ...[4] و القطن و الكتان صنف . و الحرير و الخز صنف ،
١٠ و قد تقدم ذكر[1] صفة الخز و الابريسم و الديباج و السقلاطون و العتابى و الدبيق و أسماء الحرير الشعر فأغنى عن أعادته - انتهى .

[عن الإبل]

نعود ، و العراب و البخاتى[5] جنس لصدق اسم الإبل عليها ، و كذلك الجواميس نوع من البقر ، و الضأن مع المعز داخلة[6] تحت اسم الغنم .

(١) الكلمة ساقطة من بن .
(٢) فى بن : منها .
(٣) فى بن : و فرى .
(٤-٤) العبارة ساقطة من بر و واردة فى بن و بآخرها كلمتان مطموستان جزئيا و يصعب تحقيقهما فتركنا آخر العبارة بياضا .
(٥) فى بن : و البخت .
(٦) فى بن : داخلا .

و الجوار لا يتصل سنه بسن[1] ابن المخاض بل بينهما سن الفصيل لأن ولد الناقة يسمى حوارا إلى أن يفصل، فاذا فصل سمى فصيلا، و ابن المخاض بعده و الدليل على بعديته قول الفرزدق الشاعر:

وجـــدنا نهشلا فضلت فقيما   كفضل ابن المخاض على الفصيل

و القلائص جمع قلوص، و القلائص مـن الإبل لا تـكون إلا أنثى، و استشهد على تأنيثها بقول الشاعر:

لا تشربى لـبن القلوص و عندنا   ماء الزجاجـة واكـف المعصار

و لا يقال للذكر: قلوص، و تبيين هذا[2] أن يقال[2] إن الجمل بمنزلة الرجل، و الناقة بمنزلة المرأة، و البعير بمنزلة الأنسان يقع على الذكر و الأنثى، و فى كلامهم: صرعتنى بعيرى، و حلبت بعيرا لى. قال ابو عمرو بن العلا: سمعت أعرابيا يمانيا يقول: فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها. فقلت: تقول جاءتــه كتابى و الـكتاب مذكر و ليس بمؤنث! فقال: أ ليس بصحيفة؟ قلت: ما اللغوب؟ قال: الأحمق، و اللغوب أيضا التعب[3]، قال: [4]أتانا ساغبا - لاغبا أى جائعا تعبا[4]، قال الله تعالى «و ما مسّنا من لّغوب[5]» - انتهى.

---

(١) فى بن: لسن.

(٢-٢) ساقطة من بر و واردة فى بن.

(٣) زيد فى بن: و المشقة.

(٤-٤) زيدت العبارة فى بن فأوردناها بالنص و هى ساقطة من بر.

(٥) قرآن كريم ٥٠: ٣٨.

[1] و الحمق قلة التنبه لطريق الحق ، و الجنون هو عارض يعم العقل ، و قد عظم الحمق ما لا يعظم الجنون . و قيل الوقاحة و هو أن يرتكب الناطق و يراه صورة الحق و يدب عنه فيورثه قساوة القلب كما قال الله تعالى : " ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة [2] " . و قيل : الرقيع الذى يلصق بقلبه كل محال ، و الأرعن الذى يأتى بما يخرج عن الصواب - انتهى [1] .

نعود ، و اعلم أن البكر بمنزلة الفتاة ، و الجمع قلاص و قلص . و قاص النعام فراخها ، و قلص الحبارى ولدها . و الكوماء الناقة العظيمة السنام ، قال [3] الفرزدق :

و كوم تنعم الأضياف عينا و تصبح فى مداركها ثقالا

الكوم جمع كوماء ، و هى الناقة العظيمة السنام ، و المعنى أنه يصف نوقا سمانا كثيرة اللبن ، فكأنه يقول : رب كوماء تنعم عين الأضياف بكثرة لبنها ، و أنهم يرثون منها ، و تصبح ثقالا باحتفال ضروعها ، و عظم

(١-١) هذا الجزء ساقط من بر و وارد فى بن [١٠٠ : ب] ، و فيه و وردت كلمة « و الأحمق » بدلا من « و الحمق » فصححناها لأن المصدر لازم لاستقامة العبارة .

(٢) قرآن كريم ٢ : ٧٤ .

(٣) هذا القسم من الكلام ساقطة من بر . و وارد فى بن [١٠٠ ب] ، و يبدأ من « قال » و نهايته كلمة « شىء » و بعدئذ يستأنف الكلام من بر .

خلفها

خلفها. و المبارك مَعَاطن الإبل، و هى بمنزلة المراح للغنم. قال بعضهم: قدمنا البحرين فلحقنا أعرابى على ناقة له صغيرة قد أكل الجرب جنبها و معنا إبل لم ير الناس مثلها. فقلنا: يا أعرابى أتبيعنا ناقتك ببعض هذه الإبل؟ قال: و الله لو أعطيتمونى بها جميع إبلكم ما بعتكم. قلنا: فلك بها مائة دينار. فأبى[1]، و نحن فى كل ذلك نهزأ[2] به. فقال: لو ملأتم جلدها ذهبا ما بعتها. قلنا: فأرنا من مسيرها شيئا! قال: نعم؟ فسرنا فاذا نحن بحمير وحش [3]قد عنت[3]. فقال: أى[3] الحمير منها تريدون آتيكم به؟ فقلنا: نريد حمار كذا؟ فلم يزل يرشقه حتى صرعه و لحقناه و قد ذبحه، فلما رأينا ذلك ساومناه الناقة بجد، قال: ليس عندى من نسلها إلا ابن لها و ابنة ما أبيعها بشىء.

و المهارى[4] ابل مس نتاج مهرة و نوق مهارى[5]، و ولد الناقة يقال له حوار إلى أن يعظم، فاذا فطم[6] فهو فصيل، فاذا دخل فى السنة الثانية فهو ابن مخاض، و الأنثى بنت مخاض، و إذا دخل فى السنة الثالثة فهو ابن لبون. فاذا دخل فى السنة الرابعة فهو حق،

---

(١) فى بن: فأبا.

(٢) فى الأصل: نهزو.

(٣-٣) العبارة و كلمة «أى» مكررة فى الأصل.

(٤) هنا يستأنف الكلام فى بر.

(٥) فى هامش بر: الحوار.

(٦) فى بن: أعطم.

[٢١١ : ب] فاذا دخل فى الخامسة فهو جذع ، فاذا دخل فى السادسة فهو ثنى ، فاذا دخل فى السابعة فهو رباع ، فاذا دخل فى الثامنة فهو سديس ، فاذا دخل فى التاسعة فهو بازل ، فاذا دخل فى العاشرة فهو مخلف[١] . و الأدم الإبل الخالصة اللياض ، و العيس التى يخالط[٢] بياضها شقرة[٣] ، و الصهب التى يغلب عليها الشقرة . و الحمرة[٤] الخالصة الحمرة ، و الرمك التى[٥] يخالط حمرتها سواد ، و الورق التى يخالط[٦] بياضها سواد[٦] . و الحمر من الابل أظهرها جلدا ، و الورق أطيبها لحما . و قالت بنو عبس : ما صبر معنا فى حربنا إلا بنات العم و من الإبل إلا[٧] الحمر[٨] و من الخيل إلا الكمت[٩] . و الكمت الشديد الحمرة من الخيل ، و لا يقال للفرس كميت حتى يكون عرفه و ذنبه أسودين . و إن الله[١٠] أكرم الإبل و شرفها إذ قال لها « كونى » فكانت . و أخرج

---

(١) عن بن ، و فى بر : مختلف .
(٢) عن بن ، و فى بر : يخلط
(٣) فى بن : شىء من الشقرة .
(٤) فى بن : و الحمر .
(٥) كذا فى بن ، و هى فى بر : الذى .
(٦-٦) فى بن : سوادها بياض .
(٧) ساقطة من بن .
(٨) عن بن ، و فى بر : الأحمر .
(٩) فى بن : كمت . و بهامش بر : الكميت .
(١٠) زيد فى بن : تعالى .

ناقة صالح [1]عليه السلام[1] من صخرة صماء[2] و خص بها العرب دون غيرهم . و كان يركبها [3]الأنبياء عليه السلام[3]، و جعلها مباركة، تقنع بما تجده ، و تصبر على الحمل الثقيل ، و السير الطويل ، و تصبر على الماء[4] أياما[5] عدة . و قد ذكرها ربنا فى كتابه العزيز فقال : "و البُدن جعلنها من شعائر الله لكم فيها خير[6]" . و أول من غزا[7] من غزواته [8]صلى الله عليه و سلم[8] غزاة بدر ، و كان معه مائة ناضح من الإبل ، و كان أصحابه يعتقبون الناضح فى الطريق ، و كان معه فرسان يركب أحدهما المقداد ابن الأسود ، و يركب الآخر مصعب بن عمير ، فلقوا قريشا فى عددها و عديدها فهزمهم الله تعالى ببركة رسول الله صلى الله عليه و سلم - انتهى .

[9]و لحم الإبل حارّ مسخن ملهب يزيد فى السوداء كلحم البقر لأنه

(١-١) العبارة ساقطة من بن [١٥٦ : الف] .

(٢) الكلمة ساقطة من بن .

(٣-٣) عن بن ، و فى بر : الأولياء .

(٤) فى بن : العطش .

(٥) كذا فى بن ، و هى فى بر : أيام .

(٦) قرآن كريم ٢٢ : ٣٦ .

(٧) فى بن : غزى .

(٨-٨) العبارة ساقطة من بن .

(٩) هذا القسم من هنا إلى « فى قوى الجماع جدا » ساقط من بر بأجمعه ، و هو وارد فى بن [١٥٦ : الف] ، و قد نسخناه من الأصل كما هو لأهميته فى الطب العربي و لو أن فيه عبارات غامضة لكنها قليلة العدد . و قد أدخلنا فى أوله لفظة « لحم » بدل « لحوم » لانسجامها مع ما يتلوها من الأفعال .

يولد دما غليظا يلى المرة السوداء، لكن ليس كغلظ المرة السوداء التى يولّدها لحم البقر، فاذا طبخ بالخل كسر الخل حرارته، و لطّف لحمه، و إن طبخ بالمرى النقيع الذى[1] تصنعه المغاربة لطفه المرى أكثر مما يلطفه الخل و هدأه و أسرع باخراجه عن البدن، و لكنه مع ذلك أشد اللحوم. و لبن الإبل مسهل البطن مخرج للماء الأصفر من بطون المستسقين، و ينفع من ورم الطحال لأنه ينقصه، لكنه يُغذّى البدن غذاء كثيرا، و ينفع الكبد الوجعة، و أنفع ما هو للشيوخ لأن أجسادهم ضعيفة و أطحلتهم غليظة بما فيه من القوة البورقية، و ينفع أيضا من البواسير، وقد يهيّج شهوة الغذاء، و يقوّى الجماع. و قد قال جالينوس: ألبان الإبل جيدة للبدن الذى فيه أخلاط حارة يابسة لأنها تنقص الصفراء و السوداء المحترقتين، و ينفع من الفساد المزاج، ولا شىء أنفع من ألبانها شفاء من الدرب، و الدرب فساد المعدة. و دهن البلسان حار جدا إذا شرب أدرّ البول و فتت الحصا فى المثانة و نفع من نهش الهوام و من عسر النفس، و إذا اكتحل نفع من الظلمة فى البصر والماء الأسود النازل فى العين، إذا مسح به الظهر أبطل النافض، و إذا احتملت به المرأة أخرج الجنين و المشمة و نفع من خروج الرحم إذا احتمل مع الشمل المذاب. و إن دهن به الذهر[2] و الحالبان زاد فى قوى

(١) فى الأصل: التى. و تصحيحها لازم لاستقامة العبارة.

(٢) كذا فى الأصل، و لعله يقصد «الذبر» الذى هو آلة الرجل، و قد تكون الكلمة «الظهر» و هى أقل احتمالا من الأخرى.

الجماع جدا .

[١]فلنذكر الآن ما قيل فى البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحام ان شاء الله تعالى. البحيرة هى الناقة تلد خمس بطون فتشق أذنها و تسرح لا يحمل عليها و لا تركب . والسائبة إذا سافر الرجل أو مرض يقول : إن رجعت من سفرى أو أفقت من مرضى هذا، فتلك الناقة سائبة مثل البحيرة. و الوصيلة كانت فى الجاهلية إذا ولدت الشاة فى البطن العاشر ذكرا ، و إن كان أنثى لا يؤكل ، و إن ولدت توأمين ذكرا و أنثى فى البطن السابع لا يؤكل الذكر ولا الأنثى لأن الذكر وصلته أخته نفسها و ألقت عليه حرمتها بأن لا يؤكل . و الحام هو فحل الإبل يلد عشر مرات فيقولون « حمى ظهره » فلا يحمل عليه ولا يركب ، فلما جاء الله بالإسلام فعل هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب كفعلهم ، فقال الله تعالى: "ما جعل من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام "[٢] - الآية.[١]

[شجرة البلسان]

فلنذكر الآن شجرة البلسان، [٣]أما شجرة[٣] البلسان فنبتها[٤] بأرض مصر خاصة ، و المستعمل منها حبها و عيدانها و دهنها ، و أقوى ما فى البلسان دهنه و بعد دهنه حبه و بعد حبه عيدانه . و من مصر يصل ذلك

(١-١) هذا القسم بأجمعه ساقط من بن .

(٢) قرآن كريم ٥ : ١٠٣ .

(٣-٣) فى بن : و شجرة .

(٤) فى بن : منبتها .

إلى جميع البلدان . و قد ذكر دياسقوريدوس الفيلسوف بعد طلوع نجم الكلب بأن يشرط بالمشارط من حديد[1] ، و الذى يسيل منه شىء[2] يسير و الذى يجتمع منه فى كل سنة ما بين الخمسين إلى الستين رطلا ، و يباع فى مكانه وزن الفضة[3] ، و له منافع كثيرة ، و قد كان ببعض الكنائس صنم من الرخام يبكى فتخشع[4] النصارى لبكائه[4] ، وقد كان بعض المسلمين اطلع على ذلك فقال: هذه حيلة ، فصبر إلى حين [٢١٢: الف] إبان المطر ، فوضع ثيابه فى جراب و أتى إلى الكنيسة عريانا وقت السحر ، فوقف على بابها ، فلبس ثيابه و غيّب الجراب تحتها[5] و دق بابها و اعتمد على عكازه منحنيًا ، فخرج القسيس فوجده كأنه قدم من سفر و أثوابه لم تبتل بالمطر ، فسأله عن حاله فقال: قدمت من سفر و أريد أن[6] أقيم عندك قليلا[2] أستريح و أرتحل . فقال القسيس: أرى ثيابك غير مبلولة [7]و المطر كأفواه القرب[7] . فقال: إن من عادتى أنى لم تبتل لى ثياب[8] من المطر . فقال: ادخل . فلما دخل قال:

(١) فى بن: الحديد .
(٢) ساقطة من بن .
(٣) فى بن: الدرهم النقرة .
(٤-٤) فى بن: لبكائه النصارى .
(٥) فى بن: تحته .
(٦) ساقطة من بر وواردة فى بن .
(٧-٧) العبارة ساقطة من بر ، وواردة فى بن .
(٨) كذا فى بن ، و هى فى بر: ثيابا .

علمني ذلك ، فقال له المسلم: إن علمتني بكاء الصنم علمتك منع المطر للثياب[1] لتصير لك حيلة أخرى[2] نأكل بها أموال النصارى كما تأكلها ببكاء الصنم ! فقال: نعم ، ومضى به إلى موضع الصنم فرفع رخامة ، وإذا[3] تحتها قربة ماء صغيرة متصل[4] ماؤها إلى عيني الصنم[5] بخيط مدهون بدهن البلسان، فإذا اجتمعت النصارى وانقضت صلاتهم استقبلهم بالوعظ وغمز الرخامة برجله فيجرى الماء في الخيط [6]من باطنه[6] إلى عيني الصنم فتجرى منهما الدموع فتضجّ النصارى ويتباكون عند رؤيتهم الدموع السايلة على خدي الصنم ، ويبتهلون[7] بالأدعية ، ويمدون[8] القسيس عند ذلك [9]بالدراهم وغيرها[9] ويقولون: إن الحجر[10] خشع من وعظه حتى سالت دموعه وذلك لصلاحه[11] وبركته . فلما فهم المسلم منه تلك الحيلة التي

(١) في بن: ثيابك .
(٢) في بن: ثانية .
(٣) في بن: فاذا .
(٤) في الأصلين: متصلة .
(٥) ساقطة من بن .
(٦-٦) العبارة ساقطة من بر ، وواردة في بن .
(٧) في بن [١٠٢ : ب): فيبتهلون .
(٨) كذا في بن ، وهي في بر : فيمدوا .
(٩-٩) في بن : يدفعهم ـ أو ـ يرفقهم . والكلمة غير واضحة .
(١٠) في بن : الصنم .
(١١) في الأصل : صلاحيته .

تحيل بها على أخذ أموال النصارى، قال القسيس له[1]: و إذ قد تعلمت حيلتى فعلمنى أنت حيلتك[1] . فأخرج[2] له الجراب من تحته و قال: إذا أردت أن تسلم ثيابك من المطر فضعها[3] فى جراب و امش عريانا . فقال[4]: تمت حيلتك[5] علىّ حتى ظهرت[6] على حيلتى الخفية[7]، [8]و ليست حيلتك كحيلتى[8] فاكتمها علىّ ولا تظهرها للنصارى . فقال: [9]إن أردت كتمانى[9] فأعطنى[10] مما جمعته[11] منهم بحيلتك هذه[12] . فأكرمه القسيس و أحسن إليه خوفا من إظهار[13] المسلم [8]لهم حيلته[8]، فتركه المسلم على ما هو عليه و مضى إلى حال سبيله .

(١-١) فى بن: فعلمنى أنت إذا حيلتك اد قد تعلمت حيلتى .

(٢) زيد فى بن: المسلم .

(٣) فى بن: فاجعلها .

(٤) زيد فى بن: القسيس يا مسلم .

(٥) زيد فى بن: الباردة .

(٦) فى ن: اظهرتك .

(٧) عن بن، و الكلمة ساقطة من بر .

(٨-٨) ساقطة من بن .

(٩-٩) ساقطة من بر، و واردة فى بن .

(١٠) عن بن، و فى بر: أعطنى .

(١١) فى بن: جمعت .

(١٢) الكلمة ساقطة من بر، و واردة فى بن .

(١٣) فى بن: هتك .

وكذلك كان يفعل مثل ذلك فى كنيسة اقامة[١] التى يحجها[٢] النصارى بالقدس الشريف فى يوم السبت الذى تسمّيه النصارى سبت[٣] النور . يعمل القسيس خيط إبريسم من خلف حائط الكنيسة مدهونا بدهن البلسان متصلا طرفه بالقنديل المعمّر[٤] بالزيت، فيطلق فيه[٤] القسيس النار من وراء الحائط فتسرى [٢١٢ : ب] النار فيه إلى أن تصل[٥] بالفتيلة فيشتعل القنديل ، والنصارى مجتمعون[٦] فى وقت السحر بها منتظرون[٧] النور ينزل فى القنديل من السماء بزعمهم ، فاذا اشتعل القنديل من ذلك الخيط الرقيق الذى هو كالشعرة من رقته صرخوا صرخة عظيمة[٨] يزعمون بقلّة عقلهم[٩] أن النور نزل من السماء فى القنديل . فظهر[١٠] المسلمون على حيلة القسيس فضُرب وأُهين وأخذت[١١] منه الأموال التى[١٢] جمعها بحيلته تلك وحملت إلى السلطان ـ انتهى[٤] .

---

(١) فى بن : القيامة .
(٢) عن بن . ، وفى بر : تزورها .
(٣) فى بن : بسبت .
(٤) الكلمة ساقطة من بر ، وواردة فى بن .
(٥) فى بن : يتصل .
(٦) فى الأصلين : مجتمعين .
(٧) فى بر : منتظرين . وفى بن : ينتظرون .
(٨) فى بن : واحدة .
(٩) فى بن : عقولهم .
(١٠) فى الأصلين : فظهرت .
(١١) فى الأصلين : وأخذ .
(١٢) كذا فى بن ، وهى فى بر : الذى .

[من عجائب مصر العرس]

نعود إلى ذكر عجائب[١] مصر. ومن أعاجيب مصر العرس وهى من أعاجيب الدنيا، وذلك أنها دويبة متحركة، وإذا رأت الثعابين دنت منها، فينطوى الثعبان عليها، فيريد أن يقطعها ويأكلها، فتتحنى وتزو زفرة يتقطع الثعبان قطعا. والثعابين بمصر أكثر منها فى بلاد الدنيا، ولولا العرس لأكلت الثعابين سكان مصر وأهل أعمالها. وهى هناك أنفع لأهلها من القنافذ لأهل[٢] سجستان، لأن سجستان بلد كثير القنافذ والأفاعى، وفى شرطهم أن لا يصاد منها[٣] قنفد ولا يقتل لأن الثعبان بجسمه ناعم[٤] [٥]والقنفد مشوك[٥]، فاذا رأى الثعبان [٦]سعى له وجرحه بشوكه، فينتن جرحه، فيموت الثعبان من أذى النمل له بأكل جرحه[٦].

[سجستان بعراق العجم]

وسجستان مدينة بعراق العجم، وكان أميرها فيما مضى يقال له

---

(١) فى بن: أعاجيت.

(٢) فى بر: بأهل، وصححتها فى بن.

(٣) فى بن: فيها.

(٤) كذا فى بن، وهى فى بر: ناعما.

(٥-٥) فى بن: والقنافد ذوات شوك. وفى بر: مشوكا.

(٦-٦) فى بن: القنفد سعى له فاذا لمسه جرحه القنفد بشوكه القائم بجسده فينتن الجرح فيشمه النمل فيسعى إليه يأكل جرحه فيموت الثعبان من أذى النمل له.

طلحة الطلحات ، و كان شجاعا سخيا له عطايا و مكارم ، فلما مات رثى بمرثية منها :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات - انتهى.

[بن ١٥٦ : ب] [1] قال الأصمعى : المعروف بالكرم طلحة بن عبد الله التيمى ، و هو طلحه الخير ، و طلحة بن عمرو ، و هو طلحة الجود ، و طلحة بن عبد الله بن خلف . و هو طلحة الطلحات ، و سمى بذلك لأنه كان أجودهم ، دخل كثير عزّة عليه عائدا ، فقعد عند رأسه ، فلم يكلمه لشدة ما به من الضعف ، فأخذ كثير فى الثناء عليه ، ففتح طلحة عينه فقال : ويحك يا كثيّر ما تقول؟ فقال [بن ١٥٧ : الف] كثير :

يا بن[2] الذوائب من خزاعة و الذى لبس المكارم و ارتدى بنجاد
حلت بساحتك الوفود من الورى فكأنما كانوا على ميعاد
لتعود سيّدنا و سيّد غيرنا ليت التشكّى كان بالعواد

فاستوى جالسا و أمر له بمائة ألف درهم و قال : هى لك إن عشت فى كل سنة . و كانت وفاة طلحة الطلحات بسجستان فرثاه بعض الشعراء بمرثية منها البيت المتقدم ذكره و هو :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

[اول من ابتدع المساحة]

[٢١٢ : ب] فلنرجع[3] إلى ذكر من ابتدع المساحة . قيل إن أول

---

(١) هذا القسم إلى « فلنرجع إلى ذكر من ابتدع المساحة » ساقط من بر و وارد فى بن . (٢) فى الأصل : يا ابن .

(٣) هنا يستأنف الكلام فى كلا الأصلين . و فى هامش بر : أول من ابتدع المساحة .

من ابتدع المساحة أهل مصر، و ذلك بمكان زيادة النيل و نقصانه، فيعملون[1] المساحة بحدود التجوف[2] من الغرق [3]لإفاضة الماء[3] على أرضهم و تصوّبه عليها، فحدوا الحدود و تحرزوا من الغرق و سيأتى ذكر المساحة[4] و ما[5] قيل فيها عند تعدد[6] العلوم إن شاء الله تعالى.

[من عيوب مصر]

و ذكر بعض الأطباء إن أجل عيوب[7] مصر اختلاف الهواء فى كل وقت و حين يوجد بها الحر ثم البرد فى يوم واحد.

[عن الاهوية]

[8]فلنذكر الآن الأهوية و ما قيل فيها. أما الأهوية فأصلها الهواء البارد لأنه يصلح لحفظ الصحة و يقوى الأبدان و الشهوات، و يسخن الأجفان، و يجوّد الهضم، و لاسيما لأصحاب الأمزجة الحارة. و أما الهواء الحار فلا يصلح لحفظ الصحة على أكثر الأمر للأبدان الحارة، لأنه يسخن الأبدان، و يصفر الألوان، و يهيج العطش. و يرخى

(١) فى بر: يعلموا. و صححتها فى بن كما أوردناه بالنص.

(٢) فى بر: النجوف. و هى كما أوردنا بالنص عن بن.

(٣-٣) فى بن: و الإفاضة.

(٤) ساقطة من بن.

(٥) فى بن: ما.

(٦) عن بن، و فى بر: تعدد.

(٧) فى بن: عيون.

(٨) هذا الجزء ساقط من بر، و وارد فى بن لغاية «فى المنفعة و المضرة».

فى

الحواس، و يحمى القلوب، و يعفن الدماء، إلا الأبدان البارده التى تحتاج إلى تسخين، و للزكومين و المفلوجين و المشحنين من الرطوبة. و أما الهواء الرطب ففائدته كثيرة، و ذلك يحفظ الرطوبات عل الأبدان و يصلح أحوال النحفاء. و يلين الجُواد و اللحوم، و يكسبها لدونة ونقاء، و الهواء اليابس على ضد ذلك. و كذا أصلح الرياح الاربع الشمالية أعنى الجوفية، لأنها تشدّ الأبدان، و تذكى الحواس، و تدفع العفونات عن الهواء و يصح بها. و أما القبلية فهى على ضد ذلك ترخى الأبدان، و تكدر الحواس، و تثير الدماء. و الشرقية و الغربية دون هاتين الريحين فى المنفعة و المضرة.

[وصف مصر مدينة فرعون]

[٢١٢: ب] و مصر[١] مدينة فرعون اتخذ لها سبعين[٢] بابا، و جعل حيطانها بالحديد و الصفر، و فيها كانت الأنهار تجرى من تحته و هى أربعة أنهار. قيل إن هارون الرشيد قرأ فى المصحف ذات يوم فمرّ بقوله تعالى حكاية عن فرعون "أليس لى[٣] ملك مصر و هذه الأنهار تجرى من تحتى[٤]" فقال الرشيد: [٢١٣: الف] افتخر الكافر بملك مصر، فوالله لا أوليها إلا لعبد نكاية له. فولى عليها عبدا يقال له خصيبا[٥] احتقارا لفرعون، و قال: فان كان لا[٦] بد من الافتخار فأهل الإسكندرية

(١) هنا يستأنف الكلام فى كل من بر و بن.

(٢) فى بر: سبعون. و صححته فى بن كما أو ردناه بالنص.

(٣) الكلمة ساقطة من الآية فى بن. (٤) قرآن كريم ٤٣: ٥٢.

(٥) فى بن: الحصيب. (٦) فى بن: و لا.

أحق منه بالافتخار لأن الأنهار تجرى من تحتهم تخترق أسرابها من خليجها ، و هم لا يعدّون ذلك افتخارا على أحد بل يحمدون الله تعالى على ما أنعم عليهم بها ليملأوا[1] منها صهاريج دورهم ، فتبًّا لفرعون افتخر بالماء و بالماء غرق ، فلعنة الله على الكافرين .

[فى موضوع اللعنة]

و[2] سأذكر هنا ما قيل فى اللعنة إن شاء الله تعالى . قيل اللعنة البعد ، و معنى لعنه الله : أبعده الله . وكان[3] العرب إذا تمرد الشرير منهم طردوه و أبعدوه عنهم لئلا يؤخذون[4] بجرائره و سموه لعينا . و اللعان مشتق من اللعنة و معناه البعد ، فلما كان لفظ اللعن مذكورا فى حلف الزوج عن[5] التحالف الواقع بين الزوجين لعانا و ملاعنة غلب فيه ما يصدر من الرجل على ما يصدر من المرأة لأن حلف الزوج سابق على حلف الزوجة و سبب له . و لما أنزل الله سبحانه : " و الذين يرمون المحصنٰت " الآية ، كان هذا الحكم عاما فى الزوجات و الأجنبيات . ثم جعل للأزواج مخلصا من حد القذف باللعان لأن الزوج يلحقه العار و يفسد النسب بزناء زوجته ، فلا يمكنه الصبر عليه و توقيف أمره

(١) فى الأصلين : ليملوا .

(٢) هذا القسم بكامله عن موضوع «اللعنة» ساقط من ب ، و يستأنف الكلام فيه ابتداء من «نعود إلى ذكر صفة دار فرعون» ، وبهامش بر : فرق بين اللعنة و الغضب .

(٣) فى الأصل : وكانت

(٤) فى الأصل : يؤخذوا .

(٥) كذا فى الأصل ، و ربما كانت الكلمة « عند » و يستقيم بها السياق .

على البيّنة كالمعتذر بخلاف الأجنبي فانه لا يلحقه عار بزناء غير زوجته، و لا يفسد نسبه و الأولى به الستر. و فى حديث ابن عباس أنه قال: لما نزلت الآية "و الذين يرمون المحصنٰت ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبدا[1]" قال سعد بن عبادة: أهكذا نزلت يا رسول الله، لو رأيت لكاع و قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه أو أن أخرجه حتى آتى بأربعة شهداء؟ فو الله ما كنت لآتى بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر[2] ألا تسمعوا ما يقول سيّدكم؟ قالوا: لا تلمه فأنه رجل غيورٌ ما تزوج ثيب قط إلا عذرا و لا طلّق زوجته فاجترى أحد أن يتزوجها. فقال سعد: يا رسول الله بأبى أنت و أمى و الله إنى لاعرف أنها من الله و أنها لحق. فو الله ما لبثوا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له فرأى بعينيه و سمع [٢١٢: ب] بأذنيه، فأمسك حتى أصبح ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله إنى جئت أهلى عشاء فرأيت رجلا مع أهلى، رأيت بعينى و سمعت بأذنى. فكره رسول الله صلى الله عليه و سلم ما آتاه و ثقل عليه جدا حتى عرفت الكراهة فى وجهه. فقال هلال: يا رسول الله! إنى رأيت الكراهة فى وجهك، و الله يعلم إنى لصادق، و إنى لأرجو أن يجعل الله فرجا. فقال: ابتلينا بما قال سعد! يجلد هلال و تبطل شهادته فى المسلمين. فهمّ رسول الله

(١) قرآن كريم ٢٤: ٥.

(٢) ربما كان الأصح: يا معشر الناس.

صلى الله عليه و سلم بضربه فانه ' اخذا لك' يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحى : '' و الذين يرمون أزواجهم و لم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم[٢]'' الآيات . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سعد إن الله قد جعل فرجا . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أوسلوا إليها . فلما اجتمعا فقال لها فكذبته . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله يعلم أن أحدكما لكاذب ، فهل فيكما تائب ؟ فقال هلال : لقد صدقت و ما قلت إلا حقا . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لاعنوا بينهما ! قيل لهلال إشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . فقيل له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الله أشد من عذاب الناس ، و إنها لموجبة التى توجب[٣] عليك العقوبة . فقال هلال : و الله ما يعذبنى الله عليها كما لم يجلدنى رسول الله صلى الله عليه و سلم . فشهد الخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين . ثم قيل لها : تشهدين . فشهدت بالله إنه لمن الكاذبين . ثم قيل لها عند الخامسة : اتق الله فان عذاب الله أشدّ من عذاب الناس و إن هده الموجبة التى توجب عليك العذاب . فتلكّأت ساعة و قالت : و الله لا أفضح قومى . فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . ففرق رسول الله صلى الله عليه و سلم بينهما ، و قضى أن

(١-١) كذا فى الأصل و لا تستقيم العبارة بها و ربما كان الأصح أن يحل محلها لفظة « كذلك » .

(٢) قرآن كريم ٢٤ : ٧ .

(٣) فى الأصل : يوجب .

الولد

الولد لها و لايدعى لأب و لا يرى ولدها . و قد أشار بعض أهل المعانى أن الغضب أشد من اللعنة ، و لذلك كانت مقدمة فى آية الجلد ، فعلى هذا إن بدلت المرأة الغضب باللعنة لم يجزها و أعادت اليمين الخامسة على سنتها ، و لو بدل الرجل اللعنة بالغضب أجزاه ، و الأولى اتباع الآية ـ انتهى .

[صفة دار فرعون و الهرمين]

نعود إلى ذكر صفة دار فرعون و مجالسه و غرفه إن شاء الله تعالى .

ذكر بعض [٢١٤ : الف] أهل العلم أنه رأى بمصر ـ و يقال لمصر أيضا منف[٢] ـ دار فرعون و مجالسه و مشاربه و غرفه ، و كل ذلك حجر واحد ، فان كانوا هذّبوه و حسّنوا صنعته حتى صار فى الملوسة واحدا[٣] لا يستبان فيه مجمع حجرين و لا ملتقى[٤] صخرتين فهذا عجب . و إن كان جبلا واحدا فنقبوه الرجال و حذّاق الصناع بالمناقر حتى خرقت تلك المخارق فان هذا لا عجب .

و بمصر الهرمان[٥] و هى مبنية بالرخام و المرمر ، عرض كل حجر و طوله ما بين عشرة أذرع إلى ثمانية أذرع ، كل حجر ملتصق إلى

---

(١) هنا يستأنف الكلام فى كلا الاصلين بر و كذلك بن .

(٢) ساقطة من بن و مكانها بياض بالأصل .

(٣) فى الأصلين : واحد .

(٤) فى الأصلين : ملتقا . و بهامش بر : مجالس فرعون .

(٥) فى بن : الهرمين . و بهامش بر : الأهرام .

الآخر لا يستبين التصاقه إلا الحادّ البصر ، سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع طول فى أربعمائة ذراع عرض ، فكلما ارتفع رق ، مكتوب عليهما بالقلم المسند كل[1] سحر و كل شىء من الطب[2] و كل طلسم مكتوب عليها ، إنّا بنيناها فى ست سنين فمن شاء فليهدمها فى ستين سنة . فان الهدم أيسر من البناء[1] .

فذكر أن بعض ملوك بنى العباس قصد هدمها ، فاذا خراج مصر جميعه لا يقوم بهدمها فتركها . و سيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ما قيل فيها إن شاء الله تعالى .

و فى واحات مصر حجارة من تناول منها حجرا لحركه فانما يحرك مقلة فى جوفها نواية .


تم الجزء الثالث

(١ - ١) كذا فى الأصلين ، و ربما كان الأصح صياغة العبارة من جديد على الوجه الآتى : فى ست سنين فمن شاء فليهدمها فى ستين سنة فان الهدم أيسر من البناء . [فيها] كل سحر و كل شىء من الطب و كل طلسم .

(٢) فى ر : الطيب . و صححتها فى بن [١٥٧ : ب] كما اوردناه بالنص .

خاتمة الطبع

تم بمنّه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثالث من كتاب الإلمام للعلامة محمد بن قاسم بن محمد النويرى رحمه الله يوم الاثنين التاسع من شهر رمضان المكرم سنة ١٣٩٠ هـ = ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م . و اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الأستاذ الفاضل المستشرق الدكتور عزيز سوريال عطيه - أبقاه الله للخدمة العلمية . و عنى بتنقيحه و مراجعة نسختيه راقم هذه الخاتمة تحت إدارة الحسيب اللبيب صاحب الفضيلة المدير السيد حامد على العباسى عم كرمه الدانى و القاصى .

و فى الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو حسبنا و نعم الوكيل ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم . و صلى الله على خير خلقه و نبيه الكريم سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد عبد الغفار خان عفى عنه
(الماجستر - الجامعة العثمانية)
المصحح بدائرة المعارف العثمانية

* * * * *

DA'IRATU'L-MA'ARIF'IL-OSMANIA PUBLICATIONS
NEW SERIES, No. IX/xiii/iii



KITĀBU'L ILMĀM

BY

Muḥammad B. Qāsim al-Nuwairy
(D. after the year 775 A. H./1372 A.D.)

Vol. III

Edited by

DR. AZIZ SURYAL ATIYA.
from the Berlin and Bankipure MSS.

Printed
Under the Auspices of the Government of India

&

Under the Supervision of
Mahamed Ali Abbasi
Director, Da'iratu'l-Ma'arif'il-Osmania



Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIF-IL-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD-7
INDIA
1970 A.D./1390 A.H.